

الدكتور رمضان عبدالنواب

بحوث ومقالات
في اللغة

الناشر

دار الرفاعي بالرياض

مكتبة الخانجي بالقاهرة

بُحُوثٌ وَمَقَالَاتٌ فِي اللُّغَةِ

الدكتور رمضان عبد النواب
عميد كلية الآداب
جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م

الناشر

دار الرفاعي بالرياض

مكتبة الحانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

رقم الإيداع ٨٢/٥٦٣

الترقيم الدولى ٣ - ٨١ - ٧٢٩٢ - ٩٧٧

مطبعة المكدنى

المؤسسة السودانية بمصر
٦٨ شارع الباسية - القاهرة . ت : ٨٢٧٨٥١

فهرس الكتاب

| | |
|-----|---|
| ص | |
| ٥ | مقدمة |
| ٧ | الباب الأول : فى أصوات اللغة |
| ٩ | الفصل الأول : صوت القاف بين الفصحى واللهجات |
| ١٧ | الفصل الثانى : نظرية المحاكاة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى |
| ٢٥ | الباب الثانى : فى أبنية العربية والتطور اللغوى |
| ٢٧ | الفصل الأول : كراهة توالى الأمثال فى أبنية العربية |
| ٥٧ | الفصل الثانى : رأى فى تفسير الشواذ فى لغة العرب |
| ٨٧ | الباب الثالث : فى أصول الاحتجاج اللغوى |
| ٨٩ | الفصل الأول : أسطورة الأبيات الخمسين فى كتاب سيبويه |
| ١٤١ | الفصل الثانى : حاجة تراثنا اللغوى إلى التهذيب والتنقية |
| ١٦٣ | الباب الرابع : فى تاريخ العربية |
| ١٦٥ | الفصل الأول : الفصحى وتحديات العصر |
| ١٧٩ | الفصل الثانى : الفصحى بين الجمود والتحرر |
| ١٨٩ | الباب الخامس : فى مناهج البحث اللغوى |
| ١٩١ | الفصل الأول : فى أصول البحث العلمى وتحقيق النصوص |
| ٢٠٣ | الفصل الثانى : مصادر كتاب « المزهر » للسيوطى |
| ٢٢٥ | الباب السادس : فى اللهجات العربية |
| ٢٢٧ | الفصل الأول : الخصائص اللغوية لقبيلة طىء القديمة |
| | الفصل الثانى : من امتداد اللهجات العربية القديمة فى بعض اللهجات المعاصرة |
| ٢٦٣ | قائمة المصادر العربية |
| ٢٧٧ | قائمة المصادر الإفرنجية |
| ٢٨٨ | قائمة المصادر الإفرنجية |

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

هذه البحوث والمقالات اللغوية ، نشر بعضها في شتى المجالات العلمية في مصر والعالم العربي ، وبعض مجلات الغرب ؛ كمجلة مجمع اللغة العربية في مصر ، ومجلة المجلة العربية ، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومجلة المورد العراقية ، والمجلة التذكارية للمستشرق الألماني « شبيتالر » ، ومجلة قافلة الزيت ، ومجلة المجمع العلمي العراقي .

وبعضها بحوث ألفتها في بعض المؤتمرات والندوات العلمية ، كمؤتمر اللهجات العربية في أسيوط ، وندوة التراث العربي بالقاهرة ، وندوة جلال الدين السيوطي في أسيوط .

وبعضها بحوث تقدمت بها إلى لجنة اللهجات ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونوقشت في مجالس المجمع ومؤتمراته ، وتضمنت نتائجها بعض توصياته .

وبعض هذه المقالات ، نشر منذ خمسة عشر عاما ، وبعضها حديث لم يمض عليه عام أو بعض العام . غير أنني لم أشأ أن أنشر هذه البحوث وتلك المقالات ، كما كتبتها أول مرة ، بل أجريت قلمي فيها هنا وهناك ، بالتعديل والتنقيح ، والتهذيب والصقل ، والحذف والإضافة ، مدخلا فيها حصيلة قراءاتي عبر السنوات الخالية ، وجمعت النظير إلى نظيره في أبواب وفصول .

ولم يدفعني إلى ذلك العمل ، إلا حرص الزملاء والأصدقاء ، من الباحثين والطلاب ، على أن أجمع هذه البحوث في كتاب ، وبعضها مما

تهافت الباحثون على تصوير نسختي الخاصة منه ؛ كأسطورة الآيات الخمسين في كتاب سيويه ، ورأى في تفسير الشواذ في لغة العرب ، وغيرها .

وإني لأرجو أن ينال عملي هذا رضا زملاء والأصدقاء ، بعد الله سبحانه وتعالى ، وأن يوفق الله عز وجل إلى إخراج مانشرته من قبل ، في الدراسات القرآنية ، وتحقيق التراث ونقده ، من بحوث ومقالات امتد ببعضها العمر إلى عشرين عاما أو يزيد .

ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب .

د . رمضان عبد التواب

البابُ الأول
في أصواتِ اللغة

الفصل الأول صوت الفاؤب بين الفصحى واللجات

يعد صوت القاف من الأصوات التي عانت كثيرا من التغييرات التاريخية (١) ، في اللغة العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية ، تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان ، وإصاقتها باللهاء ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلا : Kōl قَوْل ، وفي الآرامية : Kālā قَالَا ، وفي الحبشية : Kāl قَالَ ، بمعنى : « صوت » في الجميع ، وهو يقابل في العربية : « قَوْلٌ » . وفي الآشورية : Kūlu قَوْلٌ بمعنى : « صراخ » (٢) .

وقد عدّ قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة (٣) في العربية الفصحى ، فإن صدق وصفهم إياها بالجهر ، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة . وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي ، في اللهجات العربية المعاصرة (٤) ، وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلا ، وأصبح كالكاف الفارسية .

(١) لمعرفة الفرق بين التغييرات التاريخية والتركيبة للأصوات ، انظر كتابنا : « التطور

اللغوي ، مظاهره وعلمه وقوانينه » ١٧ - ٣٦

(٢) انظر كتابنا : اللغة العبرية ، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية ص ١٢٨

(٣) انظر : كتاب سيبويه ٢ / ٤٠٥ وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٧٨ وشرح ابن يعيش

للمفصل ١٠ / ١٢٩

(٤) انظر كتاب « شپولر » : Spuler, Handbuch der Orientalistik ٣ / ٢٣٦ - ٢٣٧

غير أن هناك تغييرات أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو ينطق صوتاً مزجياً (affricate) كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج العربي ، كالبحرين ؛ فقد سمعت بعض أهلها يقولون : « الجِبْلَة » بدلا من : « القبلة » .

كما ينطق في مدينة « الرياض » وضواحيها ، في الجزيرة العربية ، صوتاً مزجياً كذلك ، غير أنه مكوّن من الدال والزاي (dz) في مثل قولهم : « دُزْبَلَة » في : « قبلة » ، و « دُزْلِب » في : « قليب » ، وغير ذلك مما سمعته بنفسى هناك .

وفي السودان وجنوب العراق ، تحوّل نطق القاف إلى غين ؛ ففي حديث إذاعي مع أحد السودانين ، في إذاعة ركن السودان بالقاهرة ، في شهر مارس سنة ١٩٧٨ م ، وردت الكلمات التالية : لغاء ، وغناة ، ويغدر ، والديموغراطية ، وعلاغة ، واغتصادى ، وانتغلت ، والاستغلال ، بدلا من : لقاء ، وقناة ، ويقدر ، والديموقراطية ، وعلاقة ، واقتصادى ، وانتقلت ، والاستقلال .

وفي اللهجة المصرية كلمتان قلبت فيهما القاف غينا على هذا النحو ، هما : « يغدر » ومشتقاتها ، بدلا من : « يقدر » ، و « زغزغ » بمعنى : حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه . والأصل فيها في العربية الفصحى : « زقزق » (١) .

كما تطورت (القاف) إلى (كاف) في نطق الفلسطينيين في المدن (٢) ؛ فهم يقولون مثلا : « كال » في : « قال » ، و « برتكان » في : « برتقال » ، و « كتله كتل » في : « قتله قتلا » ، وغير ذلك .

(١) انظر مقالتنا : « اللهجة العامية المصرية في القرن الحادى عشر » ١١٥

(٢) انظر : الأطلس اللغوى لبرجشتراسر : Bergsträsser, Sprachatlas : الفقرة ٧

والتعليل الصوتي لكل هذه الانقلابات ، سهل ويسير ؛ فتأثير « قانون الأصوات الحنكية ^(١) » واضح في انقلاب القاف إلى نطق مزجي ، في بعض بلدان الخليج (كالجيم الفصيحة) ، وفي الرياض وضواحيها (ذز) . والدليل على ذلك أن القاف لاتعاني من هذا القلب إلا إذا وليتها كسرة ، تماما كما يتطلب هذا القانون ^(٢) .

كما أن ضياع الانفجار من القاف ، وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلا ، هو المسئول عن انقلابها غينا في نطق أهالي السودان وجنوب العراق . وكذلك انقلابها كافا في نطق الفلسطينيين ، ليس إلا تزحزحا في مخرجها قليلا إلى الأمام ، مع ترقيقها ، واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها .

هذه هي بعض التغييرات التاريخية لصوت القاف في اللهجات العربية المعاصرة ، والتعليل الصوتي لحدوثها ، غير أن مايمينا هنا هو انقلاب القاف همزة في لهجة القاهرة ، وبعض اللهجات الأخرى . ويبدو أن هذا النوع من التطور في القاف ، قديم في اللغات السامية ؛ فقد نقل « بروكلمان » ^(٣) عن « ليمان » ^(٤) أن القاف تحولت في أعلام « الفينيقية » في بعض الأحيان إلى همزة ، ثم سقطت ، كما سقطت الهمزات الأصلية في الفينيقية ؛ فمثلا : العلم الفينيقي : Himalkart « حِمَلَقَرْتُ » ، تحول إلى : Himalar « حِمَلَرُ » .

(١) انظر في شرح هذا القانون كتابنا : « التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه » ٩٢ -

(٢) انظر كذلك : « دراسات في لهجات شرق الجزيرة » لجونستون ٥٤ - ٥٥

(٣) في كتابه : Brockelmann, Grundriss ١٢٥ / ١

(٤) في مجلة : American Journal of theolgy سنة ١٩٠٤ م ، ص ٣٤٠

والعلة الصوتية في هذا التطور ، تتلخص في أن مخرج القاف ، انتقل إلى الخلف « باحثاً عن أقرب الأصوات شبيهاً به من الناحية الصوتية ، فتعمق القاف في الحلق عند المصريين ، لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف ، إلا الهمزة ، لوجود صفة الشدة في كل منهما » (١) .

ولعل هذا التطور كانت له بداياته ، في عصور الفصحى ، فقد أوردت المعاجم العربية ، وكتب اللغة ، مجموعة من الألفاظ ، رويت لنا مرة بالقاف ، وأخرى بالهمزة ، والمعنى فيهما واحد . وفيما يلي بعض هذه الألفاظ :

١ — يقال : قَشَبَه بشرّ ، وأَشَبَه به ، يعنى : لامه وعابه (ما اختلفت ألفاظه للأصمعي ١٨ — ١٩ والإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٦١ وإصلاح المنطق ٤٦٦) .

٢ — القَفَز ، والأَفَز ، بمعنى : الوثب (الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٦٢) .

٣ — القوم زُهاق مائة ، وزُهاء مائة ، أى : قريب من ذلك (الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٦٢ وإصلاح المنطق ١٦ ويرى ابن فارس في مقاييس اللغة ٣ / ٣٣ أن الهمزة هنا هي التي أبدلت قافا) .

٤ — يقال : زَنَّقَ على عياله ، وزَنَّقًا عليهم ، إذا ضيق عليهم فقرا أو بخلا (لسان العرب / زنق ١٢ / ١١ زناً ١ / ٨٤) .

٥ — روى ابن السكيت : قَرَمَ يَقْرِمُ قَرَمًا ، إذا أكل أكلا ضعيفا (اللسان / قرم ١٥ / ٣٧٣) ، وهو قريب مما رواه ثعلب : أَرَمَ ماعلى المائدة يأرِمه ، أى أكله (اللسان / أرم ١٤ / ٢٧٩) .

(١) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ٦٩

٦ — القَصْرُ : الحبس (اللسان / قصر ٦ / ٤٠٧) . وروى الكسائي : « أصرني الشيء يأصرني : حبسني . وأصررت الرجل على ذلك الأمر ، أى حبسته » (اللسان / أصر ٥ / ٨٢) .

٧ — يقال : تابَّض ، وتقبَّض ، يعنى : شد رجله (اللسان / أبض ٨ / ٢٧٩) .

٨ — روت المعاجم : « الوَقْبَةُ : نقرة في الصخر يجتمع فيها الماء » (اللسان / وقب ٢ / ٣٠١) وهو قريب من قولها أيضا : « الوأبة : النقرة في الصخرة تمسك الماء » (اللسان / وأب ٢ / ٢٩٠) .

٩ — روى أبو عمرو الشيباني : « الفَشَقُ : انتشار النفس من الجِرْصِ » (الصحاح / فشق ٤ / ١٥٤٤ وانظر : الجيم ٣ / ٤٤) . ولعل لهذا علاقة بقولهم : « تفشأ الشيء ، أى انتشر » (الصحاح / فشأ ١ / ٦٣) . وقد تكون الصيغة الأخيرة ناتجة بسبب « الحذلقة في اللغة » (Hyperurbanismus) من : « تفشَّى » بلا همز !

١٠ — قَفَّخْتُهُ : ضربته على الرأس (الصحاح / قفخ ١ / ٤٢٩) ، يقال : « أَفَّخْتُهُ : ضربت يَأْفُوخُه ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل (الصحاح / أفخ ١ / ٤١٩) .

أما انتشار هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة ، فيذكر المستشرق « شَيْتًا » في كتابه عن اللهجة المصرية (١) ، أن « القاف قلبت همزة في القاهرة وضواحيها ، وفي القليوبية ، والواسطى ، وجزء كبير من الفيوم ، وبعض البلاد العربية الأخرى ، وعلى الأخص في سوريا » .

ويزيد عليه بروكلمان (١) ، أن ذلك « التحول في صوت القاف إلى همزة ، يوجد كذلك في : تلمسان ، وشمالي مراكش (٢) ، وعند اليهود في شمالي إفريقيا ، وكذلك في اللغة المالطية ، في معظم الأحوال » .

وإن كان الشيخ محمد علي الدسوقي يتعجب من أن « أهل جزيرة مالطة ينطقون بالقاف في جميع كلماتهم ، التي ورثوها عن العرب الفاتحين ، مع أن أهل مصر يستنكفون عن النطق بها (٣) » .

ويخبرنا « برجشتراسر » في الأطلس اللغوي الذي عمله لسوريا وفلسطين سنة ١٩١٥ بأن « نطق القاف همزة ، يسود معظم مدن سوريا وفلسطين ، فيما عدا القليل ، ومع ذلك يوجد نطق القاف في المدن أحيانا بين غير المتعلمين » ، كما ينقل عن « ليتان » قوله : « إن المسيحيين في حلب ، لا ينطقون إلا الهمزة ، على العكس من المسلمين الذين لا ينطقون هناك إلا القاف » . كما يقول ليتان : « وقد سمعت الهمزة من يهودى متعلم ، والقاف من مسلم غير مثقف (٤) » .

هذا ... وما يلفت النظر أن كثيرا من اللهجات التي قلبت فيها القاف همزة ، لا تحتفظ بنطق الهمزات الأصلية في اللغة . ويبدو أن ترك هذه الهمزات الأصلية ، تم في فترة قديمة ، ولم يكن إلا امتداداً للهجات الحجازية القديمة في تسهيل الهمزة . ثم توقف هذا التغير بعد فترة ، « فما دام هذا التغير قد أصاب جميع الكلمات ، التي تقع تحت طائلته ، يصبح القانون الذي

(١) في كتابه : Grundriss ١ / ١٢١

(٢) انظر كذلك : لهجة شمال المغرب ، تطوان وماحولها ص ٨١

(٣) تهذيب الألفاظ العامية ٤٧

(٤) Sprachatlas الفقرة ١٠

يفسره ، وكأنه قد نسخ ، ويمكن للغة أن تخلق مركبات صوتية جديدة ،
 مشابهة كل الشبه للمركبات ، التي كان التغير يعمل فيها سابقا ، فهذه
 المركبات تبقى دون تغير ، فيقال إنها لم تعد واقعة تحت سلطان القانون » (١) .

وهكذا بعد أن توقفت ظاهرة التخلص من الهمزة ، ومضت فترة من
 الزمن ، أخذ صوت القاف يتحوّل إلى الهمزة ، دون أن تجد لهجات الخطاب
 في ذلك حرجا .

★ ★ ★

الفصل الثاني نظريّة المحاكاة الصوتيّة ومناصبه اللفظ للمعنى

يحاول بعض العلماء أن يفسر لنا نشأة اللغة الإنسانيّة ، بما يسمى بنظريّة « المحاكاة الصوتيّة » (Onomatopoeia) ، وقد عرض لهذا الرأى من علماء المسلمين ، العلامة ابن جنى فى كتابه « الخصائص » ؛ فقال (١) : « وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها ، إنما هو الأصوات المسموعات ، كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحیح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ... ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . »

وقد ارتضى « ابن جنى » هذا الرأى ، فقال معقبا عليه : « وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل . »

ومما قد يؤيد هذه النظرية ، ما قد نجده فى بعض الأحيان ، من اشتراك بعض الأصوات ، فى الكلمات التى تحاكي الطبيعة فى عدة لغات ، فإن الكلمة التى تدل على الهمس ، هى فى العربية كما نعرف : «همس» ، وفى الإنجليزية : whisper وفى الألمانية : Flüstern وفى العبرية : safsaf صَفْصَفْ ، وفى الحبشية : fāṣaya فَاَصَى ، وفى التركية : susmak ، فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها فى تلك الكلمة ، هو : صوت الصفيّر السين أو الصاد ، وهو الصوت المميز لعملية الهمس فى الطبيعة .

(١) الخصائص ٤٦/١

غير أن اشتراك اللغات في الكلمات المحاكية للطبيعة ، على هذا النحو ، أمر نادر . ولو كانت هذه النظرية صحيحة ، للاحظنا اشتراكا بين اللغات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة ؛ مثل : الشقّ ، والدقّ ، والقطع ، والصهيل ، والعواء ، والمواء ، وما إلى ذلك . ولقد سمعت الديك العربي في بلاد العرب ، والديك الألماني في بلاد الألمان ، يصيحان بطريقة واحدة دون أدنى فرق ، غير أننا نحاكي صوت الديك فنقول : كوكوكو ! ويقول الألمان : Kikeriki كيكيركي !

ويرى بعض العلماء ، بناء على هذه النظرية ، أن مناسبة اللفظ للمعنى ، مناسبة حتمية ، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب ، لانفكاك فيها . ومن نادى بهذا الرأي « عباد بن سليمان الصيمري » من المعتزلة ؛ فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية ، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك ، بإزاء هذا المعنى أو ذاك . ويروون عن بعض من تابعه على رأيه هذا ، أنه كان يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسئل عن معنى كلمة : « إذغاغ » ، وهى بالفارسية : الحَجَر ، كما يقولون . فقال : أجد فيه ييساً شديداً ، وأراه الحجر ! (١)

وإننا نشك كثيرا في صحة هذه الراوية ، وصدق نظرية الصيمري ، فإنه لو صح ماقاله ، لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض . نعم ، قد يحسد الإنسان معنى كلمة من الكلمات في لغة من اللغات ، بخبراته في هذه اللغة ، فإن مجرد النطق باللفظ ، يستدعى إلى الذهن أمثاله من الألفاظ ، ويستدعى معها دلالاتها ، ويستوحى المرء من كل هذا دلالة لذلك

اللفظ المجهول ، على أساس ما اختزنه في حافظته ، وقد يوفق في هذا الاستيحاء ، غير أنه كثيرا ما يجيب ، وهنا يؤدي اختلاف الخبرات السابقة إلى اختلاف الحدسات الناتجة .

وخذ مثلا كلمة : « عتيد » ، فإنك إذا ذكرتها أمام من لا يعرف معناها الأصلي ، وهو : « حاضر ، معدّ ، مهياً » ، فهو لاشك سيقسها على كلمة : « عنيد » إن كانت من حصيلة اللغوية ، فيعطيها نفس معناها ، وهو : « جبار » أو « قوى مثلا » ، أو يقسها على كلمة : « عتيق » إن برزت له وقتئذ من بين خبراته اللغوية السابقة ، فيعطيها نفس معناها ، وهو : « قديم » أو « موغل في القدم » .

ومن أنصار المناسبة بين اللفظ والمعنى ، من علماء العربية ، العلامة اللغوي أبو الفتح عثمان بن جنى ، الذى عقد في كتابه « الخصائص » بابا طويلا ، جعل عنوانه : « باب في إمساس الألفاظ أشباه المعانى ^(١) » ، ذكر فيه ألفاظا كثيرة من اللغة العربية ، تؤكد كلها نظريته في مناسبة الصوت للمعنى الدال عليه .

وأغلب الظن أن بذرة هذه الفكرة ، قد وجدت عند قدامى النحويين واللغويين ، قبل ابن جنى ؛ لأنه يرجع في هذا الباب إلى بعض آراء الخليل وسيبويه ، فهو يروى عن الخليل أن العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب : « صرّ » ؛ لأن في صوته امتداداً واستطالة ، أما البازى فدلّت العرب على صوته بالفعل : « صرصر » ؛ لأن فيه تقطيعا وعدم استمرار . كما يذكر عن سيبويه تفسيره لوجود الحركات الكثيرة ، في المصادر التى جاءت

(١) انظر : الخصائص ٢ / ١٥٨ - ١٦٨ وانظر كذلك المزهري للسيوطي ١ / ٤٨

على وزن : « فَعْلَان » ، بمناسبة دلالة هذا النوع من المصادر ، على الاضطراب والحركة ؛ مثل : « الغَلِيَان » و « الهَيَّجَان » و « الطَّيْرَان » و « الفَوْرَان » ، وما أشبه ذلك .

وأخذ ابن جنى بعد ذلك ، يذكر نظائر لهذا الذى أتى به الخليل وسيبويه ، من مناسبة الصوت للمعنى ؛ فعنده أن المصادر الرباعية المضعفة ، إنما تأتي لتكرير الفعل ، كالزعرعة ، والقلقلة ، والجرجرة ، والصلصلة ، وما إلى ذلك ؛ فإن تكرير المقاطع هنا مناسب لتكرير الفعل ، وحدوثه مرات متعددة .

أما توالى الحركات فى المصادر والصفات ، التى تأتى على وزن : « فَعَلَى » ، مثل : « الجَمَزَى » لعمار الوحش ، و « البَشَكَى » ، و « الحَيَدَى » من صفات المشى السريع ؛ فإن ابن جنى يرى أن هذه الحركات المتوالية فى هذا الوزن من أوزان الكلمات العربية ، إنما تناسب سرعة الحركة فى الحمار الوحشى ، وصفات المشى المذكورة .

كما يرى ابن جنى أن تكرير عين الفعل ، وهى وسطه ، وقلبه ، ومركزه ، وأهم جزء فيه ، يدل على تكرير الفعل والشدة فيه ؛ مثل : « كَسَّرَ » و « قَطَّعَ » و « فَتَّحَ » و « غَلَّقَ » وغير ذلك .

وهذا الذى ذكره ابن جنى ، يصح فى بعض نصوص اللغة ، دون غيرها ، فلو أننا نظرنا مثلاً إلى الآية القرآنية التى تقول : ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، لأحسنا بصوت المزاليح وهى تحكم رتاج الأبواب ، وينعدم هذا الاحساس مع الفعل : « أغلق » ، الذى يدل على مجرد الإغلاق .

غير أن هذا — كما قلنا — لا يطرد فى كل نصوص اللغة . ولو راجعنا

المعاجم العربية ، لعرفنا أن هناك كلمات كثيرة ، يستوى في معناها الصنيع المشددة وغيرها ، والمجرد منها وغير المجرد ؛ فمن ذلك مثلاً : « بَدَأُ يُبْدَأُ » و « أُبْدَأُ يُبْدَىءُ » . والقرآن الكريم خير شاهد على أن معناهما واحد ؛ يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴾ ، ثم يقول عز وجل في موضع آخر : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴾ . ومثله كذلك : برقت السماء وأبرقت ، وجنّه الليل وأجنّه ، إذا أظلم عليه وستره ، وحَدَّت المرأة على زوجها وأحدت بمعنى : تركت الزينة، وخسرت الميزان وأخسرته ، أى : نقصته . وغير ذلك كثير .

وقد نزع كثير من نقاد الأدب العربى القديم ، منزع بعض اللغويين ، في محاولة عقد الصلة بين اللفظ ومعناه ؛ فهذا هو « ابن الأثير » ، يكمل مابدها « ابن جنى » وأسلافه من علماء اللغة ، حول مناسبة الألفاظ للمعاني ؛ فيقول (١) : « اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً » .

ومن هنا نشأت الفكرة التى تقول إن « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » .

وقد ضرب « ابن الأثير » من الأمثلة على ذلك قولهم مثلاً : « حَشْنٌ » و « أَحْشَوْشَنٌ » ، فمعنى : حَشْنٌ ، دون معنى : أَحْشَوْشَنٌ ؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو .

كما يرى « ابن الأثير » أن « اِقْتَدَرَ » أقوى في الدلالة على القدرة من :
« قَدَرَ » المجردة ، وأن الإنسان يحسّ في قوله تعالى مثلاً : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخَذًا
عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا ﴾ بالدلالة على تفخيم الأمر ، وشدة الأخذ ، الذي لا يصدر إلا
عن قوة الغضب .

وإذا صدق هذا على بعض الأمثلة في اللغة ، فإنه لا يصح أن يغيب
عن بالنا ، أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي ، والشيء الذي وضع له هذا
الاصطلاح أية علاقة طبيعية ، وإنما هي علاقة تقاليد ، كما يقول « أنطوان
ميه » (١) . وهذا معناه عدم الارتباط الطبيعي بين الاسم والمسمى ؛
فالضماير : أنا وأنت وهو مثلاً ، ليس فيها شيء يدل بذاته على أحد
الأشخاص ؛ وإنما تستعمل لأنه في جماعة بشرية معينة ، جرت التقاليد بأن
تستعمل تلك الصيغ ، ومن ثم نرى أكثر علماء اللغة درية ، عاجزاً كغيره من
الناس ، أمام خطبة أو نص مكتوب في لغة مجهولة جهلاً تاماً .

ولذلك يجب ألا ننساق وراء الفكرة التي تقول بأن « زيادة المبنى تدل
على زيادة المعنى » ، ونعممها على كل مثال وجدت فيه هذه الظاهرة ، فقد
تكون هناك مثلاً كلمتان تدلان على معنى معين ، غير أن إحداهما مقطوعة
في الأصل من الأخرى ، وليست الثانية مزيدة منها ، كما توهم علماء البصرة
ذلك في (السين) و (سوف) ؛ فقالوا إن (سوف) تدل على الاستقبال
البعيد ، و (السين) تدل على الاستقبال القريب . وليس في نصوص اللغة
ما يشهد لتكلفتهم هذا ، فقوله تعالى مثلاً : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ ليس
معناه تحقق هذه الكفاية في الغد ، كما أن قوله تعالى : ﴿ وَكَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾

رُبُّكَ فَتَرَضَى ﴿ ليس معناه تأخر الإِعطاء عاما أو عامين ، بل إن الحقيقة أن (سوف) أقدم من (السين) وأن (السين) جزء مقتطع منها ؛ فمن الحقائق المقررة عند المحدثين من علماء اللغة أن كثرة الاستعمال تبلى الألفاظ (١) ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها ، تماما كما تبلى العملات المعدنية والورقية ، التي تتبادلها أيدي البشر . وهذا هو ما حدث لسوف ، التي توجد في صورتها القديمة في الآرامية . وقد روى لنا اللغويون العرب صورا عدة من صور البلى اللفظي في هذه الكلمة ؛ فقد ذكروا أن العرب يقولون : « سَوْ يَكُونُ ، وَسَفْ يَكُونُ ، وَسَائِكُونُ ، وَسَيَكُونُ » . وعندما جاء القرآن الكريم ، سجل لنا إحدى صور التطور في (سوف) ، مع الأصل الذي كان لا يزال يعيش معه جنبا إلى جنب ، وروى لنا اللغويون العرب ، صور التطور الأخرى ، التي لم يكتب لها ما كتب لغيرها من الخلود ، حين تبنتها الفصحى ، ولغة القرآن الكريم .

★ ★ ★

(١) انظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٩٨ - ١٠٠

البابُ الثاني
في أبنية العرْبِيَّة والنظور اللغويّ

الفصل الأول كراهة توالى الأمثال في أبنية العربية

تميل اللغة العربية إلى التخلص من توالى المقاطع المتماثلة ، فتحذف واحدا منها ؛ وذلك هو مايسميه الألمان : Haplologische Silbenellipse ويسميه اللغويون العرب بكراهة توالى الأمثال .

ونقصد بالمقاطع المتماثلة هنا ، مايشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة ، أو المتقاربة في المخارج . ويحدث ذلك في أول الكلمة ، أو في وسطها ، أو في آخرها، كما أن العربية تميل كذلك أحيانا ، إلى التخلص من توالى الأصوات المتماثلة ، سواء أكانت حركات أم أصواتا صامتة ، وإن لم تكن المقاطع متماثلة .

والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق . ويقول « بروكلمان » Brockelmann : « إذا توالى مقطعان ، أصواتهما الصامتة متماثلة ، أو متشابهة جدا ، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة ، فإنه يكتفى بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما (١) » .

ويعد « برجشتراسر » هذه الظاهرة من الترخيم ؛ فيقول : « ومن الترخيم ماهو جنس من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين ، أولهما حرفان مثلان أو شبهان (٢) » .

ونشرح فيما يلي أنواع هذه الظاهرة في العربية :

(١) فقه اللغات السامية ٧٩

(٢) التطور النحوي للغة العربية ٧٠

١ — صيغ تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ وَتَفَعَّلَلْ ، مع تاء المضارعة ، يتكرر فيها المقطع : (ta) في بدايتها ؛ مثل : « تتقدم » و « تتقاتل » و « تبختر » . وحذف أحد هذين المقطعتين كثير الوجود في العربية . وقول ابن مالك في ألفيته :

وما بتأينِ ابتدى قد يُفْتَصِّرُ فيه على تا كَتَبَيْنُ العِبْرُ
(قد) فيه للتحقيق ، أو للتقليل النسبي (١) ، وقد ذكر الأشموني في شرح البيت ، أن « هذا الحذف كثير جدا (٢) » .

وهذه الظاهرة شائعة في القرآن الكريم ؛ فقد وردت فيه مثلا كلمة : « تَذَكَّرُونَ » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تَتَذَكَّرُونَ » ٣ مرات بلا حذف ، ففيه : ﴿ لعلكم تَذَكَّرُونَ ﴾ في الأنعام ٦ / ٥٢ والأعراف ٧ / ٥٧ والنحل ١٦ / ٩٠ والنور ٢٤ / ١ ؛ ٢٤ / ٧ والذاريات ٥١ / ٤٩ وفيه : ﴿ فلولا تَذَكَّرُونَ ﴾ في الواقعة ٥٦ / ٦٢ كما أن فيه : ﴿ أفلا تَذَكَّرُونَ ﴾ في يونس ١٠ / ٣ وهود ١١ / ٢٤ ؛ ١١ / ٣٠ والنحل ١٦ / ١٧ والمؤمنون ٢٣ / ٨٥ والصفات ٣٧ / ١٥٥ والجنات ٤٥ / ٢٣ في مقابل : ﴿ أفلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ في الأنعام ٦ / ٨٠ والسجدة ٣٢ / ٤ وفيه : ﴿ قليلا ماتذَكَّرُونَ ﴾ في الأعراف ٧ / ٣ والنمل ٢٧ / ٦٢ والحاقة ٦٩ / ٤٢ في مقابل : ﴿ قليلا ماتتذَكَّرُونَ ﴾ في غافر ٤٠ / ٥٨

وفي القرآن كذلك : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ الشعراء ٢٦ / ٢٢١ ﴿ تنزل على كل أفك أئيم ﴾ الشعراء ٢٦ / ٢٢١ ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ القدر ٩٧ / ٤ في مقابل : ﴿ تنزل عليهم الملائكة ﴾ فصلت ٤١ / ٣٠

(١) العيني على هامش الأشموني ٤ / ٣٥١

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٤ / ٣٥١

وفيه المضارع : « تَوَلَّوْا » خمس مرات ، في مقابل : « تَتَوَلَّوْا » أربع مرات ، ففيه : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ في آل عمران ٣ / ٣٢ وهود ١١ / ٥٧ والنور ٢٤ / ٥٤ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ في هود ١١ / ٣ ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا ﴾ في الأنفال ٨ / ٢٠ في مقابل : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ في محمد ٤٧ / ٣٨ والفتح ٤٨ / ١٦ ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا ﴾ في هود ١١ / ٥٢ ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا ﴾ في الممتحنة ٦٠ / ١٣ كما أن فيه : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران ٣ / ١٠٣ بجانب : ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ الشورى ٤٢ / ١٣ وفيه : ﴿ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ النساء ٤ / ٩٧ إلى جانب : ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ النحل ١٦ / ٢٨

وفيه إلى جانب ذلك كثير من الأفعال ، التي ذكر كل واحد منها مرة واحدة بالحذف ؛ مثل : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ هُونًا ﴾ الواقعة ٥٦ / ٦٥ ﴿ وَلَا تَيْمَمُوا الْحَيْثُ ﴾ البقرة ٢ / ٢٦٧ ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ الأنعام ٦ / ١٥٣ ﴿ وَقُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ﴾ التوبة ٩ / ٥٢ ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ هود ١١ / ١٠٥ ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ الأحزاب ٣٣ / ٣٣ ﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ الأحزاب ٣٣ / ٥٢ ﴿ مَالِكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ الصافات ٣٧ / ٢٥ ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ الحجرات ٤٩ / ١٢ ﴿ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ﴾ الممتحنة ٦٠ / ٩ ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ الملك ٦٧ / ٨ ﴿ لَمَّا تَخَيَّرُونِ ﴾ القلم ٦٨ / ٣٨ ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ عبس ٨٠ / ١٠ ﴿ نَارًا تَلْظَى ﴾ الليل ٩٢ / ١٤ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ النور ٢٤ / ١٥ ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ آل عمران ٣ / ١٤٣ ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ حيرلكم ﴿ البقرة ٢ / ٢٨٠ ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة ٥ / ٢ ﴿ وَلَا تَتَّزَعُوا فِتْنَةً ﴾ الأنفال ٨ / ٤٦ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ الحجرات ٤٩ / ١١ ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ الحجرات ٤٩ / ١٣

﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ البقرة ٢ / ٨٥ ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ التحريم ٦٦ / ٤ (١)

ومن أمثلة ذلك في النثر أيضا قول ابن هشام في سيرة النبي : « فلما رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ مِنَ الْعَقَنْقَلِ (٢) » .

وهذا الحذف ضروري عندما تتوالى ثلاثة مقاطع فيها التاء (٣) ؛ كما في قول القطامي :

وخَيْرُ الأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وليس بَأَنْ تَتَّبَعُهُ اتِّبَاعَا (٤)
والأَصْلُ : « تَتَّبَعُهُ » . وكما في قول النبي ﷺ : « لا تَتَّبِعُوا فِي الكَذِبِ ، كما يَتَّبِعُ الفَرَّاشُ فِي النَّارِ » (٥) ، بدلا من : « لا تَتَّبِعُوا » .

ومن أمثلة هذه الظاهرة في الشعر ، ماورد في كتاب « العين » للخليل ابن أحمد من قوله : « وَتَهَرَّعَتِ الرِّمَاحُ إِلَيْهِ ، إِذَا أَقْبَلْتَ شِوَارِعَ . قال : عند الكَرِيهَةِ وَالرِّمَاحُ تَهَرَّعُ

أَرَادَ : تَهَرَّعَ (٦) » .

كما وردت في قول بشر بن أبي خازم :

(١) انظر في بعض هذه المواضع القرآنية : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣ / ٨٤٩ وما بعدها .

(٢) سيرة ابن هشام (تحقيق السقا) ١ / ٦٢١

(٣) انظر كتاب : W.Wright, A Grammar of the Arabic Language I 65 .

(٤) ديوان القطامي ١٣ / ٢٤ ص ٤٠ ومايجوز للشاعر في الضرورة للقران القيرواني ٢٦٧ وانظر مصادر أخرى كثيرة في هامشه .

(٥) النهاية لابن الأثير ١ / ٢٠٢

(٦) العين للخليل بن أحمد ١ / ١٢٢

- فَكَأَنَّ ظُعْنَهُمْ غَدَاةً تَحْمَلُوا
 وَقَوْلُ الْمُثَقَبِ الْعَبْدِيِّ :
- لِمَنْ ظُعْنٌ تَطَالَعُ مِنْ ضَبِيْبٍ
 وَقَوْلُ مَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ :
- وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيْلِي بَعْدَمَا
 وَقَوْلُ كَعْبِ بْنِ زَهَيْرٍ :
- فَمَا تَدُوْمُ عَلَى حَالٍ تَكُوْنُ بِهَا
 وَمَا تَمَسَّكُ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمَتْ
 وَقَوْلُ طَفِيْلِ الْغَنَوِيِّ :
- إِذَا خَرَجَتْ يَوْمًا أُعِيدَتْ كَأَنَّهَا
 وَقَوْلُ حُرْقَةَ بِنْتِ النِّعْمَانِ :
- فَأُفِّ لِدُنْيَا لَا يَدُوْمُ نَعِيْمُهَا
 وَقَوْلُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ (٦)
- وَفِي كُلِّ مَاسْبِقٍ مِنَ الْأَمْثَلَةِ ، لِأَيْهِمْ تَعْيِينَ الْمَحْذُوفِ ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ
 الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ أَوْ الثَّانِي ، كَمَا أَتَعَبَ اللَّغَوِيُّونَ أَنْفُسَهُمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، وَحَاطَلُوا
 إِقَامَةَ الْأَدَلَّةِ النَّظْرِيَّةِ عَلَى وَجْهَةِ نَظَرِهِمْ ؛ يَقُولُ صَاحِبُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ :
 « وَأَصْلُهُ تَتَذَكَّرُونَ ، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ ، وَالْمَحْذُوفَةُ الثَّانِيَّةُ ؛ لِأَنَّ التَّكْرَارَ

(١) ديوانه ق ٧ / ٤ ص ٣٥

(٢) ديوانه ق ٥ / ٥ ص ١٤٢ والخصائص ١ / ٣٩٨

(٣) نوادر القالي ١٣٨

(٤) ديوانه ص ٨ وقصيدة البردة ٩٦ - ٩٧

(٥) ديوانه ق ٢ / ١٣ ص ٢٢

(٦) الحماسة بشرح المرزوقي ق ٤٤٩ / ٢ ص ١٢٠٣

بها وقع ، وليس الأول بمحذوف ؛ لأن الأول علامة المضارعة ، والعلامات لا تحذف (١) .

كما يقول شارح مراح الأرواح : « وتحذف التاء الثانية جوازاً في مثل : تتقلّد ، وتتباعد ، وتتبختر ، أى فيما اجتمع فيه تاءان في أول مضارع : تَفَعَّل وتفاعَلَ وتفعَّل ، وذلك حال كونه فعل المخاطب أو المخاطبة ، مفرداً أو مثنى أو مجموعاً ، والغائبة المفردة والمثناة دون المجموع ، إحداهما حرف المضارعة ، والثانية تاء الباب . واختلف في المحذوف ؛ فذهب البصريون إلى أنه هو الثانية ؛ لأن الأولى حرف المضارعة ، وحذفها مغلّ — على ما حكى عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أنه هو الأولى ؛ لأن الثانية للمطاوعة ، وحذفها مغلّ ، ولأنها زائدة وحذفها أهون . واختار المصنف مذهب البصريين ؛ لأن رعاية كونه مضارعاً أولى ؛ لأن الغرض من الاشتقاق ، إنما هو الدلالة على اختلاف المعنى ، باختلاف الصيغ . وأما المطاوعة وسائر معاني الأبواب ، فإنما هي بَعْدَ هذا الغرض ؛ ولأن الثقل إنما يحصل عند الثانية . وأما إثبات التاءين فهو الأصل ؛ لدلالة كل واحد منهما على معنى (٢) . »

ومع أن سيبويه قال في كتابه (٣) : « فإن التقت التاءان في : تتكلمون ، وتترسون ، فأنت بالخيار ، إن شئت أثبتهما ، وإن شئت حذفتهما » ، فإنه عاد فقال بعد ذلك مباشرة : « وتصديق ذلك قوله عز وجل : تنزل عليهم الملائكة ، وتتجافى جنوبهم . وإن شئت حذف التاء الثانية ، وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى : تنزل الملائكة والروح فيها ،

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣ / ٨٤٩

(٢) شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف ٥٠

(٣) كتاب سيبويه ٢ / ٤٢٥

وقوله : ولقد كنتم تمنون الموت . وكانت الثانية أولى بالحذف ؛ لأنها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى : فاذا رأتم ، وأزيتت ، وهي التي يفعل بها ذلك في : يذكرون ، فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك .
والظاهر أن عبارة : « وإن شئت حذفتهما » مضافة إلى نص سيبويه ، وهي ليست منه (١) !

٢ — نون الأفعال الخمسة (يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلان وتفعلين) مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب . وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة قبل هاتين الحالتين . وهذه الظاهرة كثيرة الورد في الشعر ؛ مثل قول الأعشى :
أبالموت الذى لابد أنسى ملاقى لأباك تحوفاً فني (٢)
أى : تخوفينى . وكذلك قول عمرو بن معد يكرب :
تراه كالثغام يعل مسكاً يسوء الفاليات إذا فلينى (٣)
أى : فلينى . وكذلك قول جميل :
أيا ربح الشمال أما ترينى أهيم وأنى بادى التحول (٤)
أى : ترينى . وكذلك قول ابن مقبل :
عرجت فيها أحيها وأسألها فكيدن يئكيني شوقاً ويئكينا (٥)

(١) لم يفتن إلى ذلك الأستاذ عبد السلام هارون في نشرته لكتاب سيبويه ٤ / ٤٧٦

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ / ٣٦٢ والكامل للمبرد ٢ / ١٤٣ والمنصف لابن جنى ٢ /

(٣) ديوانه ق ٨١ / ٢ ص ١٧٣ وكتاب سيبويه ٢ / ١٥٤ والمنصف لابن جنى ٢ /

(٤) الأغاني ٨ / ١٠٩

(٥) ديوانه ق ٤١ / ١٠ ص ٣١٩

أى : يكيئنا . أما قول الشاعر :

انظرُ قبلَ تلوماني إلى طلل بين النقا فالمنحني (١)
فقد قال فيه ابن جنى : « يريد : تلوماني ، فيجوز أن يكون حذف
(أن) وهو يريدُها ، كأنه قال : قبل أن تلوماني ، فحذف النون للنصب ؛
لأنه قد أضاف (قبل) ، وحكم الإضافة أن تكون إلى الأسماء ، فإذا أضمر
(أن) فكأنه قال : قبل لومكما . ويجوز أن يكون أضاف (قبل) إلى الفعل ؛
لأنها ظرف ، فجرى مجرى : أقوم يوم يقوم زيد ، ثم حذف النون الثانية
تخفيفاً » .

وهذا القول الأخير يدل على وجهة نظر ابن جنى ، في أن المحذوف هنا
هو النون الثانية ، أو بعبارة أخرى : المقطع الثاني . وقد عبر عن ذلك مرة
أخرى بصراحة ، عندما قال : « يريد (فليئني) فحذف النون الآخرة ، كما
حذفها من (تخوفيني) . وكانت الآخرة أولى بذلك في : تخوفيني ؛ لأن الأولى
علم الرفع ، والثانية إنما كانت جىء بها في الواحد ، ليسلم حرف الإعراب
من الكسر ، ويقع الكسر عليها ، فتركت في الجمع على حد ما كانت عليه في
الواحد ، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع بالكسر ، ولم
يتمتع من ذلك ؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر (٢) » .
ومن أمثلة النثر قول ابن هشام : « ماالذى تهنتونا به (٣) ؟ » ، وقوله
كذلك : « أفلا تعطونى (٤) ؟ » .

(١) المنصف لابن جنى ٢ / ٣٣٧

(٢) المنصف ٢ / ٣٣٨

(٣) سيرة ابن هشام (نشر فستنفلد) ٤٥٨ وقد صححت في نشرة السقا (١ / ٦٤٣)

فجعلت : « ماالذى تهنتونا به » !

(٤) سيرة ابن هشام (نشر فستنفلد) ٥١ وقد صححت في نشرة السقا (١ / ٧٧)

فجعلت : « أفلا تعطونى » !

وفي الأغاني : « فأخبراه أنهما لا يعرفاني (١) » ، وفيها كذلك : « ألا تجزيينه (٢) ؟ » وفيها أيضا : « هل لك في يد ثوليينها (٣) ؟ » .
 وفي عيون الأخبار : « لِمَ تزعجونى من جواركم (٤) ؟ » .
 وفي تفسير الطبرى على لسان رجل من بنى النضير : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقا ، ونقتل منهم ، ولا يقتلوننا (٥) » .
 وفي حديث رواه البخارى ، فى الباب الخامس عشر ، من كتاب الشهادات فى صحيحه ، على لسان عائشة رضى الله عنها فى حديث الإفك ، أنها قالت : « ولئن قلت لكم إني لبريئة ، والله يعلم أنى لبريئة ، لاتصدقونى بذلك » (٦) .
 ومن النصوص المتأخرة قول أسامة بن منقذ : « فكانوا يقاتلوننا النهار كله » (٧) .

هذا إلى أن ابن هشام يقول فى معنى اللبيب ، وهو يتحدث عن نون الوقاية :

« ونحو تأمرونى ، يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرىء بهن فى السبعة ، وعلى الأخيرة فقليل : النون الباقية نون الرفع ، وقيل : نون الوقاية ، وهو الصحيح (٨) » .

(١) الأغاني (بولاق) ١٢٦ / ٥

(٢) الأغاني (بولاق) ٨٤ / ٧

(٣) الأغاني (بولاق) ١٥٣ / ٢٠

(٤) عيون الأخبار ١ / ٢٩٣

(٥) تفسير الطبرى ٨ / ٥١٠

(٦) انظر أحاديث أخرى فى شواهد التوضيح لابن مالك ١٧٠ - ١٧٣

(٧) الاعتبار لأسامة بن منقذ ٢٦

(٨) معنى اللبيب ٢ / ٣٤٤

وعلى الرغم من أن مرسوم المصحف في هذه الآية : ﴿ قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي ، أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر ٣٩ / ٦٤) بنون واحدة ؛ « فقد قرأها ابن عامر : تأمروني أعبد ، بنونين الأولى مفتوحة ، ونافع بواحدة مخففة ، والباقون بواحدة مشددة (١) » .

٣ — إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ولعلَّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب .

يقول ابن هشام ، وهو يتحدث عن نون الوقاية : إنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بالحرف « نحو : إنني ، وهي جائزة الحذف مع إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ، وغالبة الحذف مع لعلَّ ، وقليلته مع ليت (٢) » .

أما أن ذلك غالب في (لعلَّ) ؛ فلأن اللام تشبه النون في أنهما من الأصوات المائعة (Liquida) . ومن أمثلة ذلك قول جميل بن معمر العذري :
فَقَالَتْ لَعْنًا يَا جَمِيلُ نَبِيْعَهُ وَأَجَالَنَا مِنْ دُونَ ذَاكَ قَرِيْبُ (٣)
وقول الفرزدق :

أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعْنًا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ (٤)
وقد روى هذا البيت الأخير : « لَعْنًا » بالغين المعجمة ، على أنها لغة في « لعل » عن الأصمعي (٥) . وقال ابن منظور : « وَلَعَنَّ لُغَةٌ فِي لَعَلَّ . وبعض بني تميم يقولون : لَعَنَّكَ بِمَعْنَى : لَعَلَّكَ (٦) » ثم ذكر بيت الفرزدق .

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ١٩٠

(٢) مغني اللبيب ٢ / ٣٤٤

(٣) ديوانه ص ٢٨ والحماسة البصرية ٢ / ١٨٩

(٤) ديوانه ٨٣٥

(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٣٣

(٦) لسان العرب (لغن) ١٧ / ٢٧٥

وإبدال الغين من العين صعب التفسير من الناحية الصوتية ، ولعله تصحيف
قديم لبيت الفرزدق ، وإن خلا ديوانه منه !

وأما قلة ذلك مع (ليت) فلأنه لا يوجد في هذه الحالة مقطعان
متماثلان ، أو متقاربان ، وإنما سبب حذف النون معها هو الضرورة ؛ ولذلك
لأنجد لها أمثلة إلا في الشعر ؛ كقول زيد الخيل الطائي :

كَمُنِيَّةَ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أُصَادِفُهُ وَيَهْلِكُ جُلُّ مَالِي (١)

ويقول الجوهري : « وإئني وإئنني بمعنى ، وكذلك : كأئني وكأئنني ،
ولكنني ولكنني ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون
التضعيف ، فحذفوا النون التي تلي الياء ، وكذلك لعلني ولعلني ؛ لأن اللام
قريبة من النون (٢) » .

ويقول المبرد : « فالذي ذكرنا مما يحذف قولك : إئنني ، وكأئنني ،
ولعلني ، لأن هذه الحروف مشبهة للفعل مفتوحة الأواخر ، فزدت فيها النون ،
كما زدتها في الفعل لتسلم حركاتها . ويجوز فيهن الحذف ، فتقول : إئني وكأئني
ولكنني (٣) » .

والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلا
بالحذف لا غير : « وأنا » ٨ مرات « فأئني » ٦ مرات « أئنا » ١٠ مرات
« فأنا » ١٠ مرات « ولكنني » ٤ مرات « ولكنا » مرتين « لعلني » ٦ مرات .
وفيه كذلك : « أنا » ١٧ مرة ، في مقابل : « أئنا » مرة واحدة ؛ « بأنا »

(١) ديوانه ق ٤٣ / ٧ ص ٨٧ وكتاب سيبويه ١ / ٣٨٦ والمقتضب ١ / ٢٥٠

(٢) الصحاح (أنن) ٥ / ٢٠٧٣

(٣) المقتضب ١ / ٢٤٩

مرتين ، في مقابل « بأننا » مرة واحدة ؛ « إئتي » ١٢٤ مرة ، في مقابل :
 « إئتي » ٦ مرات ؛ « وإئتي » ١٣ مرة ، في مقابل : « وإئتي » مرة واحدة ؛
 « إئنا » ٥٣ مرة ، في مقابل : « إئنا » ٥ مرات ؛ « وإئنا » ٣٣ مرة ، في
 مقابل : « وإئنا » مرة واحدة (١) .

٤ — الأفعال الخمسة إذا اتصل بها نون التوكيد : والحذف هنا لازم
 مطرد في العربية .

يقول ابن عقيل : « الفعل المؤكد بالنون ، إن اتصل به ألف اثنين ،
 أو واو جمع ، أو ياء مخاطبة — حرك ما قبل الألف بالفتح ، وما قبل الواو
 بالضم وما قبل الياء بالكسر . ويحذف الضمير إن كان واوا أو ياء ، ويبقى إن
 كان ألفا ؛ فتقول : يازيدان هل تضريان ؟ ويازيدون هل تضربن ؟ وياهند هل
 تضربن ؟ والأصل : هل تضربانن ، وهل تضربونن ، وهل تضربينن ؛
 فحذفت النون لتوالي الأمثال ، ثم حذفت الواو والياء لالتقاء الساكنين ،
 فصار : هل تضربن ، وهل تضربن . ولم تحذف الألف لخفتها ، فصار : هل
 تضريان . وبقيت الضمة دالة على الواو ، والكسرة دالة على الياء (٢) .

كما يقول سيبويه : « وإذا كان فعل الجميع مرفوعا ، ثم أدخلت فيه
 النون الخفيفة أو الثقيلة ، حذفت نون الرفع ، وذلك قولك : لتفعلنن ذلك ،
 ولتذهبنن ؛ لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالا . وتقول :
 هل تفعلنن ذلك ؟ تحذف نون الرفع ؛ لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون

(١) انظر كتاب « فلوجل » : G.Flügel, Congordantiae Corani Arabicae : « نجوم الفرقان

في أطراف القرآن » لبيزج ١٨٩٨ م ، ص ٢٠ ؛ ٢١ ؛ ٢٢ ؛ ١٧٣ ؛ ١٧٤

(٢) شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك ٢ / ٣١٥

التضعيف ، فحذفوها إذ كانت تحذف وهم في ذا الموضع أشد استثقالا
للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا (١) .

هذا ، ويعلل المبرد لذهاب النون هنا بتعليل غريب ، فيرى أن النون
حذفت ، لكي تكون نظيراً للفتح في الفعل المسند للواحد ؛ فيقول : « فإذا
ثبتت أو جمعت ، أو خاطبت مؤنثاً— فإن نظير الفتح في الواحد ، حذف
النون مما ذكرت لك ؛ تقول للمرأة : هل تضربين زيدا ولا تضربين عمرا ؟
فتكون النون محذوفة ، التي كانت في تضربين ، ألا ترى أنك إذا قلت : لن
تضرب يافتى ، قلت للمرأة إذا خاطبتها : لن تضربي ، وكذلك : لن تضربا ،
ولن تضربوا ، للاثنتين والجماعة ، فحذف النون نظير للفتحة في الواحد (٢) .

٥ — كلمة : (بنى) الداخلة على معرف باللام القمرية ؛ مثل :
بَلْحَارِث ، وبلهْجيم ، وبلْعَنْبِر ، وبلَقَيْن ، يعنى : بنى الحارث ، وبنى الهجيم ،
وبنى العنبر ، وبنى القين .

وذلك كثير الورود في كتب التراث العربى ؛ ففي تاريخ الطبرى :
« وأقبل رجلان أخوان من بَلَقَيْن ، يقال لهما : ملك وعَقِيل (٣) » .

وفي طبقات ابن سعد : « قالوا : إنَّ بَلْمُصْطَلِق من خزاعة (٤) » .

كما تبدأ حماسة أبى تمام بقوله : « قال بعض شعراء بَلْعَنْبِر (٥) » .

(١) كتاب سيبويه ٢ / ١٥٤

(٢) المقتضب ٣ / ٢٠

(٣) تاريخ الطبرى ١ / ٦١٦

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن ١٩٠٩) القسم الأول من الجزء الثانى ص ٤٥

(٥) الحماسة بشرح المرزوقى ١ / ٢٢

ويقول سيبويه في ذلك : « ومن الشاذ قولهم في بنى العنبر وبنى الحارث بلعنبر وبلحارث ، بحذف النون ، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، فأما إذا لم تظهر اللام فيها ، فلا يكون ذلك ؛ لأنها لما كانت مما كثر في كلامهم ، وكانت اللام والنون قريبتى المخارج ، حذفوها (١) » .

ويقول المبرد : « ومما حذف استخفافا ؛ لأن ماظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ؛ مثل : بنى الحارث ، وبنى المهجم ، وبنى العنبر ، هو بلعنبر وبلهجم ، فيحذفون النون لِقربها من اللام ؛ لأنهم يكرهون التضعيف ، فإن كان مثل : بنى النجار ، والتمر ، والتيم ، لم يحذفوا ؛ لثلا يجمعوا عليه علتين : الإدغام والحذف (٢) » .

كما يقول المبرد أيضا : « وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك : (بنو) ؛ لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك قولك : فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجم (٣) » .

ويقول كذلك : « ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة ؛ فيقولون فى بنى الحارث ، وبنى العنبر وما أشبه ذلك ، بلحارث ، وبلعنبر ، وبلهجم (٤) » .

ويقول الزجاجى : « ومن الشاذ قولهم فى بنى الحارث وبنى العنبر :

(١) كتاب سيبويه ٢ / ٤٣٠

(٢) المقتضب ١ / ٢٥١

(٣) الكامل فى اللغة والأدب ٣ / ٢٩٩

(٤) الكامل فى اللغة والأدب ٣ / ٣٦٠

بلحارث ، وبلعبر ؛ فيحذفون النون ، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة (١) .

ويقول الجوهري : « وقولهم : بلحارث ، لبني الحارث بن كعب ؛ من شواذ التخفيف ؛ لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام ، حذفوا النون وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ؛ مثل : بلعبر ، وبلهجين . فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك (٢) » .

وأخيرا يقول ابن يعيش : « ومما حذف استخفافا على غير قياس ؛ لأن مظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، ولا تدغم ؛ نحو : بني العنبر ، وبني العجلان ، وبني الحارث ، وبني الهجين : هؤلاء بلعبر ، وبلعجلان ، وبلحارث ، وبلهجين . فحذفوا النون لقرنها من اللام ، وهم يكرهون التضعيف ؛ إذ الياء الفاصلة تسقط ، لالتقاء الساكنين ، ولا يفعلون ذلك في بني النجار ، وبني النمر ، وبني التميم ؛ لئلا يجمعوا عليه إعلالين : الإدغام والحذف (٣) » .

٦ — ومثل ما سبق : دخول حرف الجر (على) على معرف بأل

القمرية ؛ مثل قول الفرزدق :

وما سبق القيسى من ضعف حيلة ولكن طفت علماء قلفة خالد (٤)

وكذلك قول قطري بن الفجاءة :

(١) الجمل للزجاجي ٣٨١

(٢) الصحاح (حرث) ١ / ٢٧٩

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ١٥٥

(٤) ديوانه ٢١٦ والمقتضب ١ / ٢٥١ والجمل للزجاجي ٣٨١ وشرح المفصل ١٠ / ١٥٥

وأمالى ابن الشجري ٢ / ٤

غِدَاةَ طَفَّتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعُجْنَتَا صَدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ^(١)

يريد في البيتين : « على الماء » . وكذلك قول الشاعر :

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَامْرِئٍ مِنْ حَيَاتِهِ بَدَارَةَ ذُلِّ عِلْبَلَايَا يَوْقَرُ^(٢)

يريد : « على البلايا » .

ويقول سيبويه في آخر كتابه : « ومثل هذا قول بعضهم : عَلْمَاءِ بَنُو

فَلَانٍ ، فَحَذَفُوا اللَّامَ ، يَرِيدُ : عَلَى الْمَاءِ بَنُو فُلَانٍ ، وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ^(٣) .

ويرى ابن الشجري أن هذا الحذف للتخفيف ؛ فيقول : « ومما حذفوا

من الحروف لاجتماعها مع لام التعريف ، لام (على) فيما حكاها سيبويه من

قولهم : عَلْمَاءِ بَنُو فُلَانٍ ، يَرِيدُونَ : عَلَى الْمَاءِ ، فَهَمْزَةُ الْوَصْلِ سَقَطَتْ فِي

الدرج ، وَأَلْفٌ (عَلَى) سَقَطَتْ لِسُكُونِهَا ، وَسُكُونُ لَامِ (الْمَاءِ) ، وَحَذَفَتْ

لَامِ (عَلَى) تَخْفِيفًا^(٤) .

وقد طرد الباب على وتيرة واحدة في العامية العربية اليوم ، فأصبح

يقال فيها مثلا : « عِلْبَابٌ » و « عَلْمَكْتَبٌ » ، كما يقال فيها أيضا : « عَغَ

السطح » و « عَغَ التراب » ، وغير ذلك .

٧ — ويشبهه ما سبق كذلك : دخول حرفي الجر (من) و (عن) على

معرف بأل القمرية ، قال ابن منظور : « قال أبو اسحاق : ويجوز حذف

(١) الكامل للمبرد ٣ / ٢٩٩ وأمالى ابن الشجري ١ / ٩٧ ؛ ٢ / ٤ والحماسة البصرية

١ / ٩٧ مع اختلاف

(٢) المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ٦٦

(٣) كتاب سيبويه ٢ / ٤٣٠

(٤) أمالى ابن الشجري ٢ / ٤ وانظر كذلك : شرح ابن يعيش للمفصل ١٠ / ١٥٥

النون من (من) و (عن) عند الألف واللام ، لالتقاء الساكنين ، وحذفها من (من) أكثر من حذفها من (عن) ؛ لأن دخول (من) في الكلام أكثر من دخول (عن) (١) .

- ومن أمثلة ذلك (٢) ، قول ابن ميادة :
- وما أنس مِلاَشيءَ لأنسِ قولها وأذُمُعها يُذَرِينِ حَشَوِ المَكَاحِلِ (٣)
- وقد كثر ذلك في شعر عمر بن أبي ربيعة ؛ فمن ذلك قوله :
- فلم أنس مِلاَشيءَ لا أنسِ نظرتي إليها وتَرِيئُها ونحنِ لدى سَلَعِ (٤)
- وقوله :
- فما أنس مِلاَشيءَ لأنسِ موقفي وموقفها وَهناَ بقارعةِ النخلِ (٥)
- وقوله :
- وما أنس مِلاَشيءَ لأنسِ مجلسا لنا مرةَ منها بقرنِ المنازلِ (٦)
- وقوله :
- فَمِلَانَ لُمْتُ النفسَ بعدَ الذي مضى وبعدَ الذي آلتِ وآليتِ من قَسَمِ (٧)
- وقوله :
- فمِلَانَ يَتْنِ الصبرُ نَفْسِي أوتَمْتُ إذا انبتَ حَبْلٌ من حبالِكَ فانقضِبُ (٨)

(١) لسان العرب (من) ١٧ / ٣١٢

(٢) انظر أمثلة أخرى كثيرة في معجم تيمور الكبير ١ / ١٦٧

(٣) شرح المرزوق للحماسة ق ٥٥١ / ١ ص ١٣٥٥ وشرح المصنوع ٢٥٢ والحماسة

البصرية ٢ / ١١٠

(٤) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٥٦ / ٨ ص ٥٠

(٥) ديوانه (نشر شقارتس) ق ١٦٨ / ٣ ص ١٢٢

(٦) ديوانه (نشر شقارتس) ق ١٧٧ / ٤ ص ١٢٧

(٧) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٨٣ / ٩ ص ٦٧

(٨) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٢٥٢ / ٤ ص ١٧٤

وقوله :

وتعلم أن لها عندنا ذخائر ملحّب لا تظهر (١)

وقوله :

نَجِيَّينَ نَقَضَى اللّهُو فِي غَيْرِ مَحْرَمٍ وَلَوْ رَغِمَتْ مِلْكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ (٢)

وقوله :

عَشِيَّةَ رُحْنَا مِلْغَمِيمٍ وَصُحْبَتِي تَحَبَّ بِمِ عَيْسٍ لَهْنٍ رَسِيمٍ (٣)

ومثل ذلك أيضا قول الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألّكة غير الذى قد يقال مِلْكَذِبِ (٤)

ومثل قول الآخر :

كأنهما مِلْآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عَصْرُهُ (٥)

ومثل قول النابغة الجعدى :

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أَعْدُ مِلْفَتِيَانِ (٦)

ومثل قول النابغة الجعدى كذلك :

(١) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٥١ / ٣ ص ٤٤

(٢) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٢٢٣ / ٧ ص ١٦٠

(٣) ديوانه (نشر شقارتس) ق ٨٧ / ١٧ ص ٦٩

(٤) شرح ابن يعيش ٨ / ٣٥ والأشباه والنظائر للسيوطى ١ / ٢٠١ وأمالي ابن الشجرى

١ / ٩٧ ؛ ١ / ٣٨٦ واللسان (من) ١٧ / ٣١٢

(٥) شرح ابن يعيش ٨ / ٣٥ والأشباه والنظائر للسيوطى ١ / ٢٠١ وأمالي ابن الشجرى

١ / ٣٨٦

(٦) ديوانه ق ١٠ / ٢ ص ١٣٧ والمعمرون والوصايا ٨٢

- ولبستُ مِلْأَسْلَامَ ثوباً واسعاً من سَيْبِ لَاحِرِمٍ وَلاَمْتَانِ (١)
ومثل قول أعشى بن قيس ثعلبة :
- وأحکمُ من قُسٍّ وأجرأُ مِلْدِي بذي الفيل من خَفَّانَ أصبح حَارِدًا (٢)
ومثل قول عروة بن الورد :
- ومأنس مِلْأَشْيَاءَ لَأَنْسٍ قَوْلَهَا لَجَارَتِهَا مَا إِنْ يَعِيشَ بِأُحْوَرًا (٣)
ومثل قول فضالة بن زيد العدواني :
- وكان سَلِيْطًا مِقْوَلِي متناذرا شذاه فصرت اليوم مِلْعِي أَبِكَمَا (٤)
ومثل قول القتال الكلابي :
- ومأنس مِلْأَشْيَاءَ لَأَنْسٍ نِسْوَةٌ طَوَالِعَ مِنْ حَوْضِي وَقَدْ جَنَحَ الْعَصْرُ (٥)
ومثل قول ذى الإصبع العدواني :
- أَجْعَلْ مَالِي دُونَ الدَّنَا غَرَضًا وَمَا وَهَى مِلْأُمُورٍ فَانصَدَعَا (٦)
ومثل قول الراجز :

لو يستطيعُ فدية فداكِ

بنفسه مِلْمَوْتٍ إِنْ أَتَاكَ (٧)

ومثل قول الحارث بن خالد الخزومي :

عَاهِدِ اللّٰهَ إِنْ نَجَا مِلْمَنَائِيَا لِيَعُوْدَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيَا (٨)

(١) ديوانه ق ١٠ / ٥ ص ١٣٧ والمعمرون والوصايا ٨٢

(٢) المعمرون والوصايا ٨٧

(٣) ديوانه ص ٦٣ وتهذيب الألفاظ ٤٩١

(٤) المعمرون والوصايا ١٠٤

(٥) ديوانه ق ١٦ / ٣ ص ٤٩ ومعجم البلدان ٢ / ٢٦٣ ؛ ٣ / ٦٣٧

(٦) المفضليات بشرح ابن الأنباري ق ٢٩ / ٦ ص ٣١٣

(٧) الحماسة البصرية ٢ / ٤٠٤

(٨) الكامل للمبرد ٣ / ٣٦٠

ويقول المبرد بعد هذا البيت : « وقوله : مملنايا ، يريد : من المنايا ، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ ، فيحذف أحدهما. ومن كلام العرب أن يحذفوا النون ، إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة » .

ومثل قول العرجي :

ومأانس مِلاَشيء لأنس قولها لخدمها قومي اسألى لى عن الوثر^(١)

ومثل قول عمرو بن السليح :

دلفنا للأعاجم من بعيد بجمع مِلْجَزِيْرَة كالسعير^(٢)

ومثل قول عدى بن زيد :

يُساْرِقن مِلاَستار طَرْفاً مُفْتَرّاً ويُبرِزن من فَتق الخدور الأصابع^(٣)

ومثل قول أبي قيس بن الأسلت :

فولوا سِراعاً هارين ولم يُؤب إلى أهله مِلْجِيش غير عصاب^(٤)

ومثل قول عمرو بن كلثوم :

فماأبقت الأيام مِلْمالِ عندنا سوى جِذم أذوادٍ مُحَدِّفة النسل^(٥)

ومثل قول تابط شرا :

فادركنا الثأر منهم ولما ينج مِلْحِيَّين إلا الأقل^(٦)

(١) ديوانه ص ١٧٨ والأغاني ١ / ٣٩٩

(٢) الأغاني ٢ / ١٤١ وأمالى ابن الشجري ١ / ٩٦

(٣) ديوانه ص ١٣٩ والشعر والشعراء ١ / ٢٣٢ والأغاني ٢ / ١٥٠

(٤) ديوانه ص ٧٠ والسيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٩

(٥) الحماسة بشرح المرزوق ق ١٦٠ / ٣ ص ٤٧٦ ونظام الغريب ١٣١ وأمالى ابن

الشجري ١ / ٩٧

(٦) الحماسة بشرح التبريزي ص ٣٨٤

ومثل قول الشاعر :

ألا أبلغ بنسى عوف رسولاً فما ملآن في الطير اعتذاراً^(١)

ومثل قول جميل بن معمر العذري:

وما أنس ملاً شياء لأنس قولها وقد قرئت نضوى أمصر تريد^(٢)

ومثل قول مليح بن الحكم الهذلي :

فلما دنت ملاءرض حتى تقربت إليها وحتى طبقت بالكلاكل^(٣)

ومثل قول المرقش الأكبر :

لم يشج قلبي ملحوادث إلا صاحبي المتروك في تعلم^(٤)

٨- الفعل (استطاع) ومضارعه ، في قوله تعالى : ﴿ فما استطاعوا

أن يظهره وما استطاعوا له نقباً ﴾ (الكهف ١٨ / ٩٧) ؛ وقوله تعالى :

﴿ ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ (الكهف ١٨ / ٨٢) .

ويقول ابن السكيت : « ويقال : ما استطيع ، وما أسطيع ، وما أستيع ،

بمعنى واحد^(٥) . »

ومن أمثلة ورود ذلك في الشعر ، قول عدى بن زيد العبادي :

ولا تقصيرن عن سعي من قد ورثته فما استطعت من خير لنفسك فازددي^(٦)

(١) لسان العرب (منن) ١٧ / ٣١٢

(٢) ديوانه ص ٦٢ والحماسة البصرية ٢ / ١٦

(٣) التمام في تفسير أشعار هذيل ٢٤٠

(٤) الخصائص ١ / ٢٩٦

(٥) القلب والإبدال ٤٦

(٦) ديوانه ق ٢٣ / ٣٠ ص ١٦ والحماسة البصرية ٢ / ٤٩

وقول العباس بن مرداس :

تأبى رفاعة مولاها وأنفسها أن يسلموني ولا يُسْطَاعُ مامَنَعُوا^(١)

وقول المرار :

ويرى دونى فلا يَسْطِيعُنِي خَرَطُ شوك من قَتَادٍ سُمِّهَر^(٢)

وقول يحيى بن زياد الحارثي :

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم نَسْطِيعْ لها عنك مَدْفَعَا^(٣)

٩ — مصغر (ابن) عند إضافته إلى ياء المتكلم . وهذا الحذف

لازم ؛ إذ يقال دائما : « بُنِيٌّ » ، وأصله : « بُنْيٌّ » .

١٠ — مثال : مَيْتٌ ، وَهْيَيْنٌ ، وَلْيَيْنٌ ، ونحوها ؛ إذ تحذف أحيانا ؛

فيقال : مَيْتٌ ، وَهْيَيْنٌ ، وَلْيَيْنٌ . وهذا معناه حذف المقطع : (vi) فراراً من

تكرار الياء .

وقد وردت كلمة : « أَيِّمٌ » بالتخفيف في بيت العجاج :

وبطن أَيِّمٍ وقواما عُسلجا

وقال عنه ابن السكيت : « والأصل : أَيِّمٌ ، فحذف نحو ، لَيِّنٌ

، وَهْيَيْنٌ وَهْيَيْنٌ^(٤) .

١١ — عبارة : أَيِّمُنُ اللهُ ؛ يقال فيها : « أَيِّمُ اللهُ !

(١) تهذيب الألفاظ ٢٦

(٢) المستقصى في الأمثال للزمخشري ٢ / ٨٢

(٣) الحماسة بشرح المرزوق ق ٢٨١ / ٣ ص ٨٦١

(٤) القلب والإبدال ١٧

١٢ — كلمة: لله؛ يقال فيها: «لأه»؛ وذلك كما في قول ذى الإصبع

العدواني:

لِإِبْنِ عَمِّكَ لِأَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَأَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي (١)
«أراد: لله ابن عمك، فحذف لام الجر واللام التي بعدها (٢)».

١٣ — الفعل المضارع إذا كان نونى الفاء وهو مسند لجماعة

المتكلمين. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُجِّى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء ٢١ / ٨٨) في قراءة ابن عامر وعاصم (٣). وفي الآية تخريجات أخرى واهية، ذكرها ابن هشام فقال: «وقد يجيء هذا الحذف في النون. ومنه على الأظهر قراءة ابن عامر وعاصم: وكذلك نُجِّى الْمُؤْمِنِينَ، أصله: تُنَجِّى، بفتح النون الثانية. وقيل الأصل: تُنَجِّى، بسكونها، فأدغمت كإجاصة وإجانة. وإدغام النون في الجيم لا يكاد يعرف. وقيل: هو من نجا ينجو، ثم ضُعِّفت عينه، وأسند لضمير المصدر. ولو كان كذلك لفتحت الياء؛ لأنه فعل ماض (٤)».

وهذا التخريج الثالث في كلام ابن هشام، هو الرأى الوحيد عند الفراء، في قوله: «وقد قرأ عاصم، فيما أعلم: نُجِّى، بنون واحدة ونصب (المؤمنين) كأنه احتمل اللحن، ولانعلم لها جهة إلا تلك؛ لأن مالم يُسَمَّ فاعله إذا خلا باسم رفعه، إلا أن يكون أضمير المصدر في: نُجِّى، فنوى به

(١) الأغاني ٣ / ١٠٥ والمفضليات ق ٣١ / ٤ ص ١٦٠ والاقطصاب ٤٤١ وشرح شواهد

المعنى ١٤٧ وأمالى القالى ١ / ٢٦٠

(٢) انظر: الصحاح (ليه) ٦ / ٢٢٤٨

(٣) انظر: التيسير للداني ١٥٥

(٤) أوضح المسالك ٢٩٣

الرفع ، ونصب (المؤمنين) ، فيكون كقولك : ضُربَ الضربُ زيداً ، ثم تبنى عن الضرب ، فتقول : ضُربَ زيداً . وكذلك : نُجِّيَ النجاءُ المؤمنين (١) .

وقد رد ابن جنى هذا الرأى الذى ارتآه الفراء ، على النحو الذى قدمه ابن هشام من قبل ؛ يقول ابن جنى : « وأما قراءة من قرأ : وكذلك نُجِّيَ المؤمنين ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ، ونصب المفعول الصريح ؛ لأنه عندنا على حذف إحدى نونى : (نُجِّيَ) ، كما حذف ما بعد حرف المضارعة فى قول الله سبحانه : (تَذَكَّرُونَ) أى تتذكرون . ويشهد أيضا لذلك سكون لام (نُجِّيَ) ، ولو كان ماضيا لانفتحت اللام إلا فى الضرورة (٢) » .

وقد أورد ابن الشجرى معظم هذه الأقوال فى أماليه ، ثم قال : « وخطر لى فى هذه القراءة وجه يخرج الفعل من بنائه للمفعول ، وعن إدغام النون فى الجيم ، ولا يخرجها عن قياس العرب ، وهو أن يكون القارئ : نُجِّيَ ، أراد : نُجِّيَ ، مفتوح النون مشدد الجيم ، فحذف النون الثانية كراهة توالى مثلين متحركين ، كما حذف التاء من قرأ : تَذَكَّرُونَ ، خفيف الذال ، حذف التاء الثانية من تَذَكَّرُونَ ، وكما حذفوا بإجماع التاء الثانية من تنزَّل ، وقرءوا كلهم : تنزَّلُ الملائكة والروح (٣) » .

١٤ — مضارع وزن (أفعل) . وأصل كراهة توالى الأمثال هنا فى المضارع المسند إلى ضمير المتكلم ؛ إذ الأصل فيه : « أُؤَكِّرِمُ » ، فصار بعد

(١) معانى القرآن للفراء ٢ / ٢١٠

(٢) الخصائص ١ / ٣٩٨

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ / ٢١٦

حذف أحد المقطعين المتماثلين : « أُكْرِمُ » ، ثم حملت باقى صيغ المضارعة على هذه الصيغة ، طرداً للباب على وتيرة واحدة (١) .

وقد فطن إلى ذلك أبو العباس المبرد ، فقال : « أكرم يُكرم ، وأحسن يُحسن . وكان الأصل : يؤكرم ، ويؤحسن ، حتى يكون على مثال : يدرج ؛ لأن همزة : أكرم مزيدة ، بجذاء دال : دخرج ، وحق المضارع أن ينتظم ما فى الماضى من الحروف ، ولكن حذفت هذه الهمزة ؛ لأنها زائدة ، وتلحقها الهمزة التى يعنى بها المتكلم نفسه ، فتجتمع همزتان ، فكرهوا ذلك وحذفوا إذ كانت زائدة ، وصارت حروف المضارعة تابعة للهمزة التى يعنى بها المتكلم نفسه ، كما حذفوا الواو التى فى : (يَعد) لوقوعها بين ياء وكسرة . وصارت حروف المضارعة تابعة للياء (٢) . »

ويقول ابن جنى فى ذلك : « قولهم : أنا أكرم ، حذفوا الهمزة التى كانت فى : (أكرم) ؛ لئلا يلتقى همزتان ؛ لأنه كان يلزم : أنا أوكرم ، فحذفوا الثانية ، كراهة اجتماع همزتين ، ثم قالوا : نكرم وتكرم ويكرم ، فحذفوا الهمزة ، وإن كان لو جاءوا بها لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أرادوا المماثلة ، وكرهوا أن يختلف المضارع ، فىكون مرة بهمزة وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس فى كلامهم (٣) . »

كما يقول أبو البركات بن الأنبارى : « وكذلك قالوا : أُكْرِمُ ، والأصل فيه : أوكرم ، فحذفوا إحدى الهمزتين استئثقالا لاجتماعهما . وقالوا : نكرم ،

(١) انظر : التطور اللغوى مظاهره وعمله وقوانينه ٧٠ - ٧١

(٢) المقتضب ٩٧ / ٢

(٣) النصف ١ / ١٩٢ وانظر كذلك : شرحان على مراح الأرواح ٥٧

وتكرم ، ويكرم ، والأصل فيها : تؤكرم ، وتؤكرم ، ويؤكرم .. فحذفوا الهمزة ، وإن لم يجتمع فيها همزتان ، حملا على : أكرم ، ليجرى الباب على سنن واحد (١) .

وقد يضطر بعض الشعراء إلى استخدام الأصل ، الذى لا تتوالى فيه الأمثال ؛ مثل قول ليلي الأخيلية :
تَدَلَّتْ عَلَى حُصٍّ ظِمَاءٍ كَأَنَّهَا كُرَاتُ غِلامٍ فِي كِسَاءِ مُؤَرَّبٍ (٢)
ومثل قول الآخر :

وصالياتٍ ككَمَا يُؤْتَفِّينِ (٣)

وقول الثالث :

فإنَّه أَهلٌ لأنَّ يُؤكَّرَما (٤)

(١) الإنصاف لابن الأنبارى ١٤٨

(٢) المنصف ١ / ١٩٢ وانظر ديوانها ق ٤ / ٢١ ص ٥٦

(٣) المنصف ١ / ١٩٢

(٤) المنصف ١ / ٣٧ ؛ ١ / ١٩٢ والإنصاف ٧ ؛ ٤٨ ؛ ٤٦١ وقد نسب العيني هذا الرجز لأبي حيان الفقعسى أو غيره ، فقال فى شرح الشواهد الكبرى (هامش خزانة الأدب ٤ / ٥٧٨) : « قد مرَّ الكلام عليه مستوفى فى شواهد النعت ، وفى شواهد نونى التوكيد » . وهو يقصد بذلك قوله (٤ / ٨٠) :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما

وقوله (٤ / ٣٢٩) :

يحسبه الجاهل مالم يعلما شيخا على كرسيه معمما

وقد وهم فى ذلك العيني ؛ إذ لم يتقدم البيت فى القصيدة التى رواها لأبي حيان الفقعسى (٤ / ٨٠) . وقد رد عليه البغدادي فى « شرح شواهد الشافية » (٤ / ٥٨) ؛ فقال : « وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون : فإنه أهل لأن يؤكرما ، على أنه شاذ ، والقياس : يُكْرَمُ ، بحذف الهمزة . وهذا المقدار أورده الجوهري فى صحاحه فى مادة (كرم) غير معزو إلى قائله ، ولا كتب عليه ابن برى شيئا فى أماليه ، ولا الصفدى فى حاشيته ، وهو مشهور فى كتب العربية =

١٥ — عبارة : وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ، في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ، مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (المائدة ٥ / ٦٠) ؛ فقد عَدَّ لها ابن جنى (١) عشر قراءات مختلفة ؛ إحداها من جهة أحمد بن يحيى ثعلب ، مبنية على كراهة توالي المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات ؛ يقول : « ومن جهته [أحمد بن يحيى] أيضا : وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ، وقال : أَرَادَ عَبَدَةَ ، فحذف الهاء . قال : ويقال : عَبَدَةَ الطَّاغُوتِ وَالْأوثَانِ ، ويقال للمسلمين : عُبَادٌ (٢) . »

ومن الطريف أن الطبري يرى أنه « لوقرىء : وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ، بالكسر ، كان له مخرج في العربية صحيح (٣) » ، ثم يقول : « وإن لم أستجز اليوم القراءة بها ؛ إذ كانت قراءة الحجة من القراءة بخلافها . ووجه جوازها في العربية أن يكون مرادا بها : وَعَبَدَةَ الطَّاغُوتِ ، ثم حذف الهاء للإضافة » . كما يقول الفراء : « وكان أصحاب عبد الله [بن مسعود] يقرءون : وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ، على فَعَلٍ ، ويضيفونها إلى الطَّاغُوتِ ، ويفسرونها : خَدَمَةَ الطَّاغُوتِ . ولو قرأ قارىء : وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ، كان صوابا جيدا ، يريد : عبدة الطَّاغُوتِ ، فيحذف الهاء ، لمكان الإضافة (٤) » .

= قلما خلا عنه . وقد بالغت في مراجعة المواد والمطابن ، فلم أجد قائله ولا تتمته . وقال العينى : تقدم الكلام عليه مستوفى في شواهد باب النعت ، وفي شواهد نونى التوكيد . وأقول : لم يذكره فيهما أصلا ، فضلا عن أن يستوفى الكلام عليه «

(١) في المحتسب ١ / ٢١٤ — ٢١٦

(٢) المحتسب لابن جنى ١ / ٢١٦

(٣) تفسير الطبري ١٠ / ٤٤١

(٤) معانى القرآن للفراء ١ / ٣١٤

والحقيقة أن التاء لم تحذف للإضافة ، كما يرى ذلك الطبرى والفراء ، وإنما حذفت لكرهه توالى المقاطع المتقاربة فى الصفات .

وقد تحمير : « نولدكه » Th.Nöldeke فى معنى هذه الآية ، فظن فيها نوعا من القلب ، وقال فى الفصل الذى كتبه عن « لغة القرآن » فى كتابه : « مقالات جديدة فى علم اللغات السامية » (١) : « وهناك نوع من القلب فى : من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ؛ فإن ترتيب الكلمات على حسب المعنى المراد يكون كالآتى : « من عبد الطاغوت ولعنه ... الخنازير !! »

١٦ — ويشبه الآية القرآنية : عِدَا الأَمْرِ فى قول زهير :
 إِنَّ الخَلِيْطَ أَجْدُوا البَيْنَ فَانْجَرْدُوا وَأُخْلَفُوْكَ عِدَا الأَمْرِ الذى وَعَدُوا(٢)
 فقد قال فيه الجوهري : « أراد : عِدَّة الأَمْرِ ، فحذف الهاء عند الإضافة (٣) » .

★ ★ ★

تلك هى معظم أمثلة ظاهرة كراهية توالى الأمثال فى العربية . ولا تقتصر هذه الظاهرة على العربية وحدها ؛ ففى الفصيحة السامية أمثلة

(١) Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, S.12

(٢) الصحاح للجوهري (وعد) ١ / ٥٤٨

(٣) انظر كذلك : شرحان على مراح الأرواح ١١٦ وألف باء للبلوى ١ / ٤٢٦ واللسان

(غلب) ٢ / ١٤٣ (وعد) ٤ / ٤٧٧

كثيرة لها ؛ مثال ذلك كلمة : āryā في اللغة السريانية ،
بمعنى : « ليث » ؛ أصلها : āryāyā (١).

ومن اللغات الأوربية مثلا كلمة : *der Beamte* بمعنى « الموظف » في
الألمانية ؛ فأصلها : *der Beamtete* (٢) . ومثال ذلك أيضا الكلمة الألمانية :
Stipendium بمعنى : « منحة دراسية » ، فهي مستعارة في القرن السادس
عشر الميلادي من اللاتينية : *Stipendium* بمعنى : « ضريبة » أو « صرف
الأجر » . وهي مركبة في اللاتينية من كلمتين ، وأصلها : *Stipi- pendium*
الكلمة الأولى : *Stips* بمعنى : « مساعدة مالية » أو « تبرع » والثانية :
Pendere بمعنى : « صرف » (٣).

وليس الحذف هو السبيل الوحيد للفرار من كراهة توالي الأمثال في
العربية ؛ بل هناك طريق آخر هو قلب أحد الصوتين المتماثلين صوتا آخر ،
يغلب أن يكون من الأصوات المتوسطة المائعة ، أو من أصوات العلة ، وهو
ما يسمى « بالمخالفة الصوتية » *Dissimilation* . وهناك طريق ثالث ، هو إيجاد
فاصل بين الصوتين المتماثلين ، يخفف من ثقل اجتماعهما ، كما هو الحال في
توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ، إذ تزيد فيه اللغة العربية ألفا بين نون
النسوة ونون التوكيد . وهذه الألف يسميها الصرفيون بالألف الفارقة .

(١) انظر كتاب « موسكاتي » : S.Moscati ,An Introduction, P. 62 . وكتاب

« بروكلمان » : C. Brockelmann, Syrische Grammatik, S. 42 .

(٢) انظر قاموس : Der Sprach - Brockhaus, S.61 يقول : (eigentlich der Beamtete.)

Lutherzeit.)

(٣) F.Kluge, Etymologisches Wörterbuch der deutschen Sprache برلين ١٩٦٠ ص

وقد لخص جلال الدين السيوطي كل هذه الحالات الثلاث أحسن تلخيص ، فقال (وهو يسمى المخالفة بالقلب) : « اجتماع الأمثال مكروه ، ولذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل ؛ فمن الأول : قالوا في دهدت الحجر : دهديت ، قلبوا الهاء الأخيرة ياء ، كراهة اجتماع الأمثال . وكذلك قولهم في : حاحا زيد : حيحًا زيد ، قلبوا الألف ياء لذلك . وقال الخليل : أصل (مهما) الشرطية : ماما ، قلبوا الألف الأولى هاء ، لاستقباح التكرير ... وكذلك : دينار ، ودياج ، وقيراط ، وديماس ، وديوان ، أصلها : دِنَّار ، وِدِبَّاج ، وِدِوَّان ، قلب أحد حرفي التضعيف ياء لذلك . ولبَّى أصله : لَبَّبَ ، قلبت الباء الثانية ، التي هي اللام ياء ، هربا من التضعيف ، فصار : لَبَّبَى ، ثم أبدلت الياء ألفا ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار : لَبَّبَى . » ومن الثاني : حذف أحد مثلي ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ وَأَحْسَسْتُ ، فقالوا : ظَلَّتْ ، وَمَسَّتْ ، وَأَحْسَتْ . وحذف إحدى الياءين من : سَيِّد ، ومَيِّت ، وهَيِّن ، ولَيِّن . وقيل : وهو مقيس على الأصح . وقال ابن مالك : يحفظ ولا يقاس عليه ...

« ومن ذلك (الثالث) قال ابن عصفور : لم تدخل النون الخفيفة على الفعل ، الذي اتصل به ضمير جمع المؤنث ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين ، وهو ثقيل فرفضوه لذلك ، ولم يمكنهم الفصل بينهما بالألف ، فيقولون : هل تضرينان ؟ لأن الألف إذا كان بعدها ساكن غير مشدد حذف ؛ فيلزم أن يقال : هل تضرينن ؟ فتعود إلى مثل ما فررت منه ؛ فلذلك عدلوا عن إلحاق الخفيفة ، وألحقوا الشديدة ، وفصلوا بينهما وبين نون الضمير بالألف ، كراهية اجتماع الأمثال ؛ فقالوا : هل تضرينان ؟ (١) . »

الفصل الثاني رأى في تفسير الشواذ في لغة العرب

كثيرا ماتقابلنا في كتب النحو العربي عبارة : « وهي لغة شاذة » (١) .
وقد اجتهد علماء العرب في تعريف هذا الشاذ ، وحصر أمثله المختلفة (٢) ،
غير أنهم لم يذكروا شيئا عن الأسباب ، التي تؤدي إلى وقوع الأمثلة الشاذة ،
في لغة من اللغات .

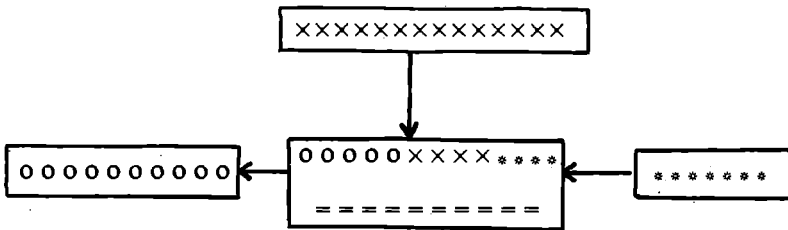
وقبل أن نعرف شيئا عن أهم الأسباب ، التي يحدث من أجلها الشاذ
في اللغة ، نود أن نؤكد هنا شيئا ، فرغ منه المحدثون من علماء اللغات ، منذ
فترة طويلة ، وهو أن اللغة كائن حي ؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها ،
وهم من الأحياء (٣) ؛ وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن ، فهي عبارة عن
سلسلة متلاحقة الحلقات ، يسلم بعضها إلى بعض ، وكل حلقة منها تتكون
من مجموعة من الظواهر المطردة القواعد ؛ لأن كل لغة لا بد لها من منطق
معين ، حتى تصلح لكي يتفاهم بها أهلها . وهذا المنطق هو ما نطلق عليه
اسم : « القواعد المطردة » .

(١) انظر مثلا : شرح ابن عقيل ١ / ٧١ ؛ ١ / ٧٥ ؛ ١ / ٧٩ ؛ ١ / ١٢٤ ؛ ١ / ١٣٠ ؛
١ / ٢٦٦ ؛ ١ / ٢٧١ ؛ ١ / ٤٢٦ ؛ ٢ / ١٢ ؛ ٢ / ٣٨ ؛ ٢ / ١٨٨ ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٥٥
والعيني على هامش الخزانة ٤ / ٩٤ والمرئيل لابن الخشاب ٢٦ وغير ذلك .
(٢) انظر في ذلك : الخصائص ١ / ٩٦ ؛ ١ / ١١٦ ؛ ١ / ٢٦٦ والاقتراح ٢٠ والأشباه
والنظائر ١ / ٢١٤ والمزهر ١ / ٢٢٦
(٣) انظر مثلا ما كتبه « يسبرسن » O. jespersen عن « حياة اللغة » في مقدمة كتابه :

غير أننا نلاحظ في كل حلقة من حلقات التطور اللغوى ، أمثلة شاذة عن تلك القواعد المطردة . ويرجع السبب في وجودها في اللغة ، في غالب الأحيان ، إلى واحد من ثلاثة أمور ؛ فإما أن تكون تلك الشواذ ، بقايا حلقة قديمة ، ماتت واندثرت ، وهو مانسميه نحن : « الركام اللغوى للظواهر المندثرة في اللغة » . وإما أن يكون هذا الشاذ بدايةً وإرهاصاً لتطور جديد ، لظاهرة من الظواهر ، تسود حلقة تالية ، وتقضى على سلفها في الحلقة القديمة . وإما أن يكون ذلك الشاذ ، شيئاً مستعاراً من نظام لغوى مجاور .

وكل مثال شذّ لسبب من الأسباب الثلاثة السابقة ، على القواعد المطردة ، في حلقة من حلقات التطور اللغوى ، إنما كان مطرداً في بيئته ، ومتوافقاً مع القواعد السائدة في تلك البيئة ؛ فالركام اللغوى ، كان أمراً مطرداً في تلك الحلقة ، التى بادت واندثرت . وبدايات التطور في ظاهرة من ظواهر اللغة ، نراها سائدة مطردة بعد ذلك ، في حلقتها الجديدة ، التى آلت إليها لغة من اللغات . وكذلك تلك الأمثلة المستعارة في أية لغة ، من نظام لغوى مجاور ، هى شاذة هنا ، غير أنها قد تكون مطردة تمام الاطراد ، في ذلك النظام اللغوى المجاور .

والشكل التالى يبين كل هذه الأمور بوضوح ، مع ملاحظة أن العلامة (*) تعنى المرحلة المندثرة ، والعلامة (=) تعنى المرحلة الحالية ، والعلامة (o) تعنى : المرحلة التالية ، والعلامة (x) تعنى : النظام اللغوى المجاور :



واصطلاح « الركام اللغوى » اصطلاح صنعناه نحن ، قياسا على :
« الركام الحجرى » ؛ ذلك الاصطلاح الجغرافى ، الذى يعنون به تلك
الأحجار ، التى تجرفها السيول والانهار الثلجية ، من مكان إلى مكان .
أما نحن فنعنى بمصطلحنا « الركام اللغوى » بقايا الظواهر اللغوية
المندثرة ؛ لأننا نعتقد أن الظاهرة اللغوية الجديدة ، لاتمحو الظاهرة القديمة بين
يوم وليلة ؛ بل تسير معها جنبا إلى جنب مدة من الزمن ، قد تطول وقد
تقصر ، وهى حين تتغلب عليها ، لاتنقضى على أفرادها قضاء مبرما ، بل
يتبقى منها بعض الأمثلة ، التى تصارع الدهر ، وتبقى على مر الزمن .
ومن أمثلة ذلك : مراحل تطور الأفعال المعتلة فى اللغة العربية ،
وأخواتها اللغات السامية ؛ فقد تركت بعض هذه المراحل ركاما لغويا فى تلك
اللغات هنا وهناك .

ونعنى بالأفعال المعتلة ما كان منها (أجوف) ؛ مثل : قال ، وباع ،
وخاف ، وطال ، أو (ناقصا) ؛ مثل : دعا ، وقضى ، أو من نوع (اللفيف
المقرون) ؛ مثل : رَوَى ، وهَوَى ؛ فإن كل هذه الأفعال ، وما شابهها ،
بصورتها التى ذكرناها هنا ، تعدّ آخر مرحلة من مراحل تطورها فى اللغات
السامية .

أما أولى هذه المراحل ؛ فإنها كانت : قَوْلٌ ، وَيَبِعُ ، وَخَوْفٌ ،
وَطَوَّلُ ، وَدَعَوُ ، وَقَضَى ، وَرَوَى ، وَهَوَى ، على نمط الصحيح تماما . وهذه
المرحلة بقيت كما هى فى اللغة الحبشية ^(١) ، فى بعض الأفعال الجوفاء ، وفى
كل الأفعال الناقصة ، أو من نوع اللفيف المقرون ؛ مثال الأجوف فيها :

(١) انظر : A.Dillmann , Grammatik der äthiopischen Sprache 163-165 .

bayana «تحقق» ؛ ٨٢٦ م dayana «دان» .
 ومثال الناقص : ٨١٥ هـ ṣaḥawa «صحا» ؛ ٤٥٥ م ramaya
 «رمى» . ومثال اللفيف المقرون : ٢٥٢ م dawaya «مرض» ؛
 rawaya «رَوَى» . ٤٥٢ م

وقد بقيت من هذه المرحلة ، عدة أفعال في العربية ، مثل : «عَوَرَ»
 بمعنى : فقد إحدى عينيه ؛ و «حَوَرَ» ، والحَوَر : نقاء بياض العين واشتداد
 سوادها ؛ و «هَيَّفَ» بمعنى : ضَمَّر بطنه ، و «استحوذ» في مثل قوله
 تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ (المجادلة ٥٨ /
 ١٩) ؛ و «اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ» ، وهو مثل عرني ، يقال إن «طرفة بن العبد»
 هو أول من قاله ، حين سمع «المتملس» ينشد شعرا له ، ويقول فيه :
 وقد أَنَسَى الهمَّ عند احتضاره بناج عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مَكْدَمٌ (١)
 والصيعرية : سَمَّةُ للنوق ، فجعلها المتملس للجمال ، وسمعه طرفة ينشد
 البيت ، فقال : استنوق الجممل ، فضحك الناس ، وسارت مثلا .

أما المرحلة الثانية في تطور هذه الأفعال المعتلة ، فهي مرحلة
 التسكين ، أو ضياع الحركة بعد الواو والياء للتخفيف ، فيصبح الفعل على
 نحو : قَوَّلَ ، وَيَبَّعَ ، وَخَوَّفَ ، وَقَضَى ، وَرَمَى ... الخ .

وقد فطن العلامة «ابن جنى» بحسَّه اللغوى ، إلى ضرورة وجود هذه
 المرحلة في طريق تطور الأفعال المعتلة ؛ فقال : «ومن ذلك قولهم : إن أصل
 قام : قَوْمٌ ، فأبدلت الواو ألفا ، وكذلك : باع ، أصله : يَبَّعَ ، ثم أبدلت الياء

(١) انظر : الصناعتين ، لأبى هلال العسكري ٩٢

ألفا ، لتحركها وانفتاح ما قبلها . وهو لعمرى كذلك ، إلا أنك لم تقلب واحدا من الحرفين إلا بعد أن أسكنته ، استثقالا لحركته ، فصار إلى : قَوْمٌ ، وَيَبَعٌ ^(١) .

وقد بقيت هذه المرحلة عند قبيلة طيء ؛ فقد روى لنا عنها أنها تقول مثلا : « حُبَلْنِي » و « أَفْعَى » و « هُدَى » ، وما شابه ذلك ، في الوصل والوقف ^(٢) . وأغلب الظن أن الراجز الذي قال :

وفرَّجٍ مِنْكَ قَرِيبٍ قَدْ أَتَى

وزميله الذي قال :

يَمْنَعُهُنَّ اللَّهُ مِمَّنْ قَدْ طَعَى

إنما كانا من شعراء هذه القبيلة كذلك ^(٣) .

ولعل هذه الظاهرة كانت شائعة عند قبيلة « هذيل » كذلك ؛ لأنهم كانوا عندما يضيفون المقصور إلى ياء المتكلم ، في مثل : « هُدَايَ » و « هَوَايَ » وغيرهما ، يقولون : هُدَى (= هُدَى + يَ) ، وهَوَى (= هَوَى + يَ) وغير ذلك . وعلى لغتهم جاء قول أبي ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوَى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهِمُ فَتَخْرُمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ ^(٤)

كما أننا نلاحظ أن تسكين الوسط للتخفيف ، روى لنا في العربية كثيرا ، وقالوا عنه إنه « لغة بني بكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم ^(٥) ، كما

(١) الخصائص ٢ / ٤٧١ — ٤٧٢ وانظر كذلك : شرح مراح الأرواح ١٢٢

(٢) انظر: كتاب سيبويه ٢ / ٢٨٧ ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٧

(٣) انظر: المنصف لابن جنى ١ / ١٦٠ ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٧

(٤) شرح ديوان الهذليين ١ / ٧ وانظر معاني القرآن للزجاج ١ / ٨٧

(٥) انظر: شرح شواهد الشافية ٤ / ١٥

- يروى عن قبيلة ربيعة كذلك (١) . ومن أمثله قول القطامي :
- إذا هَدَرَت شِقَاشِقُهُ وَنَشَبَتْ لَهُ الْأَظْفَارُ تُرْكٌ لَهُ الْمُدَارُ (٢)
- وقول القطامي كذلك :
- أَلَمْ يُخْزِرِ التَّفَرُّقُ جُنْدَ كِسْرَى وَنَفَعُوا فِي مَدَائِمِهِمْ فَطَارُوا (٣)
- وقول الأخطل :
- وَمَا كُلُّ مَغْبُونٍ وَلَوْ سَلَفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعٍ مَا قَدَ فَائَهُ بِرَادِدٍ (٤)
- وقول الأخطل كذلك :
- فَإِنْ أَهْجَهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ مِنَ الْأَدَمِ ذَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهُ (٥)
- وقول الشاعر :
- وَقَالُوا تَرَابِيٌّ فَقُلْتُ صَدَقْتُمْ أَبِي مِنْ تَرَابٍ خَلَقَهُ اللَّهُ آدَمًا (٦)
- وقول الآخر :
- فَإِنَّ النَّبِيذَ الصَّرْدَ إِنْ شَرِبَ وَحْدَهُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَحْرَقَ الْكَبِدَ جَوْعُهَا (٧)
- وقول أبي خراش الهذلي :

(١) انظر : الصاهل والشاحج ٤٤٠ ؛ ٤٨٦ ؛ ٦٦٦

(٢) ديوانه ق ٢٩ / ٥٧ ص ٨٦ وانظر البيت برواية أخرى في الصاهل والشاحج ٤٤٠

(٣) شرح شواهد الشافية ٤ / ١٥ وفي ديوانه ق ٢٩ / ٣٩ ص ٨٤ : « وأجلوا عن

مدائيمهم » . وفي هامشه عن إحدى نسخ الديوان الخطية : « ونفخوا » .

(٤) ديوانه ص ١٣٧ وشرح شواهد الشافية ٤ / ١٨ ورسالة الغفران للمعري ٣١٢

والخصائص ٣ / ٣٣٨

(٥) ديوانه ص ٢١٧ والكمال ٣ / ١٧٧ والصاهل والشاحج ٤٨٦ وإصلاح المنطق ٣٦

(٦) البيت في أمثال أبي عكرمة ١٢٨ مع مصادر أخرى في هامشه .

(٧) الصاهل والشاحج ٤٤٠

ولحمٍ امرئٍ لم تَطْعَمِ الطيرُ مثله عَشِيَّةَ أمسى لائيين من البكم^(١)

وقول الشاعر :

ألا يالـيـتـها لُدغَتْ وأدعى كيم ذى أرقمى^(٢)

وقول أبى النجم العجلى :

لو عُصِرَ منها البانُ والمِسْكُ انْعَصَرَ^(٣)

وقوله كذلك :

حتى إذا مارضى من كإها^(٤)

وقول الراجز :

رُجِمَ به الشيطانُ فى هوائه^(٥)

وقول الآخر :

قالت أراه دالفاً قد دُنِيَ لَه^(٦)

ومن أمثال العرب قولهم : « لم يُحْرَمَ من فُصْدٍ له »^(٧).

والمرحلة الثالثة فى تطور الأفعال المعتلة ، هى تلك المرحلة التى تسمى

فى عرف اللغويين المحدثين : « انكماش الأصوات المركبة »^(٨) Kontraktion

der Diphthonge والأصوات المركبة فى العربية هى : الواو والياء المسبوقتان

(١) شرح ديوان الهذليين ٣ / ١٣٤٥ وشرح شواهد الشافية ٤ / ١٨

(٢) الصاهل والشاحج ٤٨٦

(٣) شرح شواهد الشافية ٤ / ١٥ وإصلاح المنطق ٣٦

(٤) الصاهل والشاحج ٦٦٦

(٥) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٨

(٦) اتمام فى تفسير أشعار هذيل ٢٢٣ واللسان (دنا) ١٨ / ٣٠

(٧) انظر : كتاب الأمثال لمؤرج السدوسى ٥٠ مع مصادر أخرى فى هامشه .

(٨) انظر : C.Brockelmann, Syrische Grammatik 32 ff.

بافتحة ، في مثل : « قَوْل » و « بَيْت » ، فإن الملاحظ في تطور اللغات ، هو انكماش هذه الأصوات ، فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة مماله ؛ كقولنا في اللهجة المصرية مثلا : nōm و yōm و sōm بدلًا من : « يَوْم » و « نَوْم » و « صَوْم » . وكذلك تنكمش الياء المفتوح ما قبلها ، فتتحول إلى كسرة طويلة مماله ؛ كقولنا في اللهجة المصرية مثلا : lel و zet و bet بدلًا من : « بَيْت » و « لَيْل » و « زَيْت » وغير ذلك .

وهذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية ، في الأفعال الجوفاء (١) ؛ ففيها مثلا : kōma « قام » ؛ šeta « باع » وغير ذلك . كما توجد هذه المرحلة أيضا ، في اللهجات العربية التي تُسمِل ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَالصَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، ماودعك ربك وماقَلِي ﴾ في قراءة من أمال (٢) . وفي ذلك يقول الزجاج : « والإمالة إلى الكسر ، لغة بني تميم وكثير من العرب . ووجهها أنها الأصل في ذوات الياء ، فأميلت لتدل على ذلك » (٣) .

أما المرحلة الرابعة والأخيرة في تطور تلك الأفعال المعتلة ، فتمثل في التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص ؛ ذلك أن الحركة المماله الناتجة من انكماش الصوت المركب ، كثيرا ما تتطور في اللغات المختلفة ، فتتحول إلى فتحة طويلة (٤) ؛ فمثلا كلمة : « فَائِن » تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى : « فَيْن » fēn ، بدلًا من : « فَيْن » ، وفي بعض اللهجات : « وَيْن »

(١) انظر : F.Praetorius, Aethiopische Grammatik 79

(٢) انظر : التيسير في القراءات السبع ٢٢٣

(٣) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٤٤

(٤) انظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٥١

wen المتطورة عن : « وَيْن » بعد سقوط المهمز من : « وَاَيْنَ » . غير أننا نسمع بعض أهالي مصر العليا ، ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص ؛ فيقولون : « فان » بدلا من : « فَيْن » fēn الشائعة فيما عدا ذلك في بلاد مصر ، أى أن التطور في هذا الصوت المركب ، كان على النحو التالي : ay < ē < ā .

وهذا التطور الأخير ، هو الذى وصلت إليه العربية في مثل : « قام » و « باع » و « خاف » و « دَعَا » و « قَضَى » و « رَمَى »^(١) . كما وصلت إليه اللغة العبرية في مثل : נָפַח šat «وضع» ؛ קָרַם rām «ارتفع» ؛ גָּרַגār «سكن» ؛ לָאָסָāśā «صنع» ؛ לָאָנָānā «أجاب» ؛ גָּלָגālā «جلا» . وإلى مثل ذلك وصلت اللغة الآرامية ، في نحو : صُرع kām « قام » ؛ נָחַחāt «خاط» ، صُرع sām «وضع» ؛ זָמַרmā «رمى» ؛ בָּנָbnā «بنى» ؛ כָּרָkrā «دعا / سمى» .

وقد حدث مثل ذلك في لغة طيبء ، في الأفعال المعتلة المكسورة العين في الماضي كذلك ؛ مثل قولهم : « رَضَا » في : « رَضِيَ » ، و « فَنَّا » في : « فَنَيْ » ، و « هُدَا » في : « هُدِيَ » وغير ذلك^(٢) .

تلك هى مراحل تطور الأفعال المعتلة ، وقد رأينا كيف خلفت تلك المراحل ركاما لغويا ، في العربية الفصحى ، واللغات السامية ، واللهجات العربية المختلفة . ومن كل ذلك نرى أن مايقوله النحاة من أن (قال) مثلا ، أصلها : (قَوْل) ، صحيح ، بصرف النظر عن تعليلهم هذا ، بتحريك الواو

(١) انظر أيضا : C.Rabin, Ancient West -Arabian 160 .

(٢) انظر : كتاب سيويه ٢ / ٢٩٠ وخزانة الأدب ٤ / ١٤٩

وانفتاح ما قبلها ، وإن كان ابن جنى مثلاً يزعم أن ذلك الأصل لم يوجد في العربية يوماً ما ؛ إذ عقد في « الخصائص » باباً سماه : « باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديراً وحكما لازمانا ووقتا » ، وقال فيه : « هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه ، لاحقيقة تحته ؛ وذلك كقولنا : الأصل في قام : قَوْمٌ ، وفي باع : بَيْعٌ ... وفي استقام : استَقْوَمَ .. فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها — مما يُدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه — قد كان مرة يقال ، حتى إنهم كانوا يقولون في موضع : قام زيد : قَوْمَ زيد ، وكذلك نَوْمَ جعفر ، وطَوَّلَ محمد ... وليس الأمر كذلك ، بل بضده ؛ وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه . وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا ، أنه لوجاء مجيء الصحيح ولم يُعلل ، لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك ، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر (١) .

ويحاول ابن جنى أن يؤكد فكرته تلك مرة أخرى في كتابه : « سر صناعة الإعراب » . غير أنه يعود فيعترف بأن الظاهرة اللغوية القديمة ، قد تبقى منها أمثلة تعين على معرفة الأصل ، وهو مانسميه هنا : « بالركام اللغوي » ؛ يقول ابن جنى : « فبهذا ونحوه استدل أهل التصريف على أصول الأشياء المغيرة ، كما استدلوا بقوله عز اسمه : استحوذ عليهم الشيطان ، على أن أصل استقام : استَقْوَمَ ، وأصل استباع : استَبَيْعَ ، ولولا ما ظهر من هذا ونحوه ، لما أقدموا على القضاء بأصول هذه الأشياء ، ولما جاز ادعاؤهم إياها (٢) » .

(١) الخصائص ١ / ٢٥٦

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٤ كما يقول المبرد في المقتضب ٢ / ٩٧ : « وقد يجيء في الباب الحرف والحرفان على أصولهما ، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ، ليدل على أصل الباب ، فمن ذلك : استحوذ عليهم الشيطان ، وأغليت المرأة » .

وهكذا نرى ابن جنى ، لا يريد أن يعترف بوجود الأصل القديم لهذه الظاهرة في الواقع اللغوي ، غير أنه حين عثر على مثال من « الركام اللغوي » وهو قوله تعالى : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ اضطر إلى الاعتراف به .

★ ★ ★

ومن أمثلة « الركام اللغوي » كذلك ، مانعرفه من إلحاق الفعل علامة تنثية أو جمع في بعض ما روى لنا من أمثلة في العربية ؛ فمن المعروف في العربية الفصحى ، أن الفعل يجب إفراده دائما ، حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعا ، أى أنه لا تتصل به علامة تنثية ولا علامة جمع ، للدلالة على تنثية الفاعل أو جمعه ؛ فيقال مثلا : « قام الرجل » و « وقام الرجلان » و « قام الرجال » ، بإفراد الفعل : « قام » دائما ؛ إذ لا يقال في الفصحى مثلا : « قاما الرجلان » ولا « قاموا الرجال » .

وعلى هذا النحو ، جاءت جمهرة الجمل الفعلية في القرآن الكريم ؛ يقول الله تعالى مثلا : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾ (آل عمران ١٤٦ / ٣) ولم يقل : قاتلوا معه . كما قال جل شأنه : ﴿ إذ هممت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ (آل عمران ١٢٢ / ٣) ولم يقل : همتا طائفتان .

تلك هي القاعدة المطردة في العربية الفصحى شعرا ونثرا . غير أنه قد وردت في كتاب الله تعالى بعض آيات ، لحق الفعل فيها علامة جمع للفاعل المجموع ، كقوله تعالى : ﴿ ثم عمموا وصمموا كثير منهم ﴾ (المائدة ٥ / ٧١) ، وقوله عز وجل : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ (الأنبياء ٣ / ٢١) .

وقد أكثر النحويون والمفسرون وعلماء اللغة العرب ، القول في تخریج هاتين الآيتين الكریمتین ؛ فقد قال الإمام القرطبي ، في تفسير الآية الأولى مثلاً : « ثم عموا وضموا كثير منهم ، أى عمى كثيرٌ وصمَّ ، بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه السلام ، فارتفع (كثير) على البدل من الواو ، كما تقول : رأيت قومك ثلثيهم . وإن شئت كان على إضمار مبتدأ ، أى العُمى والصُّمُّ كثير منهم . ويجوز أن يكون على لغة من قال : أكلوني البراغيث (١) .

كما قال في الآية الثانية : « وأسروا النجوى الذين ظلموا ، أى تناجوا فيما بينهم بالكذب ، ثم بيّن من هم ، فقال : الذين ظلموا ، أى الذين أشركوا ، فالذين ظلموا بدل من الواو في (أسروا) ، وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم . قال المبرد : وهو كقولك : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله ، فبنو بدل من الواو في : انطلقوا . وقيل : هو رفع على الذم ، أى هم الذين ظلموا . وقيل : على حذف القول ، أى يقول الذين ظلموا . وقول رابع : أن يكون منصوباً بمعنى : أعنى الذين ظلموا . وأجاز الفراء أن يكون خفضاً بمعنى : اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ، فهذه خمسة أقوال . وأجاز الأخفش الرفع على لغة من قال : أكلوني البراغيث ، وهو حسن . وقال الكسائى : فيه تقديم وتأخير ، ومجازه : والذين ظلموا أسروا النجوى (٢) .

تلك هى آراء المفسرين والنحاة واللغويين العرب ، في هذه الظاهرة ، وهم فيها مقلّبون لكل الأوجه الممكنة في العربية ، من التخریج والتأويل . غير

(١) تفسير القرطبي ٦ / ٢٤٨

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٦٨ وانظر معانى القرآن للفراء ١ / ٣١٦

أن مقارنة اللغات السامية ، أخوات العربية ، تؤدي إلى معرفة أن الأصل في تلك اللغات ، أن يلحق الفعل علامة التثنية والجمع للفاعل المثني والمجموع ، كما تلحقه علامة التأنيث ، عندما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء (١) .

ففى اللغة العبرية مثلا : $\text{וַיִּבְרָא גַם שְׁנֵהֶם}$: $\text{wayyāmōtū gam šnēhem}$ $\text{מַחֲלוֹן וְקִלְיוֹן}$: maḥlōn w-kilyōn وترجمته الحرفية : « فماتا كلاهما محلون وكليون (٢) » . ومثل ذلك أيضا فيها : $\text{לֹא יִבְרָא בְּנֵי בְּלִיָּהּ}$: lō yākōmū ršāfīm בַּמִּשְׁפָּט : bammišpāt وترجمته الحرفية : « لايقومون الأشرار بالعدل (٣) » .

ومثل ذلك فى الآرامية فى مثل : $\text{ܕܠܡܐ ܢܘܪܝܢ ܗܪܢܐ ܒܬܬܐܟܝܢ}$: $\text{dalmā ngūrūn ḥrānē battāk}$ وترجمته الحرفية : « لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك (٤) » . وكذلك الحال فى الحبشية فى نحو : ወሐሐ ለሌሎች ማህረር ነው : $\text{wahōrū 'ahzāb wabazhū}$ وترجمته الحرفية : « فعادوا الشعوب (٥) » . ومثل ذلك أيضا فيها : ወሌዕደም : welūdōmū وترجمته الحرفية : « وكثروا أطفالهم (٦) » .

(١) هذا على العكس مما يراه بروكلمان Grundriss II 173 من أن ظواهر المطابقة تختلف فى كل لغة من اللغات السامية ، كاختلاف نظام الجملة فيها ، وأنها لا تستطيع إرجاع إحدى استعمالاتها فى هذين الأمرين إلى السامية الأم !

(٢) سفر رو١ / ٥

(٣) سفر المزامير ٥ / ١

(٤) أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم ٣٣ / ١

(٥) انظر : F.Praetorius, Aethiopische Grammatik, Chrestomathia 41

(٦) انظر : F.Praetorius, Aethiopische Grammatik, Chrestomathia 42

وقد تخلصت العربية الفصحى ، من هذه الظاهرة رويدا رويدا ، غير أن بقاياها ظلت حية عند بعض القبائل العربية القديمة ، كما بقيت بعض أمثلتها في الفصحى ، وهو مانسميه هنا بالركام اللغوى . وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة العرب بلغة « أكلوني البراغيث » ، وقد عرفت بهذا الاسم ؛ لأن سيبويه هو أول من مثل لها في كتابه ، واختار هذا المثال فقال : « في قول من قال : أكلوني البراغيث »^(١) ، كما قال في موضع آخر : « ومن قال : أكلوني البراغيث ، قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه »^(٢) . وإن كان قد ضرب لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابه ، فقال : « واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبها هذه بالتاء التى يظهرنها في : قالت فلانة ، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة ، كما جعلوا للمؤنث علامة ، وهى قليلة »^(٣) .

وقد حكيت هذه اللغة عن قبيلة « بلحارث بن كعب » ، كما حكاها أهل البصرة عن قبيلة « طيبىء » ، وبعض النحاة يحكيها عن قبيلة « أزد شؤنة »^(٤) . وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة فى كثير من اللهجات العربية الحديثة ؛ كقولنا مثلا فى لغة الخطاب فى مصر : « ظلموني الناس » و « زارونا الجيران » وغير ذلك . كما بقيت بعض أمثلتها فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، واحتفظ بها الكثير من أبيات الشعر العربى القديم .

(١) كتاب سيبويه ١ / ٥

(٢) كتاب سيبويه ١ / ٢٣٧

(٣) كتاب سيبويه ١ / ٢٣٦

(٤) انظر : الجنى الدانى للمرادى ١٧١

أما القرآن الكريم ، فقد سبق الحديث عما فيه من أمثلة هذه الظاهرة . ومما جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ^(١) ، بدلا من : « تتعاقب فيكم ملائكة » وإن كان بعض العلماء يرى في هذا الحديث أنه مختصر من حديث طويل ، وأن الواو فيه ضمير يعود على اسم ظاهر متقدم ، وليس علامة جمع ، وأن أصل الحديث : « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ^(٢) » .

أما أبيات الشعر القديم ، التي وردت فيها هذه الظاهرة ، فما أكثرها في دواوين الشعر العربي . ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن ملقط الطائي ، وهو شاعر جاهلي :

أُفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيهِ ^(٣)

بدلا من : ألفت عيناك . ومثله قول أمية بن أبي الصلت :

يلومونني في اشتراء النَّخِيـمِ لَأَهْلِي فَكَلَّهْم يَعْزِلُ ^(٤)

بدلا من : يلومني أهلي . وكذلك قول أبي عبد الرحمن العتبي :

رَأَيْتِ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحٍ بِعَارِضِي فَأَعْرَضْنَ عَنِي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ ^(٥)
أى : رأيت الغواني . كما يقول الفرزدق :

(١) انظر : معنى اللبيب ٢ / ٣٦٥

(٢) انظر : شرح الأشموني على الألفية ٢ / ٤٨

(٣) شرح شواهد الغنى ١١٣

(٤) ديوانه ص ١٦ والدرر اللوامع ١ / ١٤٢ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦ وفي شرح شواهد

المغنى ٢٦٥ : « عزاه السخاوي في المفصل إلى أحيحة بن الجلاح » .

(٥) العيني على هامش الخزانة ٢ / ٤٧٣

ولكن دَيَافِيُّ أبوه وأمه بِحُورَانَ يَعْصِرَنَّ السَّلِيْطَ أَقَارِبَهُ (١)

أى : يعصر أقاربه . ويقول ابن قيس الرقيات :

تَوَلَّى قِتَالَ المَارْقِينَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدًا وَحَمِيمًا (٢)

أى : أسلمه مبعده وحميم . وكذلك يقول عروة بن الورد :

دَعَيْتَنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتَ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدَهُمْ وَأَهْوَنَهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِن كَانَا لَهُ نَسَبٌ وَخَيْرٌ (٣)

أى : كان له نسب وخير . ومثله قول مجنون ليلى :

وَلَوْ أَحْدَقُوا بِي الْإِنْسُ وَالْجِنُّ كُلَّهُمْ لَكِي يَمْنَعُونِي أَنْ أَجِيكَ لَجِيْتُ (٤)

أى : ولو أحدق الإنس والجن . وإنما أطلنا في ذكر هذه الأمثلة ،

لنبرهن على شيوع الظاهرة في الشعر العربي .

ومن « الركام اللغوى » كذلك ، مجيء ماتصرف من « أفعل »

بالهمزة ، في مثل قول ليلى الأخيلىة :

تَدَلَّتْ عَلَى حُصَّ ظِمَاءٍ كَأَنَّهَا كَرَاثُ غَلَامٍ فِي كِسَاءٍ مُؤَرَّبٍ (٥)

(١) ديوانه ص ٥٠ وكتاب سيويه ١ / ٢٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١ / ١٣٣ وشرح ابن

يعيش ٣ / ٨٩

(٢) ديوانه ق ٣٥ / ٢ ص ١٩٦

(٣) ديوانه ص ٩١

(٤) ديوانه ق ٥٨ / ٤ ص ٧٤

(٥) ديوانها ق ٤ / ٢١ ص ٥٦ والمصنف ١ / ١٩٢

وقول الراجز :

وصالياتٍ ككما يُؤنَّفِينُ (١)

وقول الآخر :

فإنه أهلٌ لأن يُؤكَّرَمَا (٢)

وقد تخلصت العربية الفصحى من الهمز في هذه الأمثلة وما شابهها ، بسبب ما يسمى « كراهة توالى الأمثال في أبنية العربية » . وتحقق هذه الكراهة في الأصل في المضارع المسند إلى ضمير المتكلم ؛ إذ الأصل فيه : « أُؤكِّرُم » فصار بعد حذف أحد المقطعين المتماثلين : « أُكِّرُم » ، ثم حملت باقى صيغ المضارعة والتصارييف الأخرى ، على هذه الصيغة ، طرداً للباب عل وتيرة واحدة (٣) . ومع ذلك بقيت من « الركام اللغوى » لهذه الظاهرة ، تلك الأمثلة السابقة .

★ ★ ★

وإذا كانت العربية الفصحى ، قد آثرت تطبيق نظرية « المخالفة النوعية بين الحركات » فى جمع المؤنث السالم ، الذى ينصب بالكسرة بدلا من الفتحة (٤) ، فإن الأصل وهو النصب قد بقى لنا فى شىء من الركام اللغوى ، فيما روى لنا عن أبى خيرة الأعرابى ، أنه قال : « استأصل الله عِرْقَاتِهِمْ (٥) » ، وفيما رواه الكوفيون عن بعض العرب من قولهم : سمعت لغاتهم ، وقول الرياشى : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراتهم (٦) .

(١) المنصف لابن جنى ١ / ١٩٢

(٢) الإنصاف ٧ ؛ ٤٨ ؛ ٤٦١ والمنصف ١ / ٣٧ ؛ ١ / ١٩٢

(٣) انظر الفصل السابق : كراهة توالى الأمثال فى أبنية العربية .

(٤) انظر : فقه اللغات السامية ٧٨ (الفقرة ١٤١) .

(٥) انظر : الخصائص ١ / ٣٨٤ ؛ ٣ / ٣٠٤

(٦) انظر : منهج السالك لأبى حيان ١١

ولعل من هذا « الركام اللغوى » كذلك ، ماوصل إلينا من نصب
الجزءين بعد « ليت » فى مثل قول عبد الله بن مسلم الهذلى :
لكنه شاقه أن قيل ذا رَجَبٌ ياليت عدّة دهري كله رَجَبًا (١)
وقول العجاج :

ياليت أيام الصبّا رواجعا (٢)

وقول الشاعر :

ألا ياليتى حَجْرًا بوادٍ أقام وليت أمى لم تَلِدْنى (٣)
ومن ذلك أيضا قولهم فى الأمثال : « ليت القسى كلها
أرْجُلًا (٤) » . ويقال إن نصب « ليت » للجزءين لغة لبنى تميم (٥) . ويقول
ابن سلام : « وهى لغة لهم . سمعت أبا عَوْن الجرمازى يقول : ليت أباك
منطلقا ، وليت زيدا قاعدا (٦) » .

ولعل السرفى نصب الجزءين على هذا النحو ، أن « ليت » أصلها :
« رأيت (٧) » ، بدليل بقاء هذا الأصل ، بعد تخفيف الهمز ، فى اللهجات
العامية ؛ إذ يقال فى مصر مثلا : « ياريتنى غنى ! » . وقد قلبت رؤها لاما منذ
زمن بعيد فى الفصحى ، وحمل التمنى فى معناها ، على الترجى فى « لعل » ،

(١) مجالس ثعلب ٢ / ٤٠٧ وانظر شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩١٠ والتمام لابن جنى ١٦٨
(٢) ملحق ديوانه ق ٣٣ / ١ ص ٨٢ وطبقات فحول الشعراء ١ / ٧٨ ولم ينسب فى
كتاب سيبويه ١ / ٢٨٤ وخزانة الأدب ٤ / ٢٩٠ والتمام لابن جنى ١٦٨
(٣) همع الهوامع ١ / ١٣٤ والدرر اللوامع ١ / ١١٢
(٤) مجمع الأمثال للميدانى ٢ / ٩٠ والمستقصى ٢ / ٣٠٢
(٥) انظر : خزانة الأدب ٤ / ٢٩١
(٦) طبقات فحول الشعراء ١ / ٧٨
(٧) انظر : C. Brockelmann, Grundriss I 137 ; II 30 .

فعملت عملها ، ومع ذلك بقي لنا الأصل في هذا « الركام اللغوى » الذى رأيناه فى الشواهد السابقة ؛ وقد قاس الفراء والكسائى على تلك الشواهد ، بناء على مذهبهما فى توسيع دائرة القياس اللغوى (١).

وهناك أمثلة أخرى لهذه النظرية — نظرية الركام اللغوى — فى العربية ، يضيق المقام عن ذكرها ، وكلها تبرهن بما لا يدع مجالاً للشك ، على أن الظاهرة اللغوية ، عندما تتطور ، لاتموت أو تندثر تماماً ، وإنما تبقى منها بقايا تدل عليها ؛ وفى ذلك يقول العالم اللغوى فنديريس : « التغيير لا يكون تاماً إطلاقاً ، فكثيراً ما تبقى الصيغ القديمة ، إلى جانب الصيغ المستحدثة ، حتى لتلاحظ فى النظام العام للغات التى لها تاريخ طويل ، والتى عانت تطوراً ضخماً ، كالفرنسية أو الإنجليزية ، مزيجاً من النظم التى تضم حالات مختلفة (٢) » .



أما السبب الثانى من أسباب الشذوذ فى اللغة ، وهو ماسميناه من قبل : « بدايات التطور » أو « إرهاب التطور » لظاهرة من الظواهر اللغوية ، فإن خير أمثلته ما نراه فى العربية الفصحى ، فى صيغتى : « تفعل » و « تفاعل » ؛ إذ رويت لنا فيهما صورة أخرى هى : « اتفعل » و « اتفاعل » .

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٨ / ٨٤

(٢) اللغة لفنديريس ٤٢٣

والصورة الأولى لهاتين الصيغتين أقدم من الثانية ، وعليها جمهرة الأفعال التي رويت لنا في الفصحى ؛ مثل : تَعَلَّمَ ، وَتَكَلَّمَ ، وَتَقَاتَلَ ، وَتَضَارَبَ ، ومنها في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (النجم ٥٣ / ٨) ، وقوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ٧ / ٢٠١) ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ (المائدة ٥ / ٤٥) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢ / ١٥٨) ، وقوله جل وعلا : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ (الثلث ٢٧ / ٤٩) .

كما روى لنا من الصورة الثانية ، بعض الأمثلة في العربية الفصحى ، ومنها في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّنَتْ ﴾ (يونس ١٠ / ٢٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ (الصفوات ٣٧ / ٨) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون ٦٣ / ١٠) ، وقوله جل شأنه : ﴿ بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَالِمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (الثلث ٢٧ / ٦٦) .

وهذا التطور حدث أولا في مضارع صيغتي : « تَفَعَّلَ » و « تَفَاعَلَ » ؛ إذ تتأثر التاء فيهما — بعد تسكينها للتخفيف — بفاء الفعل ، إذا كانت صوتا من أصوات الصفير ، كالسين والشين ، أو الأصوات الأسنانية ، كالبدال والتاء ، فتقلب صوتا من جنس هذه الأصوات ، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ فالفعل : « اذْكُرَّ » مثلا ، مقيس على « يذْكُرُّ » . وأصله كما قلنا : « يَتَذَكَّرُ » بتسكين التاء للتخفيف من : « يَتَذَكَّرُ » .

ولقد كانت هذه الظاهرة في سبيل التطور في العربية الفصحى ،
عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم ، جنبا إلى جنب في
بعض الأحيان ، مع الصيغ القديمة التي لم يحدث فيها تطور . ونحن نعدّ هذا
دليلا على أن التطور اللغوي ، في أية ظاهرة لغوية ، لا يحدث فجأة ، فيقضى
بين يوم وليلة على كل أثر للقديم .

ففي القرآن الكريم أمثلة كثيرة للصورتين الحديثة والقديمة ، في سياق
لغوي متشابه إلى حد كبير ، مما يؤيد مانذهب إليه من أن معناهما واحد ، وأن
إحدى الصورتين أصل للأخرى . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ يَجِبُ
الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (التوبة / ٩ / ١٠٨) إلى جانب قوله في آية أخرى : ﴿ إِنْ لَمْ يَنْزِلْ
يُحِبِّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٢٢) . كما يقول الله عز
وجل : ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ (النمل / ٢٧ / ٤٧) إلى جانب قوله
في آية أخرى : ﴿ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُم لَأَن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ ﴾ (يس / ٣٦ /
١٨) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون / ٢٣ / ٦٨) ، إلى جانب قوله في موضع آخر :
﴿ أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ (محمد / ٤٧ / ٢٤) . ومثله
قوله جل شأنه : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٦٩) إلى
جانب قوله في آية أخرى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد / ١٣ /
١٩) .

بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان ، على الصورتين معا ؛
كقوله تعالى : ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص / ٣٨ /
٢٩) .

وقد ظل هذا التطور سائرا في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده ، وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلا : فلان اصدّعت دماغه ، واسرّع في كلامه . ولأثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلا : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرّع في كلامه .

وكذلك الحال في صيغة : « تفاعل » ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة « اتفاعل » التي شاهدها مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : فلان اشّاتم مع فلان ، واصّالحوأ سوا ؛ بدلا من : تشاتم ، وتصالحوأ .

بل لقد سادت صيغتا : اتفعلّ واتفاعل ، في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات صوت الصفير ، أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلا في لهجة الخطاب : « اتفرّج » و « اتبهدل » وغير ذلك .



ومن أمثلة بدايات التطور في الظواهر اللغوية ، في العربية الفصحى كذلك ، ما حدث في صيغة : « انْفَعَلَ » ، منذ عصور العربية الأولى ؛ فقد كانت هذه الصيغة موضوعة للدلالة على مطاوعة الفعل الثلاثي ، أى قبول أثر هذا الفعل ؛ مثل : « كسرت الإناء فانكسر » ، و « فتحت الباب فانفتح (١) » .

(١) في المخصص لابن سيدة ١٤ / ١ : « ومعنى قولنا (مطاوعة) أن المفعول به لم يمتنع مما رامه الفاعل ، ألا ترى أنك تقول فيما امتنع مما رمته : دفعته فلم يندفع ، وكسرتَه فلم ينكسر ، أى : أوردت أسباب الكسر عليه فلم تؤثر » .

ومن شواهد المطاوعة في الشعر العربي القديم ، قول أبي قيس بن الأُسَلْت :

مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ وَقَدْ شَرَّمُوا جِلْدَهُ فَاثْرَمَ (١)

وقول سهم بن حنظلة الغنوى :

حَتَّى يُصَادِفَ مَا لَا أَوْ يُقَالَ فَتَى لَاقَى الَّتِي تَشَعَّبُ الْفَتِيَانَ فَاثْرَمًا (٢)

وقول سُويد بن كراع :

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا بِنَّ عَفَانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَتْرَكَانِي أَحْمَ عَرِضًا مُمْنَعًا (٣)

وقول ذى الرمة :

سَيِّلاً مِنَ الدَّعْصِ أَغَشَّتْهُ مَعَارِفُهَا نَكْبَاءُ تَسْحَبُ أَعْلَاهُ فَيَنْسَحِبُ (٤)

ولما كان فاعل هذا الفعل المطاوع ، ضميراً يعود على مفعول الفعل السابق عليه في جملته ، أصبح الفعل المطاوع مشبهاً في المعنى للمبنى للمجهول ، في نحو : « كَسِيرَ الْإِنَاءِ » و « فَتَحَ الْبَابَ » ، إذ لا يذكر مع المبنى للمجهول غالباً ، إلا ما هو مفعول به في المعنى ، وأصبح من الممكن أن ينوب هذا المطاوع مناب المبنى للمجهول .

وقد بدأت هذه الظاهرة في التطور ، في عصر نزول القرآن الكريم ؛ ولذلك نجد الفعل المطاوع وارداً في النص القرآني ، في سياق الأفعال المبينة للمجهول في بعض الأحيان ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ،

(١) لسان العرب (شرم) ١٥ / ٢١٣

(٢) الأسمعيات ق ١٢ / ١٢ ص ٤٨

(٣) سبط اللآلئ ٢ / ٩٤٣ وشرح القصائد السبع ١٦

(٤) ديوانه ق ١ / ٥ ص ٢ وجمهرة أشعار العرب ٩٣٣

وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فُجِّرت ، وإذا القبور بُعِثت ، علمت
 نفس ماقدّمت وأخرت ﴿ (الانفطار ٨٢ / ١ - ٥) ، وقوله سبحانه
 وتعالى . ﴿ إذا الشمس كُوِّرت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال
 سُيِّرت ، وإذا العِشَارُ عُطِّلت ﴾ (التكوير ٨١ / ١ - ٤) ، وقوله عز
 وجل : ﴿ إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحُتَّت ﴾ (الانشقاق ٨٤ /
 ١ - ٢) .

تلك كانت بداية التطور في هذه الظاهرة حينذاك . وقد ظل هذا
 التطور سائرا على ألسنة العامة ، وفي لهجات الخطاب ، شيئا فشيئا ، حتى
 كادت صيغة المبني للمجهول الأصلية ، تندثر في كثير من اللهجات العربية
 الحديثة ، وينوب عنها في الدلالة على الجهل بالفاعل ، صيغة : « انفعل » ؛ إذ
 يقول العامة في مصر مثلا : « فلان انضرب علأة سخنة ، وعيِّط لما انفلق من
 العياط ! »

وماحدث في هذه اللهجات الحديثة ، حدث مثله تماما في اللغة
 العبرية القديمة ؛ إذ أصبح المبني للمجهول فيها من الثلاثي هو :
 נִפְעַל nif'al التي تقابل صيغة « انفعل » في العربية ، وضاعت منها
 الصيغة الأصلية للمبني للمجهول كذلك .

أما السبب الثالث من أسباب الشذوذ في اللغة ، وهو أن يكون ذلك
 الشاذ شيئا مستعارا من نظام لغوى مجاور ، فقد فطن إليه « ابن جنى » حين
 قال : « ومااجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به . فإذا ورد شيء
 من ذلك ، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان ، فقد يجوز أن تكون لغته في

الأصل إحداهما ، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها عهده ، وكثرا استعماله لها ، فلحقت لطول المدة ، واتصال استعمالها بلغته الأولى (١) .

كما يعيب ابن جنى على اللغويين العرب أنهم « جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم ، وادعوا أنها موضوعة في أصول اللغة على ما سمعوه بأخرة من أصحابها ، وأنسوا ما كان ينبغي أن يذكروه ، وأضاعوا ما كان واجبا أن يحفظوه » . ثم يقول بعد ذلك : « واعلم أن أكثر ذلك وعامته ، إنما هو لغات تداخلت فتركت . هكذا ينبغي أن يعتقد ، وهو أشبه بحكمة العرب (٢) » .

ومن الأمثلة على ذلك في العربية الفصحى ، ما نراه فيها من كلمات غير مهموزة في نصوصها ؛ فمن المعروف أن الفصحى اتخذت طريق تحقيق الهمز ، وهو الأمر الذي عرفته قبيلة « تميم » كذلك . كما روى لنا أن بعض القبائل العربية لم تكن تهمز في كلامها ، ومنها قبيلة « قريش » . قال أبو زيد الأنصاري : « أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا (٣) » .

والنبر هو : الهمز ، قال ابن منظور « والنبر : همز الحرف : ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حج المهدي ، قدم الكسائي يصلي بالمدينة ، فهمز فأنكر أهل المدينة عليه ، وقالوا : تنبر في مسجد رسول الله ﷺ ، بالقرآن !؟ (٤) » .

(١) الخصائص ١ / ٣٧٢

(٢) الخصائص ١ / ٣٧٤ — ٣٧٥

(٣) مقدمة لسان العرب ١ / ١٤

(٤) لسان العرب (نبر) ٧ / ٤٠

كما يقول الإمام الرضى : « اعلم أن الهمزة ، لما كانت أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريمة ، تجرى مجرى التهوع ، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم — وهم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش ؛ روى عن أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه : نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمز على النبي ﷺ ، ماهمزنا — وحققها غيرها ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان (١) » .

ومع ذلك كله ، فإننا نرى في الفصحى أمثلة غير مهموزة ، وحقها الهمز ، ولا تفسير لها إلا بذلك المبدأ ، وهو الاستعارة من نظام لغوى مجاور . ومن أمثلة ذلك ، كلمة : « ناس » ؛ فإن الأصل فيها هو : « أناس » المستعملة في الفصحى كذلك (٢) .

والدليل على أن الهمزة أصلية في الكلمة ، وجودها في بعض اللغات السامية كالعبرية ، فهي فيها : נִשְׁבַּח (نيسب) □ ānāšīm (أناشيم) وهو فيها جمع مفرده : נִשְׁבַּח (نيسب) (أيش) بمعنى : رجل ، والياء فيه بدل من النون ، بدليل وجودها في الجمع ، كما أن هناك مفرداً نادر الاستعمال في العبرية ، يحتوى على هذه النون كذلك ، وهو : נִשְׁבַּח (نيسب) □ ēnōš (إنوش) ، ويقابل في العربية كلمة : « إنس » .

★ ★ ★

(١) شرح الشافية ٣ / ٣١
 (٢) يشيع سقوط الهمزة فيها مع أداة التعريف ويندر في غير ذلك . انظر الخصائص

ومن أمثلة هذه الظاهرة كذلك : الفعل « يرى » ، فهو مضارع « رأى » وعينه همزة — كما ترى ، غير أن العربية الفصحى ، التي آثرت تحقيق الهمز في نطقها ، هي التي استعارت هذا النطق الخالي من الهمز ، من قریش ومن جرى مجراها من القبائل المجاورة . ومثل ذلك تماما نراه في فعلى الأمر : « كَلَّ » و « نُحِذْ » في الوصل والابتداء ، وكذلك في فعلى الأمر : « مُرْ » و « سَلْ » في الابتداء فقط . وماضى هذه الأفعال الأربعة مهموز — كما تعرف ، وهو : أكل ، وأخذ ، وأمر ، وسأل .

وكذلك كلمة : « النبي » ، تستعملها الفصحى بلا همز ، مع أن فعلها هو : « تنبأ » . وإذا كانت العربية الفصحى تهمز الكلمات : « أرجأ » و « الكفاء » و « برأ » و « ذرأ » ، فإن « مُرَجَوْنَ » في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ (التوبة ٩ / ١٦) لانتكون حينئذ إلا استعارة من نظام لغوى مجاور ، مثلها في ذلك مثل : « أرجه » في قوله عز وجل : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ (الأعراف ٧ / ١١١ والشعراء ٢٦ / ٣٦) ، و « كفوا » في قوله سبحانه : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص ١١٢ / ٤) ، و « البرية » في قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة ٩٨ / ٦ — ٧) ، و « ذرية » في قوله عز اسمه : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران ٣ / ٣٨) . وكذلك الحال في كلمة : « الله » التي يقول فيها سيبويه : « وكان الاسم — والله أعلم : إله ، فلما أدخل فيه الألف واللام ، حذفوا الألف ، وصارت الألف واللام خلفا منها ^(١) » .

(١) كتاب سيبويه ١ / ٢٠٩ وانظر : الخصائص ٣ / ١٥٠

وإذا كانت حركة الضمير في ضمير النصب والجر للغائب المفرد المذكور ، تتأثر بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة^(١) ، في العربية الفصحى ؛ فيقال مثلاً : « ضَرَبْتَهُ » ، و « عَلَيَّ » بدلا من : « ضَرَبْتُهُ » و « عَلَيْهِ » ، فإن القرآن الكريم ، وهو الممثل الأعلى لهذه العربية ، قد جاءت به في قراءة حفص عن عاصم ، بعض الأمثلة ، التي لم يحدث فيها مثل هذا التأثير الصوتي ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَأْنَسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (الكهف ١٨ / ٦٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ﴾ (الفتح ٤٨ / ١٠) . وقد انتقل إليها ذلك من اللغة الحجازية ، التي حافظت على الأصل في حركة هذا الضمير ؛ يقول سيبويه : « فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ... وذلك قولك : مررت بهي قبل ، وَلَدَيْهِ مال ، ومررت بدارهي قبل وأهل الحجاز يقولون : مررت بهو قبل ، ولديهو مال . ويقرون : فحسفننا بهو وبيدارهو الأرض^(٢) . كما يقول المبرد : « فأما أهل الحجاز خاصة ، فعلى الأمر الأول فيها ، يقرون : فحسفننا بهو وبيدارهو الأرض . ومن لزم اللغة الحجازية قال : عَلَيَّ مال^(٣) » .

★ ★ ★

وهذا مثال أخير لظاهرة الشذوذ عن طريق انتقال اللغة ؛ فمن خصائص اللغة الحجازية فك الإدغام في الأفعال المضارعة المجزومة

(١) انظر : التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه ٢٥

(٢) كتاب سيبويه ٢ / ٢٩٤

(٣) المقتضب ١ / ٣٧

بالسكون ، والأمر المأخوذ منها . وقد جرى القرآن الكريم على لغتهم ، إلا في أمثلة قليلة جاءت بالإدغام على لغة بني تميم .

وقد فطن إلى ذلك قدامى اللغويين العرب ؛ قال الزجاج : «وأهل الحجاز يظهرون التضعيف . وهذه الآية : ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ فيها اللغتان جميعاً ، فقلوه تعالى : إِنْ تَمَسَّكُمْ ، على لغة أهل الحجاز ، وقلوه لَا يَضُرُّكُمْ ، على لغة غيرهم من العرب (١) .

كما قال الزركشى (٢) : «أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين ، فمن القليل إدغام : ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر ٥٩ / ٤) ، فإن الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ، ولهذا قل ، والفك لغة أهل الحجاز ، ولهذا كثر ؛ نحو : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (البقرة ٢ / ٢١٧) ، و ﴿فَلْيُمْلِلْ لِئَلَّا يَكُونَ بِاللَّيْلِ كَالَّذِينَ يَدُلُّونَ بِالْبُقْعَةِ﴾ (البقرة ٢ / ٢٨٢) و ﴿فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران ٣ / ٣١) و ﴿مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الأنفال ٨ / ١٣) و ﴿أَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه ٢٠ / ٢٧) وغير ذلك كثير .

(١) معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٧٦

(٢) البرهان ١ / ٢٨٥

البابُ الثالثُ
في أصولِ الاجْتِياجِ اللغويِّ

الفصل الأول أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه

يشيع بين الدارسين للنحو العربي ، الاعتقاد بأن في كتاب سيبويه خمسين بيتا فقط من الشعر ، لم تنسب إلى شاعر معين . وسبب هذا الاعتقاد مارواه صاحب خزانة الأدب ، من قوله : « قال الجرمي : نظرت في كتاب سيبويه ، فإذا فيه ألف وخمسون بيتا . فأما الألف فقد عرفت أسماء قائلها فأثبتها ، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائلها (١) ... وقد روى هذا الكلام لأبي عثمان المازني أيضا (٢) » .

وقال أبو جعفر بن النحاس في أول شرحه لأبيات سيبويه : « جملة أبيات كتاب سيبويه ... ألف وخمسون بيتا ، منها خمسون غير معروفة (٣) ! »

كما قال ابن هشام : « ولو صح ماقاله [عبد الواحد الطراح] لسقط الاحتجاج بخمسين بيتا من كتاب سيبويه ، فإن فيه ألف بيت قد عرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين (٤) » .

وكنت أنا واحداً ممن اعتقد في صحة هذا الكلام ، بعد أن قرأته في

(١) في البغية للسيوطي ٢ / ٢٢٩ في ترجمة سيبويه : « وقال الجرمي : في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتا ، سألته عنها فعرف ألفا ولم يعرف خمسين » . ويبدو أن هذا النص مبتور وأن المستعمل هو الجرمي لاسيبويه ، والسائل مجهول ؛ ففي نزهة الألباء ٤٢ : « ولم يلق [أبو عمر الجرمي] سيبويه » .

(٢) خزانة الأدب ١ / ٨ وانظر كذلك : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٧٧

(٣) شرح أبيات سيبويه للنحاس ٢٨

(٤) المزهر للسيوطي ١ / ١٤٢

أيام الطلب منذ سنين ؛ ولذلك كنت أسر غاية السرور ، عندما أعرثر على نسبة بيت مجهول القائل عند سيويوه ، في كتاب من كتب اللغة والأدب العربي ، وكنت أظن في كل مرة ، أن عدد الخمسين بيتا ، يتناقص شيئا فشيئا ، بالدأب في البحث على مر السنين ، كما كنت أنظر بعين الرضا إلى نسختي من الكتاب ، وقد تضمنت بعض صفحاتها مانسبته فيها بقلمى ، من أشعارها المجهولة القائل ، مع بيان مصدر هذه النسبة .

وظننت بعد مدة أننى كدت أقضى على هذه الأبيات الخمسين نسبة وعزواً ، فأردت أن أحصى ماتبقى في الكتاب ، من الأبيات التى لم أعرثر على نسبتها طوال السنين الماضية ، وكان ظنى أنها لن تتجاوز العشرين ، بعد أن نسبت منها مانسبت ، اعتمادا على نص الجرمى السابق ، غير أن هذا الظن كان سرايا ، فقد عرفت بعد الإحصاء ، أن جملة غير المنسوب في كتاب سيويوه ، تبلغ ٣٤٢ موضعا ، منها ٤٣ موضعا سميت فيها قبيلة الشاعر ، ولم ينص على اسمه ؛ مثل : « رجل من قشير » أو « رجل من بنى دارم » أو « رجل من مذحج » أو « رجل من فزارة » أو « رجل من طهية » ، وغير ذلك .

وقد نسب الأعلام الشنتمرى في شرحه لشواهد الكتاب ، المسمى : « تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب » ٥٧ موضعا ، أى أن ما يبقى بعد ذلك غير منسوب تماما ، عبارة عن ٢٤٢ موضعا .

نعم ، قد يمكن القول بأن المطبوعة التى بين أيدينا من كتاب سيويوه ، لا تتضمن كل نسبة قام بها الجرمى أو المازنى لشواهد الكتاب ، غير أن مراجعة مخطوطات الكتاب في دار الكتب المصرية ، ومراجعة شرح أبى سعيد السيرافى لكتاب سيويوه ، وهو من أقدم الشروح على الكتاب — هذه المراجعة تجعلنا نطمئن إلى القول بأن ما لم ينسب من شواهد الكتاب ، أضعاف الخمسين المزعومة .

هذه حقيقة لم يفتن إليها أحد من القدماء — فيما أعلم — وأصبحت عبارة مثل : « وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل » تتردد في كتبهم ، عند الحديث عن هذا البيت أو ذاك ، مما لم يعثروا له على نسبة إلى قائل معين ، كالبغدادى الذى ذكر هذه العبارة فى خزائنه مع اثنين وثلاثين بيتا . ومن العجيب أن أحد هذه الأبيات ، نسب فى المطبوعة من الكتاب (١ / ٨٠) إلى الأعشى ! وبقي عند الأعلام الشتمرى بلا نسبة .

ولم يسلم المحدثون من الوقوع فى شرك هذه الأسطورة كذلك . ولقد قلت عند نشر هذا البحث لأول مرة فى عام ١٩٧٤ م : « وقد انساق الأستاذ عبد السلام هارون ، فى نشرته الجديدة لكتاب سيبويه — التى بدأ فى إخراجها سنة ١٩٦٦ م ، وأخرج منها جزأين حتى الآن — وراء هذه العبارة الأسطورية ، وأطلقها على كل بيت صادفه فى جزأيه ، ولم يتمكن من نسبته إلى شاعر معين . وقد بلغت جملة ذلك فى الجزأين ٣٥ مرة ، بل لقد قال مرة (١ / ١٥١) فى زهو ، بعد أن عرف نسبة بيت لأبى وجزة : « فيضاف هذا إلى ما عرفت نسبته من الخمسين » . ولو واصل الأستاذ عبد السلام هارون جريه وراء هذه الأسطورة ، لوجد نفسه يقع فى التناقض فى جزئه الثالث ، حين يجاوز عدد ما لم يعرف نسبته الخمسين » .

ثم علقت على ذلك فى الهامش بقولى : « صدق حدسى ؛ إذ صدر الجزء الثالث من كتاب سيبويه ، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون فى عام ١٩٧٣ م ، بعد إعداد هذه المقالة للنشر ، وذكر فيه عبارة : « البيت من أبيات سيبويه الخمسين » فى ٢٦ موضعا من هذا الجزء . وإذا أضفنا هذا العدد إلى العدد السابق وهو ٣٥ عرفنا أن الأستاذ عبد السلام هارون ، تجاوز الخمسين ، وهو ما يزال يتحدث عن أن هذا البيت أو ذاك من الخمسين ! » .

ولم يفتن من علمائنا المحدثين إلى هذا التناقض ، بين رواية الجرمى أو المازنى ، وما يوجد فى الكتاب بالفعل — غير الشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه : « نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة » ، غير أنه يعتقد كذلك فى أسطورة الأبيات الخمسين ، ويتعجب من زيادة غير المنسوب فى الكتاب عن هذا العدد ، ويحاول أن يجمع الأبيات التى نص البغدادى فى خزانته على أنها من الخمسين ؛ فيقول : « وسميت الأبيات الخمسون بين العلماء بأبيات سيويه الخمسين المجهولة القائل . ونسبة الشعر للشاعر الصادرة من الجرمى أو المازنى ، لم تشمل الألف كلها ، فى الكتاب المطبوع بين أيدينا ، ولأردى سببا فى ذكر القائل فى البعض دون البعض ، فقد كان فى تعيين النسبة للألف كلها ، إعلان كاف عن الخمسين المجهولة ، فليس وراء المعلوم إلا المجهول ، والمهم إنما هو الوصول لمعرفة الأبيات المجهولة الخمسين . وقد استعنت خزانة الأدب للبغدادى ، فى الوصول إليها ، فعلمت منها بالنص اثنين وثلاثين (١) » .

وقد بلغت أسطورة الأبيات الخمسين مداها ، عند الشيخين عبد العظيم الشناوى ومحمد عبد الرحمن الكردى ، اللذين نشرا كتاب الشيخ محمد الطنطاوى نشرة جديدة بعد موته ، مع بعض التعليقات ، فقالا فى التعليق على الأبيات التى نص صاحب الخزانة على أنها من أبيات سيويه الخمسين : « قد نجد فى كثير من كتب الشواهد ، أن بعض هذه الأبيات منسوب إلى معين ، والصواب أنها مجهولة القائل (٢) !! »

(١) نشأة النحو للطنطاوى ٧٢

(٢) نشأة النحو للطنطاوى ٧٦

أما نحن فإننا نشك كثيرا في صحة الخبر ، الذى يُعزى إلى الجرمى أو المازنى ، لما سبق أن قدمناه من أن مخطوطات الكتاب وشرح السيرافى له ، لا تنقص إلا القليل من ذلك القدر غير المنسوب ، فى المطبوع المتداول بين أيدينا من كتاب سيبويه ، والذى يزيد على ٣٤٠ موضوعا .

وقد عرفنا من قبل أن الأعلام الشنتمرى ، نسب المجهول فى ٥٧ موضعا عند شرحه لشواهد الكتاب — كما أن الأستاذ العالم أحمد راتب النفاخ ، صنع فهرسا لشواهد سيبويه ، ونشره فى بيروت سنة ١٩٧٠ م ، واستطاع أن ينسب بعض المجهول من شواهد الكتاب ، اعتمادا على خزانة الأدب فى كثير من الأحيان ، وكذلك صنع الأستاذ عبد السلام هارون فى نشرته للكتاب ، فنسب بعض الآيات معتمدا على بعض المصادر . وكنت قد اهتديت من قبل إلى كثير مما اهتدى إليه هذان العالمان الفاضلان ، وزدت عليهما زيادات كثيرة ، لم تقع لهما من قبل ، فبلغ جملة ما اهتديت إليه حتى الآن ١٧٦ موضعا . ويبقى بعد ذلك ٩٩ موضعا لم ينسب فيها الشعر إلى قائل معين ، بالإضافة إلى عشرة مواضع أخرى ، نسب فيها الشعر إلى رجل من إحدى القبائل العربية .

وفيما يلى بيان ذلك كله :

- أولا : المواضع التى أمكنتنى نسبة الشعر فيها ، ومصادر النسبة :
- ١ — هبأء / المعزأء (كامل) ١ / ٨٨ : هما للشماخ بن ضرار فى ملحق ديوانه ص ٤٢٧ كما ينسب الثانى لذى الرمة فى ملحق ديوانه ص ٦٦١ وهو غير منسوب فى اللسان (شجع) ٣ / ١٢٨
- ٢ — مائها / أنسائها (رجز) ١ / ٧٥ : هما لأبى وجزة الفقعى فى معجم البلدان ١ / ٨٦ والتكملة للصاغانى ٢ / ٣١٣ وفى العينى على هامش

الخزانة ٤ / ١٨٣ : « أقول : قائله هو أبو وجزة السعدى ، ويقال : جبر بن عبد الرحمن ، وهو الصحيح » وانظر : شرح أبيات سيويه لابن السيرافى ١ / ٢٨٥ وفرحة الأديب ٧١ — ٧٢

٣ — وتُحلب (طويل) ١ / ٢٥٩ = ٧ / ٢ = ٦٥ / ٢ : نسب البيت فى اللسان (قرن) ١٧ / ٢١١ إلى الأسدى ! كما ينسب فى معاهد التنصيص ١ / ١١٥ إلى تأبط شراً .

٤ — جالبُ (طويل) ١ / ١٤١ : هو للفضل بن عبد الرحمن القرشى فى معجم الشعراء للمرزبانى ١٧٩ وخزانة الأدب ١ / ٤٦٥ وطبقات الزبيدى ٥٠ وشرح درة الغواص للخفاجى ٤٤ ونسبه البحرى فى حماسه ٤٠٠ إلى العرزمى !

٥ — جانبُ (طويل) ١ / ١٢٢ : نسب فى المطبوع من الكتاب إلى رجل من بنى قشير . وهو للعجير السلولى فى خزانة الأدب ٢ / ٢٩٨ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٥٣٥ — ٥٣٦ وفرحة الأديب ٩٩

٦ — ضروبُ (طويل) ١ / ٥٧ : هو لأبى طالب فى شرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٧١

٧ — إهابها (طويل) ١ / ٤٢١ : فى سيويه والشنتمرى أنه لرجل من بنى دارم ، وذكر ابن السيرافى فى شرحه لأبيات الكتاب ٢ / ١٥٠ أنه لسويد ابن الطويلة .

٨ — أجيبُ (طويل) ١ / ٤٣٠ : نسب فى الكتاب لبعض الحجازيين ، وفى الشنتمرى أنه لبعض الحارثيين . واحتمال التحريف فى أحدهما راجح . وهو لعروة بن حزام فى ديوانه ق ٢ / ٢ ص ٢٨ وخزانة الأدب ١ / ٥٣٤ ؛ ٣ / ٦١٥ وينسب إلى كثير عزة كذلك فى ديوانه ص ٢٢ وانظر

تخرجات الديوان ص ٥٢٣ كما ينسب للأحوص في ديوانه ص ١١٣ ولجنون ليل
في ديوانه ص ٥٩ وانظر مصادره في الديوانين !

٩ — أسكوب (بسيط) ٢ / ٣١٦ : لم يذكر سيبويه إلا عجزه ، وهذا
العجز ينسب إلى زهير بن عروة بن جلهمة بن حجر بن خزاعي ، في الأغاني
١٩ / ١٥٦ قال : « وإنما لقب السَّكْب بيت قاله وقال فيه ... » ثم ساق هذا
العجز . وقد ساق ابن السيرافي في شرحه لأبيات الكتاب ٢ / ٤٣٧ البيت
كاملا ، ونسبه لأبي السكب المازني ، وصدده فيه : « إني أرقت على المِطَلَى
وأشأزني » .

١٠ — ولأب (كامل) ١ / ٣٥٢ : نسب في الكتاب لرجل من
مذحج . وهو من قصيدة البيت : (أعجب) الذي سبق في المطبوع من
الكتاب (١ / ١٦١) بعبارة : « وهو لبعض مذحج ، وهو هني بن أحمر
الكناني » . وهو هني بن أحمر الكناني كذلك في المؤلف والمختلف للآمدني
٤٥ وبعض أبيات قصيدته في معجم الشعراء للمرزباني ٤٧٢ وينسب لهمام
ابن مرة الشيباني في حماسة ابن الشجري ق ١٨٥ / ٦ ص ٢٥٦ كما ينسب
كذلك لضمرة بن ضمرة بن جابر ، وعمرو بن الغوث الطائي ، وزرافة
الباهلي . انظر : خزانة الأدب ١ / ٢٤٣ والعيني على الخزانة ٢ / ٣٣٩
وشرح شواهد المغنى ٣١١ ولسان العرب (حيس) ٧ / ٣٦٢

١١ — يغضبوا (كامل) ١ / ٤٦٩ : نسب في الكتاب إلى الفزاري ،
وحرف في خزانة الأدب ٤ / ٣١١ إلى : « الفرزدق » ، وهو لأبي أسماء بن
الضريبة في اللسان (جرم) ١٤ / ٣٦٠ وله أو لعطية بن عفيف في شرح
أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٣٦ والافتضاب ٣١٣ وعنه في خزانة
الأدب ٤ / ٣١٤

- ١٢ — رَكائِبُهُ (رجز) ٢ / ٤٢٠ : ذكر ابن السيرافي في شرحه لأبيات الكتاب ٢ / ٤١٦ أنه للقناني ! وانظر هامش محققه .
- ١٣ — كَلْبًا (بسيط) ١ / ٣٥٧ : هو لأبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي في خزانة الأدب ٢ / ٩١ والدور اللوامع ١ / ١٨٨
- ١٤ — طَرِيًّا (بسيط) ١ / ٤٥٧ : لم يرد منه في سيبويه والشتنمري سوى صدره ، وهو : « عاود هراة وإن معمورها خربا » . وعجزه هو : « وأسعد اليوم مشغوفًا إذا طريا » وهو في خمسة أبيات لرجل من أهل هراة ، في لسان العرب (هرا) ٢٠ / ٢٣٧
- ١٥ — كِعَابًا (وافر) ٢ / ٩٧ : هو لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب المعروف بمعوذ الحكماء ، في تهذيب الألفاظ ٥١٠ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٩٥ وفرحة الأديب ٢٠٦ وهو في الواقع ملفق من بيتين في قصيدته التي رواها المفضل الضبي في المفضليات ق ١٠٥ / ١٢ — ١٣ ص ٧٠٠ والبيتان هما :
- فَأَمْسَى الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ فَأَوْدَى وَكَانَ الصَّدْعُ لَا يَعِدُّ ارْتِبَابَا
رَأْبْتُ كَعْبَهَا كَعْبًا وَكَانَتْ مِنْ الشَّنَّانِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابَا
- وانظر كذلك : فرحة الأديب ٢٠٦
- ١٦ — كَلَابًا (وافر) ٢ / ١٦٠ : ورد صدره فقط في الكتاب ، ولم يذكره الشننمري ، وهو لجزير في ديوانه ص ٧٥ والعيني على هامش الخزانة ٤ / ٤٩٤ والدور اللوامع ٢ / ٢٤٠ وشرح شواهد الشافية ٤ / ١٦٣ وعجزه : « فلا كعبا بلغت ولا كلابا » .
- ١٧ — أَثْوَبًا (رجز) ٢ / ١٨٥ : هو لمعروف بن عبد الرحمن في اللسان (ثوب) ١ / ٢٣٨ والتاج (ثوب) ١ / ١٦٩ وشرح أبيات الكتاب

لابن السيرا في ٢ / ٣٩٢ وله أو لحميد بن ثور في العيني على هامش الخزانة
٤ / ٥٢٢ وهو في ديوان حميد ص ٦١ عن المصدرين السابقين . ونسب إلى
العجاج في فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٦٨ وهو سهو سببه تقدم ذكر
العجاج في البيت السابق عليه في الفهرس !

١٨ — ييثرب (طويل) ١ / ١٣٧ : ورد في الكتاب عجزه فقط :
« مواعيد قوب أخاه ييثرب » . وهو مثل من الأمثال العربية . انظر قصته في
الفاخر ١٣٣ وفصل المقال ١٠٢ وجمهرة العسكري ١ / ٤٣٣ والميداني
٢ / ١٧٧ وثمار القلوب ١٣١ ونهاية الأرب ٣ / ٣٨٩ والصحاح (عرب)
١ / ١٨٠ والمزهر ١ / ٤٩٤ واللسان (عرب) ٢ / ٨٥ وقد ورد هذا العجز
في ثلاثة أبيات لشعراء مختلفين ، أولها :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه ييثرب
وهو لجبيهاء الأشجعي في جمهرة اللغة ١ / ١٢٤ وفصل المقال ١٠٢
ولسان العرب (ترب) ١ / ٢٢٤ (عرب) ٢ / ٨٥ وعيون الأخبار ٣ / ١٤٧
ومعجم البلدان ٤ / ١٠٠٩ والمزهر ١ / ٤٩٥ والمستقصى ١ / ١٠٨ والميداني
٢ / ١٧٧ وشرح المفصل لابن يعيش ١ / ١١٣ وقد نسب خطأ إلى الشماخ
في ثمار القلوب ١٣١ كما نسب خطأ إلى علقمة في معجم ما استعجم
٤ / ١٣٨٨ — أما البيت الثاني فهو :

وقد وَعَدْتِكَ موعداً لو وقت به كموعود عرقوب أخاه ييثرب
وهو لعلقمة بن عبدة المعروف بعلقمة الفحل في ديوانه ق ٣ / ٨
ص ٨٢ وشرح المقامات للشريشي ١ / ٢٢٨ وفصل المقال ١٠٣ . ووهم
الشنقيطي فنسبه في الدرر اللوامع ٢ / ١٢٣ إلى امرئ القيس — أما البيت
الثالث فهو :

وَوَاعَدْتَنِي مَالًا أَحَاوُلُ نَفْعَهُ مَوَاعِيدَ عَرْقُوبِ أَخَاهُ بِيْثْرِبَ

وهو للشماخ بن ضرار في ملحق ديوانه ق ٦ / ١ ص ٤٣٠
والمستقصى ١ / ١٠٨ وشرح المفصل لابن يعيش ١ / ١١٣ والأغانى ١٥ / ١٥١
وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٣٤٣ وفرحة الأديب ٨٢

١٩ — حردب (طويل) ١ / ٣٣٦ : نسب في سيبويه والشتنمى
لرجل من بنى مازن . وهو لمالك بن الرب المازنى فى ديوانه ق ٥ / ١ ص ٧٢
ومعجم البلدان ٢ / ١١٧ ؛ ٢ / ٣٣٤ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى
١ / ٥٢٨ وفرحة الأديب ١٨٦

٢٠ — الحقائق / الثعالب (طويل) ١ / ٥٩ : فى العينى على هامش
الخزانة ٣ / ٤٦ فى حديثه عن البيتين مايلى : « أقول : قائل هذين البيتين هو
الأحوص ، وهو محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصارى . وذكر فى الحماسة
البصرية أن قائلهما هو أعشى همدان بهجوبهما لصوصا . وقال الجوهرى :
قال جرير يصف ركبا : يمرون بالدهنا .. إلخ . والأظهر ماقاله فى الحماسة » .
وهما لأعشى همدان فى الحماسة البصرية ٢ / ٢٦٢ — ٢٦٣ ولشاعر من
همدان فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٣٧١ وفرحة الأديب ٨٨
والكامل للمبرد ١ / ١٨٤ وهما للأحوص فى ديوانه ٢١٥ ولأعشى همدان فى
الصبح المنير ق ٥ / ٣٩ — ٤٠ ص ٣١٧ ولم أعثر على نسبتها إلى جرير ،
لأفى صحاح الجوهرى ، ولا فى ديوان جرير !

٢١ — بلبيب (طويل) ٢ / ٤٠٩ : فى رسالة الغفران ٤٣١ :

« وأصحاب بشار يروون له هذا البيت :

وماكل ذى لب بمؤتيك نصحه وماكل مؤت نصحه بلبيب

وفى كتاب سيبويه نصف هذا البيت الآخر ، وهو فى باب الإدغام ،

لم يسمّ قائله ، وزعم غيره أنه لأبي الأسود الدؤلى . وفي الاقتراح للسيوطى ٢٧ : « أول الشعراء المحدثين بشار بن برد ، وقد احتج سيبويه فى كتابه ببعض شعره تقريبا إليه ، لأنه كان هجاء لترك الاحتجاج بشعره » .

ويشك الأستاذ على النجدى (سيبويه إمام النحاة ١٤٨) فى ذلك ، ويقول : « وقد رجعت إلى بائيات بشار فى الجزء الأول من ديوانه ، فلم أعثر على البيت فيه » .

والبيت لأبى الأسود الدؤلى فى ديوانه ق ٦٨ / ٤ ص ٩٩ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٤٣٨ والعمدة ٢ / ٥ وشرح المصنون به ٨٧ والمؤتلف والمختلف للآمدى ٢٢٤ والحيوان للجاحظ ٥ / ٦٠١ وله أو لمودود العنبرى فى شرح شواهد المغنى ١٨٤ وقال عنه الشنقيطى فى الدرر اللوامع ٢ / ١٢٩ : « ولم أعثر على قائل هذا البيت ! »

٢٢ — محتبى (كامل) ١ / ٢٩٦ : هو للفرزدق فى ديوانه ص ٣٨ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٥٠٣

٢٣ — والتراب (خفيف) ١ / ١٥٧ : البيت لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ص ٤٣١ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٢٦٧ وخزانة الأدب ٢ / ٥٦ والموشح ٣١٥ ومعجم البلدان ١ / ١٠٤ وشرح شواهد المغنى ١٤ والخصائص ٢ / ٢٨١ وشرح ابن يعيش ١ / ١٢١ وأمالي المرتضى ١ / ٣٤٥ ؛ ١ / ٣٤٦ ، والدور اللوامع ١ / ١٦٢ ومادة (بهر) فى الصحاح ٢ / ٥٩٨ واللسان ٥ / ١٤٨ والتاج ٣ / ٦٢ وجمهرة اللغة ١ / ٢٧٩ وأمالي ابن الشجرى ١ / ٢٦٦ والمقاييس ١ / ٣٠٨ والثلاثة لابن فارس ٣٣

٢٤ — تحلب (رجز) ١ / ٤٨٠ : فى العينى على هامش الخزانة ٢ / ٢٩٩ : « أقول : قائله هو رؤية بن العجاج الراجز ، وهكذا أنشده

سيبويه في كتابه « . وتعقبه صاحب خزانة الأدب ٤ / ٣٥٨ فقال :
 « والبيت غفل في الكتاب ، ولم ينسبه أحد من خدمة الكتاب . وقال
 العيني : قائله رؤية بن العجاج ، وهكذا أنشده سيبويه في كتابه ، وهذا
 بخلاف الواقع » . والبيت عن العيني في ملحق ديوان رؤية ق ٤ / ٣ ص ١٦٩
 وهو بلا نسبه في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٧٥

٢٥ — تبيث (وافر) ١ / ٣٥٩ : البيت هو التاسع من تائية عمرو بن
 قَعَّاس أو قِنَعَّاس المرادى ، المنشورة في الطرائف الأدبية ص ٧٢ — ٧٥
 وخزانة الأدب ١ / ٤٥٩ وشرح شواهد المغنى ٧٧

٢٦ — أَقْلَتِ (طويل) ١ / ٤٩٠ : ذكر في خزانة الأدب ٤ / ٤٦٧
 أنه من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها . ونسبه ابن السيرافي في
 شرح أبيات الكتاب ٢ / ١٤٩ إلى مَلِيحِ بْنِ عَلَّاقِ الْقُعَيْنِيِّ .

٢٧ — بَتَّى / مُشْتَى (رجز) ١ / ٢٥٨ : البيتان لرؤية بن العجاج في
 ملحق ديوانه ق ١١٠ / ١ — ٢ ص ١٨٩ والعيني على هامش الخزانة
 ١ / ٥٦١ والدرر اللوامع ١ / ٧٨

٢٨ — تَأَجَّجَا (طويل) ١ / ٤٤٦ : هو لعبيد الله بن الحر الجعفي في
 شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٦٦ وخزانة الأدب ٣ / ٦٦٠ والدرر
 اللوامع ٢ / ١٦٦

٢٩ — السَّاج (بسيط) ١ / ٨٠ : في الكامل للمبرد ٣ / ٤١٠ قبله :
 « وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص » . وهو للجرنفس بن يزيد بن
 عبدة الطائي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٢٣٧

٣٠ — الإرتاج (كامل) ٢ / ١٧ : هو لابن ميادة في ديوانه ص ٣٠
 وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٩٧ ولسان العرب (ثمن)
 ١ / ٢٣٠ وخزانة الأدب ١ / ٧٦ والعيني على هامش الخزانة ٤ / ٣٥٢

٣١ — مصبوخ (بسيط) ١ / ٣٥٦ : لم ينسب في الكتاب ، ونسبه الشنتمرى إلى رجل من النبيت بن قاصد . وهو لحاتم بن عبد الله الطائى فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٥٧٣ ونسب الزمخشرى عجزه لحاتم الطائى فى المفصل ، وقال عنه ابن يعيش (١ / ١٠٧) : « أنشده لحاتم الطائى ، وماأظنه له . وقال الجرمى : هو لأبى ذؤيب الهدلى » . وفى العينى على هامش الخزانة ٢ / ٣٦٨ : « أقول : قائله هو حاتم الطائى ، كذا قال الزمخشرى فى المفصل ، ولكنه ماأنشد إلا عجزه . وهذا البيت مماركب فيه صدر بيت على عجز آخر . وقد أورده هكذا سيويوه والجرمى فى كتاب : الفرخ ، وأبو بكر فى أصوله ، وأبو على فى إيضاحه ، وتبعهم على ذلك خلق كثير كابن الناظم وغيره . ويقال إن الزمخشرى سلم من ذلك الغلط ، ولكنه غلط من وجه آخر ، وهو أنه نسبه إلى حاتم الطائى ، كما غلط الجرمى إذ نسب البيت كله لأبى ذؤيب ، والصواب أنه لرجل جاهلى من بنى النبيت ، اجتمع هو وحاتم والنابغة الذيبانى ، عند ماوية بنت عفزر خاطبين لها ، فقدمت حاتما عليهم وتزوجته ، فقال هذا الرجل شعراً » .

وانظر هذه القصة والشعر فى ديوان حاتم ص ٣٥ — ٣٧ ، والبيت

ملفق — كما يقول العينى — من بيتين هما :

وردّ جازرهم حَرْفًا مُصَرَّمَةً فى الرأس منها وفى الأصلاب تمليحُ
إذا اللقأح غدت مُلقَى أصيرتُها ولا كَرِيمٍ من الولدان مصبوخُ

٣٢ — السَّرِيحَا (وافر) ١ / ٩ = ٢ / ٢٩١ : هو فى اللسان (جزز)

٧ / ١٨٤ ليزيد بن الطثيرة عند ثعلب والكسائى . وقال ابن برى : « ليس هو ليزيد ، وإنما هو لمضرس بن ربعمى الأسدى ، وهو فى شعره » . وهو لمضرس فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٦١ واللسان (يدى) ٢٠ / ٣٠٢ ومادة

(ثمن) في اللسان ١٦ / ٢٣١ والتاج ٩ / ١٥٧ وله في قطعة رواها البغدادي في شرح شواهد الشافية ٤ / ٤٨١ وله أو ليزيد في شرح شواهد المغنى ٢٠٤ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٥٩١

وتوهم محققو شروح سقط الزند ٣ / ٩٨٢ أنه منسوب إلى خفاف ابن ندبة ؛ لأنه معطوف بعبارة : « وأنشد أيضا » على عبارة : « أنشد سيويوه لخفاف بن ندبة » ! وتابعهم على ذلك الوهم جامع ديوانه ص ١٠٩

٣٣ — فاستريحنا (وافر) ١ / ٤٢٣ = ١ / ٤٤٨ : هو للمغيرة بن حبناء التيمى في خزانة الأدب ٣ / ٦٠٠ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٣٩٠ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والدرر اللوامع ٨٢

٣٤ — مكسوحا (رجز) ١ / ٤٦٥ : هو لأبى النجم في أساس البلاغة (طوح) ٢ / ٨٣ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ١٩٠

٣٥ — مستصرخ (رجز) ١ / ٣٥٧ : نسب في الأشباه والنظائر للسيوطى ٤ / ١٦٠ وأمالى ابن الشجرى ١ / ٢٨٢ إلى رؤية بن العجاج ، وليس في ديوانه . والصواب أنه للعجاج في التكملة للصاغانى ٢ / ١٦٨ وديوانه ق ٤١ / ٢ ص ٤٥٩ وقال عنه الأستاذ راتب النفاخ في فهرس شواهد سيويوه ص ٧٨ : « لم يورد منه إلا قوله : حين لامستصرخ ، وقد استشهد عقبيه بقطعة من بيت لسعد بن مالك ، تقدم في قافية الحاء ، وهى قوله : لابرأح ، فخفى ذلك على الناشر ، فجعلها شاهدا واحداً ... وكذلك جاء في أمالى ابن الشجرى ١ / ٢٣٩ نقلا عن سيويوه ، ويظهر أنه خفى على الأعلام فلم يذكره » .

٣٦ — يقودها (طويل) ١ / ٢٤ : نسبة ابن السيرافى في شرح أبيات الكتاب ١ / ٢٧٨ إلى مُعَلِّس بن لقيط الأسدى :

- ٣٧ — يزيد (طويل) ٢ / ٣٠٦ : هو للمعلوط القريعي في العيني على هامش الخزانة ٢ / ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢
- ٣٨ — يسود (وافر) ١ / ١١٦ : نسبه سيويه والشتيمى وابن السيرافى في شرح أبيات الكتاب ١ / ٣٨٨ لرجل من خثعم ، وهو لأنس بن مدركة الخثعمى في خزانة الأدب ١ / ٤٧٦ والدرر اللوامع ١ / ١٦٨ وشرح ابن يعيش ٣ / ١٢ وفرحة الأديب ٩١
- ٣٩ — عضد (كامل) ١ / ٣٦٢ : البيت لأوس بن حجر في ديوانه ق ٨ / ١ ص ٢١ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٦٨ ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل ٢ / ٩٠ ومحب الدين أفندى في شرح شواهد الكشاف ٩٤ إلى طرفة ، وهو في ملحق ديوانه ص ١٥١
- ٤٠ — العبادا / والجيادا (وافر) ١ / ١٥٣ : البيتان لشقيق بن جزء ابن رباح الباهلى في الحماسة البصرية ١ / ١٠٣ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ١٩٦ وفرحة الأديب ٤٧
- ٤١ — الوادى / غادى / السواد (رجز) ١ / ١٤٦ : الأبيات لرؤية بن العجاج في العيني على هامش الخزانة ٢ / ٤٧٥ وملحق ديوانه ق ٢٦ / ١ — ص ٣ ١٧٣
- ٤٢ — الجارود (رجز) ١ / ٣١٣ : نسبه سيويه والشتيمى إلى رجل من بنى الحرماز ، وهو للكذاب الحرمازى عبد الله بن الأعور فى الشعر والشعراء ٢ / ٦٨٥ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٤٧٢ وله أو لرؤية فى اللسان (سردق) ١٢ / ٢٣ ولرؤية فى العيني على هامش الخزانة ٤ / ٢١٠ وهو فى ملحق ديوانه ق ٢٤ / ١ ص ١٧٢
- ٤٣ — طائر (طويل) ١ / ٢٩٤ : البيت لأبى الرئيس الثعلبى فى خزانة الأدب ٢ / ٥٣٢ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٥٧٢

٤٤ — دهاريرُ (بسيط) ١ / ١٢٢ : ينسب البيت إلى حرث بن جبلة العذرى في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٣٦٠ والعقد الفريد ٣ / ١٩٢ فى قصيدة ، وكذلك فى معجم الأدياء ١٢ / ٧٧ وجمهرة اللغة ٢ / ٢٥٨ وله أو لعثير بن لييد العذرى فى اللسان (دهر) ٥ / ٣٨٠ ولعثمان بن لييد العذرى فى نزهة الألباء ٢٧ ولبلة العذرى عبد المسيح بن بقبلة الغسانى فى الحماسة البصرية ٢ / ٦٥ وقال الميمنى فى هامش السمط ٢ / ٨٠٠ تعليقا على البيت : « أو لعبد المسيح بن بقبلة ، كما روى عن الحماسة البصرية ، وأظنه وهما » . ولبلة بن حرب فى شرح الشريشى على المقامات ١ / ١٧٩ وينسب لرجل من أهل نجد فى العينى على هامش الخزانة ١ / ٢٧٥ والخصائص ٢ / ١٧١ وانظر فى الخلاف حول قائل هذا البيت : شرح شواهد المغنى ٨٦ — ٨٧ وفى فرحة الأديب ٨٦ : « خلط ابن السيرافى فى هذا الاسم (حرث بن جبلة العذرى) إنما هو جبلة بن الحويرث العذرى » !

٤٥ — مياسيرُ (بسيط) ٢ / ١٥٨ : هو من قصيدة البيت السابق . وينسب لحرث بن جبلة العذرى فى العقد الفريد ٣ / ١٩٢ ومعجم الأدياء ١٢ / ٧٦ وله أو لعثير بن لييد العذرى فى اللسان (دهر) ٥ / ٣٨٠ ولعثمان بن لييد العذرى فى نزهة الألباء ٢٨ ولبلة العذرى عبد المسيح بن بقبلة الغسانى فى الحماسة البصرية ٢ / ٦٥ ولبلة بن حرب فى شرح الشريشى على المقامات ١ / ١٧٩ وانظر فى الخلاف حول قائل هذا البيت : شرح شواهد المغنى ٨٦ — ٨٧

٤٦ — قراقيرُ (بسيط) ٢ / ١٨٦ : هو فى أول أبيات أربعة لجرير الضبى فى مادة (أير) من اللسان ٥ / ٩٧ والتاج ٣ / ٢٢ وهو فى بيتين فى نوادر أبى زيد ٧٦ لرجل ضبى . وانظر : البلغة لابن الأنبارى ٧٤

٤٧ — المعارُ (وافر) ٢ / ٦٥ : ينسب هذا البيت إلى بشر بن أبي خازم في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٢٣ وهو في قصيدة له في المفضليات ق ٩٧ / ٤٥ ص ٦٧٦ وعلق عليه ابن الأنباري شارح المفضليات بقوله : « قال الضبي : قال أبو عبيدة : هذا البيت للطرماح ، ولم يروه الطوسي لبشر ، ورواه الضبي ، وقرأته على أحمد بن عبيد لبشر ، فلم ينكره » . وهو في ديوان بشر ق ١٥ / ٥٥ ص ٧٨ ويروي للطرماح في اللسان (غير) ٦ / ٣٥ والخور العين ٣١٠ وملحق ديوانه ص ٥٧٣

٤٨ — اليخضورُ (رجز) ٢ / ٣١٩ : هو غيلان بن حريث في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤٠٨ في روى مجرور !

٤٩ — أبصارُها / بكارُها (رجز) ١ / ١٧٩ : نسبهما ابن السيرافي في شرح أبيات الكتاب ١ / ٣١٢ إلى غيلان بن حريث (خطأ : حريث بن غيلان) وكذلك في إعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ٨٨٣

٥٠ — أيسارُها / واستجزارُها (رجز) ١ / ٣٦٦ : نسبهما ابن السيرافي في شرح أبيات الكتاب ٢ / ١١٠ إلى غيلان بن حريث كذلك .

٥١ — صَبْرًا (طويل) ١ / ١٩٣ : هو لابن ميادة في ديوان ق ٥٧ / ١٠ ص ٤٨ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٢٦٩ وشرح شواهد المغنى ٢٢٦ والدرر اللوامع ١ / ٧٤ وأمالى ابن الشجري ٢ / ٣٤٩ وخزانة الأدب ١ / ٢١٧ والعينى على هامش الخزانة ١ / ٥٢٣ والحماسة البصرية ٢ / ١١١

٥٢ — وتَأَزَّرًا (طويل) ١ / ٣٤٩ : قال صاحب خزانة الأدب ٢ / ١٠٢ : « وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لايعرف لها قائل . وقال ابن هشام في شواهدہ : إنه لرجل من عبد مناة بن كنانة والله أعلم » .

وينسب للفرزدق في شرح شواهد الكشاف ١١٣ وفي ديوانه ص ٢٨٠ ؛ ٢٩٥
عجز بيت يشبه وهو : « إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا » وانظر كذلك :
الدرر اللوامع ٢ / ١٩٧ — ١٩٨ وينسب للكميث بن معروف أو الكميث
الأسدي في إيضاح شواهد الإيضاح الورقة ٥٣

٥٣ — أعصر (طويل) ٢ / ٣٨٧ : هو لأبي حزابة الوليد بن حنيفة في
الأغاني ١٩ / ١٥٦ وعنه في شرح شواهد الشافية ٤ / ٣٦٤ ولودود العنبري
في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤٣٤ ولأحدهما في اللسان
(كهمس) ٨ / ٨٣

٥٤ — حَنْزَرَةٌ / كَمَرَةٌ (رجز) ١ / ١٦٦ = ١ / ٢٩٣ : هما للأعور
بن براء الكلبى في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٢٦٣ وللأعور بن
براء الكلابى في فرحة الأديب ٦٥ ومعجم البلدان ٢ / ٤٧٨

٥٥ — الحُضْرُ (طويل) ١ / ١٦٧ : هو لجرير في ديوانه ص ٢١٢
وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ١٥١ ؛ ١ / ٢٣٠ وشرح الفصل
لابن يعيش ١ / ١٢١

٥٦ — العَشْرُ (طويل) ٢ / ١٧٤ : في الكتاب والشتمرى لرجل من
بنى كلاب . وهو للنواح الكلابى في العينى على هامش الخزانة ٤ / ٤٨٤
وعلى هامش الأشموني ٤ / ٦٣ والدرر اللوامع ٢ / ٢٠٤ وللأعور بن البراء
الكلابى في الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ / ٥١

٥٧ — ثَائِرٍ / عَاشِرٍ (طويل) ١ / ٢٥٣ : هما لسماعة النعماني في
شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٥٩١

٥٨ — عَمَّارٍ (بسيط) ١ / ١٤٤ : هو للناطقة الذبياني في ديوانه ق
٦٥ / ٢٠ ص ٢٣٥ وجمهرة أشعار العرب ص ٢٢٥ .

- ٥٩ — وقدكبر (بسيط) ٢ / ٣١٥ : لم يورد منه سيبويه إلا قطعة من صدره ، وهي « مشية سجحا » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢١٤
- ٦٠ — جسر (وافر) ٢ / ١٤٧ : نسبه ابن السيرافي في شرح أبيات الكتاب ٢ / ٢٩٣ إلى الفارعة بنت معاوية بن قشير القشيرية .
- ٦١ — ابن عمرو (وافر) ٢ / ١٤٨ : ينسب إلى يزيد بن سنان بن أبي حارثة المري في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٧٩ وفرحة الأديب ١٤٣ وهو له في الفضليات ق ١٣ / ٥ ص ١٢٢
- ٦٢ — الحمار / حار (وافر) ١ / ٣٨٠ : هما لفاختة بنت عدى في الأغاني (بولاق) ١٠ / ٦٥ وقبلهما في ثمار القلوب ٦٨ : « وقالت امرأة قتل ابنها غير أكفائه » . وفي شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٩٧ : « قالت نائحة عدى بن أخت الحارث بن أبي شمر » . وفي الحيوان للجاحظ ٦ / ٢١٨ : « قال الأسدى للحارث الملك الغساني ! »
- ٦٣ — كثير / الصقور (وافر) ١ / ٢٥٤ : هما لإمام بن أقرم التميمي في البيان للجاحظ ١ / ٣٨٦ وإمام بن أقرم التميمي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٦ وقال في فرحة الأديب ١٣٢ « وأنا أشك في أقرم هل هو بالراء أو بالزاي ! »
- ٦٤ — الأقدار (كامل) ١ / ٥٨ : قال العيني في هامش الخزانة ٣ / ٥٤٣ : « أقول : قائله هو أبو يحيى [أبان] اللاحقى . قال المازني : زعم أبو يحيى أن سيبويه سأله : هل تعدى العرب فعلاً ؟ قال : فوضعت له هذا البيت ، وعملته له ، ونسبته إلى العرب ، وأثبتته في كتابه » . وانظر كذلك : خزانة الأدب ٣ / ٤٥٦
- ٦٥ — اعتصاري (رمل) ١ / ٤٦٢ : أورد سيبويه صدره فقط .

والبيت لعدى بن زيد العبادى فى ديوانه ق ١٧ / ٥ ص ٩٣ وخزانة الأدب

٣ / ٥٩٧ وانظر مصادر أخرى فى ديوانه ص ٢٢٠

٦٦ — المَزر (سريع) ٢ / ٢٩٧ : هو للأقيشر الأسدى فى شرح

أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣٩١ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٥١٦

والدرر اللوامع ١ / ٣٢ ونسبه ابن الشجرى فى أماليه ٢ / ٣٧ إلى الفرزدق

وليس فى ديوانه ، وقد تعقبه صاحب خزانة الأدب ٢ / ٢٨٠ فقال : « وقال

ابن الشجرى فى أماليه : مر الفرزدق بامرأة وهو سكران يتوقع ، فسخرت

منه ، فقال هذه الأبيات ، انتهى . والصواب الأول » أى نسبه إلى الأقيشر .

٦٧ — مِسْوَر (مقارب) ١ / ١٧٦ : فى خزانة الأدب ١ / ٢٦٨ أن

« هذا البيت من الأبيات الخمسين التى لايعرف لها قائل » . وقد نسب إلى

أعرابى من بنى أسد فى العينى على هامش الخزانة ٣ / ٣٨١ وشرح شواهد

المغنى ٣٥٧ وشرح شواهد الكشاف ١٢٦ والدرر اللوامع ١ / ١٦٣

٦٨ — الحُمُر / القَمَر (رجز) ١ / ٢٥٣ : فى الكتاب والشنتمرى

« رجل معروف من أزد السراة » . وهما للميمس الثمالى فى شرح أبيات الكتاب

لابن السيرافى ٢ / ٥

٦٩ — بالعواور (رجز) ٢ / ٣٧٤ : البيت لجندل بن المثنى الطهوى

فى العينى على هامش الخزانة ٤ / ٥٧١ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٣٧٤

٧٠ — قوقار (رجز) ٢ / ٤٠ : هو لأبى النجم العجلى فى اللسان

(قرر) ٦ / ٣٩٩ وتاج العروس (قرر) ٣ / ٣٨٢ وخزانة الأدب ٣ / ٥٨

٧١ — المَصْعَر (رجز) ٢ / ٢٤٢ : ينسب لغيلان بن حريث فى

شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣٨٢ والتكملة للصاغانى ٣ / ٦٧

٧٢ — المور / المهمور / مسفور (رجز) ١ / ٣٠٢ : الأبيات لحميد

الأرقط في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٣ وفي الكتاب
والشنتمري أنها لبعض السعديين .

٧٣ — ونَمُرُ (رجز) ٢ / ١٧٩ : هو لحكيم بن مُعَيَّة الرَّبَعِيّ من بني
تميم ، في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٩٦ والعيني على هامش
الخزانة ٤ / ٥٨٦ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٣٨٠ وفرحة الأديب ١٥٢
واللسان (عيل) ١٣ / ٥١٨ وتاج العروس (عيل) ٨ / ٤١

٧٤ — حَزْرُ (رجز) ٢ / ٢٣٩ : يروى لعمرو بن العاص أو للنجاشي
الحارثي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٩٥ وقال أيضا : « وأظن
أنه يروى لغيرهما أيضا » . وعقب عليه صاحب فرحة الأديب ١٦٠ بقوله :
« إذا فسر المفسر الشعر بأظن وعسى ويجوز ويروى ، فاعلم أنه برذون فيه .
وهذا الشعر للمساور بن هند » . وفي الاقتضاب ٤٠٨ أنه لعمرو بن العاص
أو أوطاة بن سهية المري !

٧٥ — التَّقْرُ (رجز) ٢ / ٢٨٤ : في سيبويه والشنتمري أنه لبعض
السعديين ، وهو لفدكي بن أعبد المنقري ، أو عبيد الله بن ماوية الطائي .
انظر : العيني على هامش الخزانة ٤ / ٥٥٩ وشرح شواهد المغني ٢٨٥
واللسان (نقر) ٧ / ٨٩ والدرر اللوامع ٢ / ١٤١ ؛ ٢٣٤

٧٦ — التَّنْزِي (رجز) ١ / ٣٠٨ : هو لرؤبة في ديوانه ق ٢٣ / ١
ص ١٦٣ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٤٧١ وأمالى ابن الشجري
٢ / ١٢١ ؛ ٢ / ٣٠٠ والعيني على هامش الخزانة ٤ / ٢١٩ وشرح المفصل
لابن يعيش ٦ / ١٣٨

٧٧ — يتَلَمَّسُ (طويل) ١ / ١٦٠ : البيت لأبي الغطريف الهذلي
في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ١٩٣

٧٨ — أنيسُ / العيسُ (رجز) ١ / ١٣٣ = ١ / ٣٦٥ : هما لجران
 العود النمرى فى ديوانه ص ٥٢ وخزانة الأدب ٤ / ١٩٧ والعينى على هامش
 الخزانة ٣ / ١٠٧ وشرح شواهد الكشاف ١٥٨ والدرر اللوامع ١ / ١٩٢
 ٧٩ — أمسا / خمساً (رجز) ٢ / ٤٤ : فى خزانة الأدب ٣ / ٢٢٢ :
 « والبيت الشاهد من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها . وقال ابن
 المستوفى : وجدت هذه الأبيات الثانية فى كتاب نحو قديم للعجاج أبى روية ،
 وأراه بعيداً من نمطه » .

٨٠ — حريصُ (وافر) ١ / ٤٤٠ : هو لعمر بن جابر الحنفى فى
 حماسة البحترى ص ١٥ ومحاضرات الأدباء (القاهرة ١٢٨٧ هـ) ١ / ١٥٧
 وينسب فى طبعة عبد السلام هارون للكتاب ٣ / ٧٣ إلى « عدى بن زيد »
 وليس فى ديوانه !

٨١ — تُقضى / بعضاً (رجز) ٢ / ٣٠٠ : هما لرؤية بن العجاج فى
 ديوانه ق ٢٩ / ١ — ٢ ص ٧٩ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى
 ٢ / ٣٥٥ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٢٣٥ والعينى على هامش الخزانة
 ٣ / ١٣٩ ولسان العرب (أضض) ٨ / ٣٨٣ (دين) ١٧ / ٢٦ وتاج العروس
 (أضض) ٥ / ٦ (دين) ٩ / ٢٠٧

٨٢ — وَحَضّاً (رجز) ١ / ١٧٥ : هو للعجاج فى ديوانه ق ٦ / ٣٢
 ص ٩٢ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٣١٥ وفرحة الأديب ١٧٨
 وخزانة الأدب ١ / ٢٧٥ وشرح ابن يعيش ١ / ١١٩ والعينى على هامش
 الخزانة ٣ / ٣٩٩ والدرر اللوامع ١ / ١٦٣

٨٣ — العَمْضُ (رجز) ٢ / ٢٠٠ : نسبه ابن السيرافى فى شرح
 أبيات الكتاب ٢ / ٣٧٢ إلى أبى عوف أحد بنى مبدول بن تيم بن قيس بن
 ثعلبة .

- ٨٤ — التقاطا (رجز) ١ / ١٨٦ : هو لأبي محمد الفقعسى فى فصل
المقال ٥٠٨ وينسب إلى نقادة الأسدى فى لسان العرب (فرط) ٩ / ٢٤٢
(لقط) ٩ / ٢٧٠ وتاج العروس (لقط) ٥ / ٢١٨
- ٨٥ — مَوْضِعُ (طويل) ٢ / ٢٤ : هو لمسكين الدارمى فى ديوانه ق
٤٠ / ٥ ص ٤٩ وخزانة الأدب ٢ / ١١٧ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى
٢ / ٢٢٤ وفرحة الأديب ١٣٦
- ٨٦ — فاجعُ (طويل) ١ / ٣٥٨ : نسبه سيويه والشنتمرى إلى رجل
من بنى سلول . ونسب إلى الضحّاك بن هتّام الرقاشى فى خزانة الأدب
٢ / ٨٩ وشرح مايقع فيه التصحيف للعسكرى ٤٠٥ وزهر الآداب
للحصرى ٢ / ٦٥٢ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٥٢١ وقال عنه
الشنقيطى فى الدرر اللوامع ١ / ١٢٩ : « ولم أعثر على قائله » !
- ٨٧ — بلاقعُ (طويل) ٢ / ٨٠ : هو للبيد بن ربيعة فى ديوانه ق
٢٤ / ٥ ص ١٦٩ وينسب إلى ذى الرمة فى النهاية لابن الأثير ٣ / ٣٤٦ وهو
فى ذيل ديوانه رقم ٥٨ ص ٦٦٩
- ٨٨ — صنعوا (بسيط) ٢ / ٣٠١ : هو لابن مقبل فى ديوانه ق
٢٣ / ٥ ص ١٦٨ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٢٣٧ وانظر : شرح أبيات
الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣٨٣
- ٨٩ — قنعوا (بسيط) ٢ / ٣٠١ : هو لابن مقبل فى ديوانه ق
٢٣ / ١٦ ص ١٧٢ ولسان العرب (سوف) ١١ / ٦٥ وانظر : شرح أبيات
الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣٨٤
- ٩٠ — جمعوا (بسيط) ٢ / ٣٠١ هو لابن مقبل فى ديوانه ق ٢٣ / ١٠
ص ١٧٠ وفرحة الأديب ١٧٠ وانظر : شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى
٢ / ٣٨٤

٩١ — ينفعا (طويل) ٢ / ١٥٢ : هو للنجاشي الحارثي في شرح
أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٠٨ وخزانة الأدب ٤ / ٥٦٤ والعقد الفريد
٥ / ٣٩١ والعيني على هامش الخزانة ٤ / ٣٤٤ والدرر اللوامع ٢ / ٩٧

٩٢ — جنادعا (طويل) ٢ / ٢٧ : هو للراعي في شرح أبيات
الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣١٨ ولسان العرب (جدد) ٩ / ٣٩٣
(جدد) ٩ / ٤١٣ ولم يشته جامع ديوانه !

٩٣ — مضاعا (وافر) ١ / ٧٨ : نسبه سيبويه إلى رجل من بجيلة أو
خثعم ، كما نسبه الشنتمري إلى رجل من خثعم . وقال في خزانة الأدب
٢ / ٣٦٩ : « والبيت نسبه سيبويه إلى رجل من خثعم أو بجيلة ، وتبعه ابن
السراج في أصوله . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدى بن زيد العبادي ، وهو
الصحيح ، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية » . وهو لعدى بن زيد
في ديوانه ق ٢ / ١ ص ٣٥ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ١٢٣
والعيني على هامش الخزانة ٤ / ١٩٢ والحماسة البصرية ١ / ٦٥ والدرر
اللوامع ٢ / ١٦٥

٩٤ — وَضَعَهُ (رمل) ١ / ٢٩٦ : هو لأنس بن زعيم من أبيات قالها
لعبيد الله بن زياد بن سمية ، في خزانة الأدب ٣ / ١٢٠ والعيني على هامش
الخزانة ٤ / ٤٩٣ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٥٣ والدرر اللوامع ١ / ٢١٢
ونسبها في الحماسة البصرية ٢ / ١٠ إلى عبد الله بن كرز . وقال في الخزانة
٣ / ١٢١ : « ورويت أيضا لأبي الأسود الدؤلي ، والله أعلم بحقيقة الحال » .
وانظر : ديوان أبي الأسود ص ٣٦ / ٣٨

٩٥ — رواجعا (رجز) ١ / ٢٨٤ : قال عنه في خزانة الأدب
٤ / ٢٩٠ : « والبيت الشاهد من الأبيات الخمسين التي ما عرف قائلوها ،

والله أعلم . وقد نسبه ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ٦٥ إلى العجاج ، وعنه في شرح شواهد المغنى ٢٣٦ وهو في ملحق ديوانه (أهلوت) ق ٢٣ / ١ ص ٨٢

٩٦ — الصَّقِيع (وافر) ٢ / ١٨٠ : هو لخالد بن أبي فهر في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٨٦ وهو لابن مقبل في ديوانه ق ٢٢ / ٢٨ ص ١٦٥ وبلا نسبة في المقتضب ٢ / ١٩٧ والمخصص ٨ / ٨٥

٩٧ — نَفَّاع (كامل) ١ / ٢٩٦ : هو للفرزدق في العيني على هامش الخزانة ٤ / ٤٩٢ وليس في ديوانه . وقال في خزانة الأدب ٣ / ١٢٢ : « والبيت وقع غفلا في كتاب سيبويه والمفصل ، ولم يعزه أحد من شراحهما إلى قائله ، وزعم العيني أنه للفرزدق ، والله أعلم به » .

٩٨ — بالحي عارف (طويل) ١ / ١٦١ = ١ / ١٧٥ : هو للمندر بن درهم الكلبي في خزانة الأدب ١ / ٢٧٧ ومعجم البلدان ٢ / ٨٥٨ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٢٣٥ وشرح شواهد الكشاف ١٩٢ والدرر اللوامع ١ / ١٦٣ وفرحة الأديب ٥٧

٩٩ — للذَّل عارف (طويل) ١ / ٤٥٤ : هو للقيط بن زرة في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٣٣ وفرحة الأديب ٧٧

١٠٠ — المطارف (طويل) ٢ / ٢٥ : هو لحميدة بنت النعمان بن بشير في الأغاني (بولاق) ٨ / ١٣٩ وسمط اللآلي ١ / ١٨٠ وبلاغات النساء ٩٥

١٠١ — تُرْجِفُ / يُنْزِفُ (كامل) ١ / ٢٢٢ : في الكتاب قبلهما : « وأنشد لبعض العرب الموثوق بهم » . وهما لبشر بن أبي خازم في ديوانه ق ٣١ / ١١ — ١٢ ص ١٥٥ وشرح أبيات الكتاب ٢ / ١٤ — ١٥ والأول له في

اللسان (زحف) ١١ / ٣٠ وشرح القصائد السبع ٥٠٠ وقال عنهما في الدرر اللوامع ٢ / ١٦٦ : « ولم أعر على قائل هذين البيتين » !

١٠٢ — الشفوف (وافر) ١ / ٤٢٦ : هو لميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان ، في خزانة الأدب ٣ / ٥٩٢ ؛ ٣ / ٦٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٢٤ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٣٩٧ وشرح شواهد الكشاف ١٩١ والدرر اللوامع ٢ / ١٠

١٠٣ — شافي (كامل) ٢ / ١٥٢ : هو لبنت أبي الحصين من قبيلة مذحج ، في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٦٣ ولبنت مرة بن عاهان الحارثي في خزانة الأدب ٤ / ٥٦٥ والدرر اللوامع ٢ / ١٠٠ وفرحة الأديب ١٤١

١٠٤ — لام ألف (رجز) ٢ / ٣٤ : هو لأبي النجم العجلي في خزانة الأدب ١ / ٤٩ وشرح شواهد المغنى ٢٦٧ وشرح شواهد الشافية ٤ / ١٥٦ والدرر اللوامع ٢ / ٨٥

١٠٥ — خالقة (طويل) ٢ / ٣٠١ : لم يورد سيويوه والشتنمري إلا صدره : « ياعجبا للدهر شتى طرائقه » . والبيت بتمامه للراعي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٩٩ واللسان (طرق) ١٢ / ٩١ ولم يثبته جامع ديوانه . وعجزه : « وللمرء يئلوه بما شاء خالقه » .

١٠٦ — لحقيق (طويل) ٢ / ٤٠٨ : البيت لغيلان بن حريث في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤٤١

١٠٧ — فريق (وافر) ١ / ٤٦٨ : نسبه في الكتاب للعبدى ، ونسبه الشتنمري لرجل من عبدالقيس ، وهو للمفضل النكري من عبد القيس ، واسمه عامر بن معشر بن أسحم بن عدى ، في شرح أبيات الكتاب لابن

السيرافي ٢ / ٢٠٨ وهو مطلع قصيدة له تسمى المنصفة في الأصمعيات ق ٦٩ / ١ ص ٢٣١ وحماسة الخالدين ١ / ١٤٩ وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٢٣ وشرح شواهد المغنى ٦٢ والعينى على هامش الخزانة ٢ / ٢٣٥ والدرر اللوامع ٢ / ٨٧ وفي الحماسة البصرية ١ / ٥٣ أنها لعامر ابن أسحم ابن عدى الكندى، وهى رواية غير الأصمعى . انظر : الأصمعيات ص ٢٣٠ وانظر كذلك تعليقات المحققين فى بعض الكتب السابقة ، وتعليق الميمنى فى هامش سمط اللآلى ١ / ١٢٥

١٠٨ — مخراق (بسيط) ١ / ٨٧ : فى خزنة الأدب ٣ / ٤٧٧
« والبيت من أبيات سيبويه الخمسين ، التى لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رألان السنيسى ، وسنسب أبو حى من طيء . ونسبه غير خدمة سيبويه إلى جرير ، وإلى تأبط شراً ، وإلى أنه مصنوع ، والله أعلم بالحال » . وفى شرح شواهد الكشاف ٢٦٦ أنه : « لتأبط شراً ، وقيل إنه لجرير بن الخطفى » . وفى العينى على هامش الخزانة ٣ / ٥٦٣ ونقله عنه فى الدرر اللوامع ٢ / ٢٠٤ : « أقول : قائل هذا البيت مجهول ، وقيل : إنه مصنوع ، وقيل : إنه لجرير بن الخطفى » . وهو ليس فى ديوان جرير ، كما أن لتأبط شراً قصيدة مفضلية فى أول المفضليات من الوزن والقافية ، وليس فيها هذا البيت !

١٠٩ — مغبق / القربق / الأدفق (رجز) ٢ / ٣٤٣ : الأبيات لسالم ابن قحفان فى اللسان (قربق) ١٢ / ١٩٨ وفيه أن أبا عبيد يرويهما للصقر بن حكيم ابن معية الربعى وانظر نقد ابن برى له هناك !

١١٠ — المخترق (رجز) ٢ / ٣٠١ : هو لرؤية فى ديوانه ق ٤٠ / ١ ص ١٠٤ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٥٣ وخزانة الأدب

١ / ٣٨ ؛ ٤ / ٢٠١ والعيني على هامش الخزانة ١ / ٣٨ وشرح شواهد

المغنى ٢٥٩ والدرر اللوامع ٢ / ٣٨

١١١ — العَوَارِكِ (طويل) ١ / ١٧٢ : هو لهند بنت عتبة في سيرة

ابن هشام ١ / ٦٥٦ والروض الأنف ٥ / ١٦٧ وخزانة الأدب ١ / ٥٥٦

والعيني على هامش الخزانة ٣ / ١٤٢

١١٢ — تَرَاكِهَا / أَوْزَاكِهَا (رجز) ١ / ١٢٣ = ٢ / ٣٧ : البيتان

لطفييل بن يزيد الحارثي في لسان العرب (ترك) ١٢ / ١٨٦ وخزانة الأدب

٢ / ٣٥٤ وما بنته العرب على فَعَالٍ للصاغاني ٨٢ ولطفييل بن يزيد المعقل في

شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٠٧

١١٣ — مفاصلُهُ (طويل) ١ / ١٤١ : هو لذي الرمة في ديوانه ق

٦٢ / ٥٠ ص ٤٧٦ ولسان العرب (طبق) ١٢ / ٨٢ وأساس البلاغة ١ /

٤٠٠ وشرح ابن يعيش ٢ / ٢٧

١١٤ — ذَلِيلُهَا (طويل) ٢ / ٢٧ : ينسب إلى الأعشى في شرح

أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٣٨ والمقتضب ٣ / ٣٦٣ وقال عضيمة

في هامشه : « ولم ينسب البيت إلى قائل في سيبويه ، وليس في ديوان

الأعشى ، وله قصيدة من بحر الشاهد ورويه في الديوان ، ويظهر أنه ساقط

منها » .

١١٥ — الطَّلُّ / حَضِيلُ (بسيط) ١ / ١٤٢ : في شرح شواهد المغنى

للبيغدادي في الشاهد رقم ٨٣٤ أنهما لعمر بن أبي ربيعة . انظر : الخصائص

هامش ١ / ٢٩٦ ؛ ٣ / ٢٢٦ وليس في ديوانه .

١١٦ — نفعلا (طويل) ٢ / ١٥١ : ذكر في خزانة الأدب ٤ / ٥٥٨

أنه من أبيات سيبويه الخمسين ، التي لم يعرف قائلها . وهو للنابغة الجعدى

في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٥١ والموازنة ١ / ٤٦٢ وليس في ديوانه !

١١٧ — وقابله (طويل) ٢ / ٣٩ : البيت لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه ص ١١٧ ونقائض جرير والفرزدق ٣٢٢ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣١٧ وهو بلا نسبة في كتاب مابنته العرب على فعالٍ للصاعاني ص ٥٢

١١٨ — قَبَّالًا (وافر) ١ / ٤٠٨ : في خزنة الأدب ٣ / ٦٣٠ : « والبيت لايعرف قائله ، ونسبه الشارح في الباب الذي بعد هذا إلى حسان ، وليس موجودا في ديوانه . وقال ابن هشام في شرح الشذور : قائله أبو طالب عم النبي ﷺ . وقال بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل : هو للأعشى ، والله أعلم بحقيقة الحال » .

وانظر كذلك : الدرر اللوامع ٢ / ٧١ وهو لأبي طالب في شرح شذور الذهب ٢٢٥ ولم أجده في ديوان حسان . وهو في ملحق ديوان الأعشى رقم ١٧٧ ص ٢٥٢

١١٩ — التأميلا (خفيف) ١ / ٤١٩ : في الكتاب والشنتمرى لبعض الحارثيين . وينسب في المفصل للزحشري ٢٤٩ إلى : العنبري !

١٢٠ — كَمَيْلا / هَدَيْلا (مقارب) ١ / ٢٩٢ : هما للعباس بن مرداس السلمى في ملحق ديوانه ق ٦٦ / ١ — ٢ ص ١٣٦ وشرح شواهد المغنى ٣٠٧ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٤٨٩ والدرر اللوامع ١ / ٢١٠ وقال عنهما البغدادي في خزنة الأدب ١ / ٥٧٥ : « وهما من أبيات سيويوه الخمسين التي لم يعرف لها قائل » . ونقل العينى عن الموعب أنهما « للعباس ابن مرداس الصحابي ، والله أعلم .. وكذا رأيته أنا في شرح ابن يسعون على شواهد الإيضاح لأبي على الفارسي ، منسوبا إلى العباس بن مرداس » .

١٢١ — **وحنظلا** (رجز) ١ / ٣٤٢ : البيت لغيلان بن حرث الربعي
في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٩ ومجالس ثعلب ١ / ٢٥٤
ولسان العرب (وسط) ٩ / ٣٠٨

١٢٢ — **من علا** (رجز) ٢ / ١٢٣ : هو لغيلان بن حرث الربعي ،
في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٧٧ ولسان العرب (نوش)
٨ / ٢٥٥ وقال في خزنة الأدب ٤ / ١٢٦ : « وهذا البيت من أبيات سيويه
الخمسين التي لا يعلم قائلها ، والله أعلم . وأنشده صاحب الصحاح في نوش
وفي علا . وقال ابن بري في حاشيته عليه : هذا الرجز لغيلان بن حرث
الربعي » . كما ينسب إلى أبي النجم في مادة (علا) من الصحاح ٦ / ٢٤٣٥
ولسان العرب ١٩ / ٣١٦ وقال عنه في الاقتضاب ٤٢٧ : « لأعلم لمن هذا
الرجز » !

١٢٣ — **مَجْهَلٍ** (طويل) ٢ / ٣١٠ : هو لمزاحم بن الحارث العقيلي
في ديوانه ق ١ / ٧٥ ص ١١ والمعاني الكبير ١ / ٣١٧ وأدب الكاتب ٥٣٥
والاقتضاب ٤٢٨ وخزنة الأدب ٤ / ٢٥٣ والعيني على هامش الخزانة
٣ / ٣٠١ ولسان العرب (صلل) ١٣ / ٤٠٦ (علا) ١٩ / ٣٢١ وجمهرة اللغة
٣ / ٤٩١ والصحاح (علا) ٦ / ٢٤٣٨ والدرر اللوامع ٢ / ٣٧

١٢٤ — **لِعَاقِلٍ** (طويل) ١ / ١٥٥ : هو لعبد مناف بن ربع الهذلي في
ديوان الهذليين بشرح السكري ٢ / ٦٨٦ وشرح أبيات الكتاب ١ / ١٣٠
ومعجم البلدان ٣ / ٨٧٧

١٢٥ — **الأنامل** (طويل) ٢ / ٣٧ : هو للفرزدق في ديوانه ص ٦١١
وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٣١ وهو بلا نسبة في كتاب مابنته
العرب على فَعَالٍ للصاغاني ص ٨

١٢٦ — **سبيل** (طويل) ١ / ٢٨٢ : هو للأخضر بن هبيرة الضبي في

شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٥٩٩ وفرحة الأديب ١٣٠ ولسان
العرب (ضفط) ٩ / ٢١٨ وينسب إلى الأعشى كذلك في ملحق ديوانه رقم
١٨٦ ص ٢٥٣

١٢٧ — أوقال (بسيط) ١ / ٣٦٩ : لم ينسب في الكتاب ، ونسبه
الشتنمري إلى رجل من كنانة ، وهو لأبي قيس بن رفاعه من الأنصار ، في
شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٨٠ ولأبي قيس بن الأسلت في
خزانة الأدب ٢ / ٤٦ والدرر اللوامع ١ / ١٨٩ وفي شرح شواهد المغنى
١٥٦ : « هو لأبي قيس بن رفاعه من الأنصار ، كذا في شرح أبيات
الكتاب للزمخشري » . وفي خزانة الأدب ٢ / ٤٩ مايلي : « البيت الشاهد
كونه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات ، وهو
في معرفة الأشعار أديب غير منازع فيها . وقد نسبه الزمخشري في الأحاجي
إلى الشماخ ، وقد راجعت ديوانه فلم أجده فيه ، ونسبه بعض شراح سيبويه
إلى رجل من كنانة ، ونسبه بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل تبعا
للزمخشري في شرح أبيات الكتاب إلى أبي قيس بن رفاعه الأنصاري . أقول :
لم يوجد في كتب الصحابة من يقال له أبو قيس بن رفاعه ، وإنما الموجود
قيس بن رفاعه » .

١٢٨ — الطُّحَالِ (وافر) ١ / ١٥٠ : في فرحة الأديب ٩٤ :
« لأعرف هذا البيت على هذا الإنشاد ، وأعرف (مكان الكليتين من
الطحال) في أبيات لشعبة بن قمير المازني ، ولعل هذا ذاك فغير . وأبيات
شعبة ... » . ثم ساق خمسة أبيات منها :
وأنا سوف نجعل مَوْلِينَا مكان الكليتين من الطحال
وصدره في إنشاد سيبويه له : « فكونوا أنتم وبنى أبيكم » .

- ١٢٩ — وَبَالَ (وافر) ١ / ٢١٤ : نسب في الكتاب إلى رجل من باهلة ، ولم ينسبه الشنتمرى . وهو لابن ميادة في شرح أبيات الكتاب ١ / ٦٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٦٢
- ١٣٠ — رجَالِ (وافر) ٢ / ١٩٦ : لم يورده الشنتمرى . وهو للقحيف العقيلي مع آخر في كتاب الأمثال لمؤرج السدوسي ص ٤٩
- ١٣١ — بِالْمَطَّالِي (وافر) ٢ / ٣٢٢ : هو لزيان بن سيار الفزاري في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤١٢ ومعجم البلدان ٢ / ١٣٣ وفرحة الأديب ١٥٣ وفي لسان العرب (جنف) ١٠ / ٣٧٨ لزياد بن سيار الفزاري ! وقال في الاقتضاب ٤٧١ : « لأعلم قائل هذا البيت » ! وينسب البيت إلى ابن مقبل في معجم ما استعجم ٢ / ٣٩٨ وعنه في ملحق ديوانه ص ٣٩٢
- ١٣٢ — الْمَقِيلِ (وافر) ١ / ٦٠ = ١ / ٩٧ : هو للمرار بن المنقذ التميمي في العيني على هامش الخزانة ٣ / ٤٩٩
- ١٣٣ — جِعَالِ (كامل) ٢ / ٢٧٤ : البيت لحاجب بن حبيب بن خالد الأسدي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٧٣ وذكر البغدادي في شرح شواهد الشافية ٤ / ١٨٧ أن ابن عصفور نسب هذا البيت إلى لبيد العامري !
- ١٣٤ — ذُبَالِ (كامل) ٢ / ٣٦٥ : هو لابن مقبل في ديوانه ق ٣٣ / ١٣ ص ٢٥٧ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤١٩
- ١٣٥ — وَأَظْلَلِ (رجز) ٢ / ١٦١ : البيت للعجاج في ديوانه (أهلوت) ق ٢٩ / ٨٨ ص ٤٧ (ليس في نشرة الدكتور عزة حسن — بيروت ١٩٧١ م) واللسان (ظلل) ١٣ / ٤٤٦ (ملل) ١٤ / ١٥٣ والخصائص

١ / ١٦١ ونوادر أبي زيد ٤٤ والصناعتين ١٥٠ وشرح أبيات الكتاب لابن
السيرافي ٢ / ٣١٠ وينسب إلى أبي النجم العجلي في شرح شواهد الشافية
٤ / ٤٩١ وليس في لاميته في الطرائف الأدبية ٥٧ — ٧١

١٣٦ — التَدَلُّل / حَنْظَل (رجز) ٢ / ١٧٧ = ٢ / ٢٠٢ : نسبا في

الكتاب في الموضع الثاني إلى بعض السعديين ، ونسبا إلى خطام المجاشعي أو
جندل بن المثني أو سلمى الهذلية في خزانة الأدب ٣ / ٣١٤ وزاد في الخزانة
٣ / ٣٦٧ أنهما ينسبان إلى دكين أو شماء الهذلية ، وينسبان في الدرر اللوامع
١ / ٢٠٩ إلى خطام أو جندل أو أسماء أو شماء ، وإلى أعرابي في شرح
الحماسة للمرزوق ٤ / ١٨٤٧ وإلى جندل أو دكين في فصيح ثعلب ٨٥
وإلى خطام المجاشعي في فرحة الأديب ١٥٨ والتنبيهات على أغاليط الرواة
٢٩١ وشرح التصريح ٢ / ٢٧٠

١٣٧ — عَيْهَلَّ (رجز) ٢ / ٢٨٢ : في الكتاب والشنتمري أنه لرجل

من بني أسد ، وهو لمنظور بن مرثد الأسدي في لاميته رقم ٢٤ ونوادر أبي زيد
٥٣ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٧٦ وشرح شواهد الشافية
٤ / ٢٥٠ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٢ / ٥٥١ ومادة (عهل) من
اللسان ١٣ / ٥٠٩ وتاج العروس ٨ / ٤٠ وأراجيز العرب ١٥٨

١٣٨ — بِالْهَزَلِ (طويل) ٢ / ١٨٢ : نسبه ابن السيرافي في شرح

أبيات الكتاب ٢ / ٢٤٣ إلى عمرو بن شأس الأسدي .

١٣٩ — وَجُعَلْ / الْعَضَلْ (رجز) ١ / ٢٢٦ : نسبهما ابن السيرافي

في شرح أبيات الكتاب ٢ / ١٠ إلى الحدلمي !

١٤٠ — الْمُصَمَّمُ (طويل) ١ / ٣٦٦ : هو لضيرار بن الأزور

المالكي الصحابي في خزانة الأدب ٢ / ٥ والعينى على هامش الخزانة

٣ / ١٠٩ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٢٨ وفرحة الأديب ١١٣
وينسب في قصيدة مفتوحة الروى إلى الحصين بن الحمام المرّي في
المفضليات ق ١٢ / ١٠ ص ١٠٦ وانظر كذلك : خزنة الأدب ٧ / ٢

١٤١ — تقدّموا (طويل) ٢ / ٣٠٢ : هو لضرار بن الأزور المالكي
الصحابي ، من قصيدة الشاهد السابق في خزنة الأدب ٢ / ٥ وفرحة
الأديب ١١٤ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٤٣

١٤٢ — هَضُومٌ (وافر) ١ / ٢٩٥ : قال عنه عبد السلام هارون في
هامش تحقيقه للكتاب ٢ / ١٦٦ : « البيت من الخمسين التي لم يعرف لها
قائل ، ولم أجده في مرجع آخر » ! وهو في شرح أبيات الكتاب لابن
السيرافي ١ / ٥٧٥ وفرحة الأديب ١٨٨ للأشهب بن رميلة في ثمانية أبيات .

١٤٣ — القديمُ (وافر) ١ / ٤٢١ : نسبه ابن السيرافي في شرح
أبيات الكتاب ٢ / ١٥٢ إلى البرج بن مسهر . وله قطعة على الوزن والقافية ،
ليس فيها البيت في الحماسة بشرح المرزوق ١٢٧٢ والمؤتلف والمختلف
للأمدي ص ٨٠

١٤٤ — لئيمٌ (وافر) ١ / ٤٧٨ : هو للمرار بن سعيد الأسدي في
شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٦٣

١٤٥ — المَعْنَمُ (كامل) ٢ / ٣٨ : هو للمقعد بن عمرو في ماينته
العرب على فعّالٍ للصاغاني ص ٧٩ وفي اللسان (حلق) ١١ / ٣٥٢ : « قال
ابن بري : البيت للأخزم بن قارب الطائي ، وقيل : هو للمقعد بن عمرو »
ومثله في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٦٤ ونسبه في فرحة
الأديب ١٤٢ للأخزم النسبسي .

١٤٦ — سناهما (طويل) ١ / ٤٧٤ : هو للشمردل بن شريك
البريوعي في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ١٤١ .

١٤٧ — ظالما (وافر) ١ / ٤٠٢ : هو لسُمَيْر الضبى فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ١٨٣ ولشمير بن الحارث الضبى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ والحيوان للجاحظ ٤ / ٤٨٢ ؛ ٦ / ١٩٧ وخزانة الأدب ٣ / ٢ ولشمير فى الدرر اللوامع ٢ / ٢١٨ والحماسة البصرية ٢ / ٢٤٦ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٤٩٨ واللسان (حسد) ٤ / ١٢٦ (أنس) ٧ / ٣٠٨ وشرح ابن يعيش ٤ / ١٦ ولشمير أو الفرزدق أو تأبط شرا فى شرح شواهد الكشاف ٢٦٠

١٤٨ — مداها (وافر) ١ / ٤٦٠ : ينسب إلى الأعشى فى لسان العرب (سلم) ١٥ / ١٨٤ وخزانة الأدب ٣ / ١٣٦ ومن العجيب أن يقول البغدادى بعد ذلك ٣ / ١٣٧ : والبيت الشاهد لم أراه منسوبا إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه . وفى غيره غير منسوب إلى أحد ، والله أعلم . وفى الدرر اللوامع ٢ / ٦٣ : « ولم أعر على قائل هذا البيت ! وهو فى ملحق ديوان الأعشى رقم ٢٠٠ ص ٢٥٧

١٤٩ — يَغْلَمًا / مُعَمَّمًا (رجز) ٢ / ١٥٢ : نسبه ابن السيرافى فى شرح أبيات الكتاب ٢ / ٢٦٦ إلى الدبيرى . وقال العينى على هامش الخزانة ٤ / ٨٠ : « أقول : قائله هو أبو حيان الفقعسى ، كذا قاله ابن هشام الخنبلى ، وقال ابن هشام اللخمى : قائله مساور العبسى ، ويقال : العجاج والد رؤبة . وقال السيرافى : قائله الدبيرى . وقال الصاغانى : قائله عبد بنى عبس . » وانظر كذلك فى الخلاف حول نسبه : خزانة الأدب ٤ / ٥٦٩ والدرر اللوامع ٢ / ٩٨

١٥٠ — وَأَسْهَمُ (طويل) ٢ / ٨٤ : نسبه ابن السيرافى فى شرح أبيات الكتاب ٢ / ٢٦٨ إلى يزيد بن عبد المدان . وله ثلاثة أبيات غيره على الوزن والقافية فى حماسة البيحترى ٢٦٩

- ١٥١ — المَنْظَم (طويل) ٢ / ١٨٦ : هو ليزيد بن عبد المدان في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٦٨ واللسان (عين) ١٧ / ١٧٥
- ١٥٢ — براسم / بالبهايم (طويل) ١ / ٢٨٨ : نسبهما ابن السيرافي في شرح أبيات الكتاب ١ / ٥٣٠ إلى عبد الرحمن بن جُهَيْم أحد بنى الحارث ابن سعد من بنى أسد . وانظر : خزانة الأدب ١ / ٣١٣
- ١٥٣ — ذى سَلَم (بسيط) ١ / ١٦٣ : هو للأحوص الأنصاري في ديوانه ق ١٥٢ / ٢ ص ١٩٩ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ١ / ٢٧٥ وخزانة الأدب ١ / ٢٣٢ وأمالى ابن الشجري ١ / ٣٤٩
- ١٥٤ — بالوَدَم (بسيط) ٢ / ٧٨ : البيت لساعدة بن جُوَيْة الهذلي في ديوان الهذليين ص ١١٣٤ والمعاني الكبير ٢ / ٩٩٣ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٢٢٩
- ١٥٥ — تَيْسَم / وميسَم (رجز) ١ / ٣٧٥ : نسبهما ابن يعيش ٣ / ٥٩ ؛ ٣ / ٦١ إلى أبي الأسود الحماني ، وأخذ عنه هذه النسبة العيني على هامش الخزانة ٤ / ٧١ كما ينسبان إلى حكيم بن معية في خزانة الأدب ٢ / ٣١١ وتهذيب الألفاظ ٢٠٧ وله أو لحميد الأرقط في الدرر اللوامع ٢ / ١٥١
- ١٥٦ — قَوْم / العُوم (رجز) ٢ / ٢٩٧ : هما لأبي نخيلة في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٣٩٨ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٢٢٥
- ١٥٧ — اليمى (رجز) ٢ / ٣٧٩ : هو لأبي الأنحر الجماني في شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ / ٤٢٧ ولسان العرب (كرم) ١٥ / ٤١٦ والافتضاب ٤٦٩
- ١٥٨ — متماين (طويل) ١ / ١٢٤ : نسبه سيويه والشتنمري إلى

الهدلى ، وهو لمالك بن خالد الخناعى الهدلى فى ديوان الهدليين بشرح
السكرى ١ / ٤٤٧ ويقال إن القصيدة للمعطل الهدلى ، وهو لمالك أيضا فى
شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ١٠٠

١٥٩ — أنافا (وافر) ١ / ١٧١ : هو للمغيرة بن حبناء فى شرح

أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٢٠٤ ولسان العرب (أنن) ١٦ / ١٦٨

١٦٠ — وألومُهِنَّةُ / إِنَّةُ (مجزوء الكامل) ١ / ٤٧٥ = ٢ / ٢٧٩ : هما

لعبيد الله بن قيس الرقيات فى ديوانه ق ٢٨ / ١ — ٢ ص ٦٦ وخزانة الأدب
٤ / ٤٨٧ وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣٧٥ وشرح شواهد
المغنى ٤٧

١٦١ — إِيَّانا / حُسَّانا (هزج) ١ / ٢٧١ = ١ / ٣٨٣ : نسبا فى

سبويه والشتتمرى فى الموضوع الثانى إلى بعض اللصوص . وهما لذى الإصبع
العدوانى فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ١٧٩ وخزانة الأدب
٢ / ٤٠٧ وتهذيب الألفاظ ٢١٠ وشرح ابن يعيش ٣ / ١٠٢ وأمالى ابن
الشجرى ١ / ٣٩ واللسان (أيا) ٢٠ / ٣٢٣ وينسب الأول إلى أبى بجيلة فى
الخصائص ٢ / ١٩٤

١٦٢ — بالأينا (مقارب) ٢ / ١٠١ : هو لزياد بن واصل السلمى فى

شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٢٨٤ وخزانة ٢ / ٢٧٦ وفرحة
الأديب ٢١٢

١٦٣ — تحوُّونةُ / وتنتجوُّونةُ (رجز) ١ / ٦٥ : هو لقيس بن حصين

ابن يزيد الحارثى فى خزانة الأدب ١ / ١٩٨ وشرح أبيات الكتاب لابن
السيرافى ١ / ١١٩ والعينى على هامش الخزانة ١ / ٥٣٠ وقال فى فرحة الأديب
١٦٤ : « قائل هذا البيت رجل من بنى ضبة ، قاله يوم الكلاب الثانى » !

١٦٤ — أميين (طويل) ١ / ٢٧١ : هو لعبد الله بن همام في حماسة
 البحترى ٢٧٨ ومحاضرات الأدباء ١ / ٧٨ وبلا نسبة في الأساس ٢ / ١٦٥

١٦٥ — أبوان (طويل) ١ / ٣٤١ = ٢ / ٢٥٨ : نسب في سيبويه
 والشنتمرى إلى رجل من أزد السراة ، وهو لعمر بن الجنبي في خزنة الأدب
 ١ / ٣٩٧ والعيني على هامش الخزانة ٣ / ٣٥٤ وشرح شواهد الشافية
 ٤ / ٢٣ وشرح شواهد المغنى ١٣٦ والدرر اللوامع ١ / ٣١ ؛ ٢ / ١٨

١٦٦ — بُبَيْنِي (وافر) ١ / ٤٠٥ : نسبه السيوطى في شرح شواهد
 المغنى ٦٩ إلى المثقب العبدى كما نسبه في اللسان (أبى) ١٨ / ١٢ إلى أبى حية
 النميرى ، ونسبه العيني على هامش الخزانة ١ / ٤٨٨ إلى سحيم بن وثيل
 الرياحى . وقال صاحب خزنة الأدب ٢ / ٥٥٦ فيه مايلي : « والبيت من
 أبيات سيبويه الخمسين ، التى ما عرف قائلها والله أعلم به . وزعم العيني
 وتبعه السيوطى في شرح شواهد المغنى أنه من قصيدة للمثقب العبدى
 وهذا لأصل له ، وإن كان الروى والوزن شيئا واحدا ؛ فإن قصيدة المثقب
 العبدى قد رواها جماعة منهم المفضل الضبى في المفضليات ، ومنهم أبو على
 القالى في أماليه وفي ذيل أماليه ، ولم يوجد البيت فيها ، ولم يعزه إليه أحد من
 خدمة كتاب سيبويه ، وهم أدرى بهذه الأمور والله أعلم » . وهو في ديوان
 المثقب العبدى (بتحقيق الصيرفى) ق ٥ / ٤٧ ص ٢١٣ كما يروى للمزرد بن
 ضرار الغطفانى في ديوانه ق ١٦ / ٢ ص ٦٨ وقال في الدرر اللوامع
 ١ / ٦٠ : « والبيت لم يعرف قائله ، ونسبته إلى المثقب العبدى غير
 صحيحة » .

١٦٧ — يعينى (كامل) ١ / ٤١٦ : نسب في سيبويه والشنتمرى إلى
 رجل مولد من بنى سلول ، وكذلك في خزنة الأدب ١ / ١٧٣ وشرح شواهد

المغنى ١٠٧ والعينى على هامش الخزانة ٤ / ٥٨ وشرح شواهد الكشف ٣٠٧
والدرر اللوامع ١ / ٤ وهو لشمر بن عمرو الحنفى فى الأصمعيات ق
٣٨ / ٣ ص ١٣٧ ولعميرة بن جابر الحنفى فى حماسة البحرى ٢٧١
١٦٨ — الجعديين / مناتين (رجز) ٢ / ٢٠٤ : هما لضب بن نعة فى
اللسان (نتن) ١٧ / ٣١٦

١٦٩ — أرائها (بسيط) ١ / ٣٤٤ : نسبه فى سيبويه والشتمرى إلى
رجل من بنى يشكر . وهو لأبى كاهل اليشكرى فى شرح أبيات الكتاب
لابن السيرافى ١ / ٥٦٠ ولسان العرب (رنب) ١ / ٤١٨ (تمر) ٥ / ١٦١
(شرر) ٦ / ٦٩ (وخز) ٧ / ٢٦٥ وجمهرة اللغة ٢ / ١٣ ؛ ٣ / ٤٢٣ وتهذيب
الألفاظ ٦٠٦ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٤٤٤ وقد خلط العينى على هامش
الخزانة ٤ / ٥٨٣ فنسبه إلى أبى كاهل التمر بن تولب اليشكرى ، وتابعه
الشنقيطى فى الدرر اللوامع ١ / ١٥٧ وقد نبه على هذا الخطأ البغدادى فى
شرح شواهد الشافية ٤ / ٤٤٦ فقال : « وأنشده صاحب الصحاح فى
ثلاثة مواضع .. وفى هامشه : قيل هو لأبى كاهل ، وقيل للنمر بن تولب
اليشكرى ، وجمع بينهما العينى ، فقال : هو أبو كاهل التمر بن تولب
اليشكرى . وهذا غير جيد منه » .

١٧٠ — فوادها (بسيط) ٢ / ٥٥ : فى الكتاب والشتمرى صدره
لبعض السعديين . والبيت للحطيئة فى ديوانه ق ٤٤ / ١ ص ٢٠١ وشرح
أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ / ٣١٩ وبلا نسبة فى شرح شواهد الشافية
٤ / ٤١٠ واللسان (ثفا) ١٨ / ١٢٢

١٧١ — أصباه (كامل) ١ / ٣٩ : فى الكتاب والشتمرى لرجل من
باهلة . وهو فى شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ١ / ٢٥٨ منسوب لوعلة
الجرمى .

- ١٧٢ — ومتاليا (طويل) ٢ / ٢٠٠ : هو للراعي التميمي في شرح
المفصل لابن يعيش ٥ / ٧٦ ومعجم البلدان ٤ / ٨١٥ وليس في ديوانه .
- ١٧٣ — يُعَيْلِيَا / مُقْلَوْلِيَا (رجز) ٢ / ٥٩ : نسبا إلى الفرزدق في
الدرر اللوامع ١ / ١١ وكذلك نسبهما إليه الشيخ النجار في هامش
الخصائص ١ / ٦ وليسا في ديوانه .
- ١٧٤ — جُلْدِيَا / حَيَّا / هَيَّا (رجز) ١ / ٢٧ — ٢٨ : الأبيات لابن
ميادة في اللسان (جلد) ٥ / ١٣ وشرح المفصل لابن يعيش ٤ / ٣٣ وخزانة
الأدب ٤ / ٥٩
- ١٧٥ — السُرِّي / مُبْتَلَى (رجز) ١ / ١٦٢ : نسبهما ابن السيرافي في
شرح أبيات الكتاب ١ / ٣١٧ إلى المُلبِد بن حرملة من بني ربيعة بن ذهل
ابن شيبان . وقال في فرحة الأديب ١٧٩ « ليس بيت الكتاب للملبد بن
حرملة الشيباني ، إنما سئل أبو عبيدة عن قائله فقال : هو لبعض
السواقين » !
- ١٧٦ — فا / تا (رجز) ٢ / ٦٢ : نسبهما ابن السيرافي في شرح
أبيات الكتاب ٢ / ٣٢١ إلى نعيم بن أوس من ربيعة بن مالك . وهما للقيم بن
أوس في نوادر أبي زيد ١٢٦ وشرح شواهد الشافية ٤ / ٢٦٢ واللسان (معى)
٢٠ / ١٥٧ وفي العمدة ١ / ٢١٣ عن نوادر أبي زيد أن القائل « نعيم بن
أوس » يخاطب امرأته ، فلعل أحد الاسمين تحريف عن الآخر . وينسب
الرجز إلى حكيم بن معية التميمي في المحكم لابن سيده ٢ / ١٩٣ واللسان
(معى) ٢٠ / ١٥٧

- ثانيا : المواضع التي نسب فيها الشعر إلى رجل من إحدى القبائل العربية :
- ١ — إِرْزَبًا / حَبًّا (رجز) ٢ / ٦٤ : في الكتاب والشتنمى لرجل من بنى طهية .
 - ٢ — اعتمرا (بسيط) ١ / ١٢ : في الكتاب والشتنمى لرجل من باهلة .
 - ٣ — وفرضنا / عرضنا (رجز) ١ / ٨٢ : في الكتاب والشتنمى لرجل من عمان .
 - ٤ — نوافله (طويل) ١ / ٩٠ : في الكتاب والشتنمى لرجل من بنى عامر .
 - ٥ — يَجْفَلُوا / يَفْعَلُوا (مجزوء الكامل) ١ / ٤٤٦ : في الكتاب والشتنمى لبعض بنى أسد .
 - ٦ — يَغْتَمِلُ / يَتَكَلُّ (رجز) ١ / ٤٤٣ : في الكتاب والشتنمى لأحد الأعراب .
 - ٧ — ظالمٌ (طويل) ١ / ٤٣٦ : في الكتاب والشتنمى لرجل من بنى أسد .
 - ٨ — رزاما / الهاما (رجز) ١ / ٢٨٧ : في الكتاب والشتنمى لرجل من بنى أسد .
 - ٩ — الكلام (وافر) ١ / ٣٩٦ : في الكتاب والشتنمى لرجل من عبس .
 - ١٠ — المبهم (رجز) ١ / ٩٥ : في الكتاب والشتنمى لرجل من ضبة .

ثالثا : المواضع التي لم ينسب فيها الشعر مطلقا . وسنذكر الشواهد هنا كاملة ، لعل القارئ ينظر فيها ، ويتذكر أنه رأى بعضها هنا أو هناك ، منسوباً إلى شاعر أو إلى آخر ، فيضيفها إلى ما عرفت نسبته من شواهد الكتاب [وما وضعته من الأرقام بين معقوفين هو للأبيات التي ذكر البغدادي أنها من الخمسين !] .

[١] من لُدْ شَوْلًا فإلى إتلائها

(رجز) ١ / ١٣٤

٢ وماعرّني حَوْزُ الرزّامِي مُحْصَنًا عَوَاشِيهَا بِالْجَوِّ وَهُوَ خَصِيبُ

(طويل) ١ / ٢٥٤

[٣] هذا سِراقَةٌ لِلْقِرآنِ يَدْرُسُهُ والمرءُ عند الرُّشَا إن يلقها ذِيبُ

(بسيط) ١ / ٤٣٧

[٤] فاليوم قَرَّبَتْ تَهْجُونَا وَتَشْتَمُنَا فاذهب فما بك والأيام من عَجَبِ

(بسيط) ١ / ٣٩٢

٥ كأنها من حجار الغيل ألبسها مضاربُ الماءِ لونَ الطحلبِ اللَّزْبِ

(بسيط) ٢ / ١٧٨

٦ يالقوم لفرقة الأحباب

(خفيف) ١ / ٣٢٠

٧ قد علمتُ ذاك بناتُ ألبِ

(رجز) ٢ / ٦١ ؛ ٢ / ٤٠٣

٨ تُحلب منها ستة الأوطبِ

(رجز) ٢ / ٢٠٠

٩ عجت من ليلاك وانتياها من حيث زارتني ولم أورا بها

(رجز) ٢ / ١٦٥

- ١٠ بأعينٍ منها مليحاتِ الثُّقْبِ شكلِ التُّجَارِ وحلالِ المكتسبِ
(رجز) ٢٥٠ / ١
- ١١ وأى فتي هيجاء أنت وجارها إذا مارجال بالرجال استقلت
(طويل) ٢٤٤ / ١ ؛ ٣٥ / ١
- ١٢ أفي الولائم أولاداً لواحدة وفي العيادة أولاداً لعالات
(بسيط) ١٧٢ / ١
- ١٣ لقد علمتُ أئى حين عُقتى
(رجز) ١٢٢ / ١
- ١٤ ولم أجد بالمصر من حاجاتي غير عفايت عَفَرَاتِ
(رجز) ١١٦ / ٢
- ١٥ خالى عُوف وأبو عَلِجٍ
المطعمان الشحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج
(رجز) ٢٨٨ / ٢
- ١٦ إذا لقي الأعداء كان خلائهم وكتب على الأذنين والجار نابح
(طويل) ٢٥١ / ١
- [١٧] يالقوم من للعلى والمساعى يالقوم من للندى والسماج
يالعطافنا ويالرياح وأبى الحشرج الفتى التفاج
(خفيف) ٣١٩ / ١
- [١٨] ثلاث كلهن قتلت عمداً فأخزى الله رابعةً تعود
(وافر) ١٤٤ / ١
- ١٩ إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
(وافر) ٤٣٤ / ١ = ١٤٤ / ٢

- ٢٠ وبالجسم منى يَبِيناً لو علمتِه شحوبٌ وإن تستشهدى العين تشهد
(طويل) ٢٧٦ / ١
- ٢١ فلولا رجاء النصر منك ورهبة عِقَابِكَ قد صاروا لنا كالموارد
(طويل) ٩٧ / ١
- ٢٢ أليس أكرمَ خلق الله قد علموا عند الحفاظ بنى عمرو بن حُنْجودِ
(بسيط) ٢٣٥ / ١
- ٢٣ علم القبائل من مَعَدٍّ وغيرها أن الجواد محمدُ بن عطارِ
(كامل) ٢٧ / ٢
- ٢٤ لو شَهِدَ عادَ في زمان عادٍ لابتزَّها مَبَارِكُ الجِلادِ
(رجز) ٢٧ / ٢
- ٢٥ كلَّ غرَاءٍ إذا مابـرزتْ تُرهبُ العينُ عليها والحَسَدُ
(رمل) ١٦٧ / ٢
- ٢٦ يَاهِنْدُ هِنْدٌ بَيْنَ خِلْبٍ وَكَيْدٍ
(رجز) ٣٢٩ / ١
- ٢٧ وَأنتِ امرؤٌ من خير قومك فيهمُ وَأنتِ سواهمُ في مَعَدٍّ مُنْخِيرُ
(طويل) ٢٧ / ٢
- ٢٨ عَذِيرُكَ مِنْ مَوْلَى إِذَا نمتَ لم ينمِ يقول الخنا أو تعتريك زَنَابِرُهُ
(طويل) ١٥٨ / ١
- ٢٩ وكنت هناك أنت كريم قيسٍ فما القيسيُّ بعدك والفخارُ
(وافر) ١٥١ / ١
- ٣٠ والرأسُ من تُغامَةِ الدُّواسِرِ
(رجز) ٣٢٠ / ٢

- ٣١ أنعتُ أعياراً رعينَ الخنزراً أنعتنَّ أيراً وكَمَراً
(رجز) ٢ / ١٨٥
- ٣٢ يقومُ تاراتٍ ويمشى تَيراً
(رجز) ٢ / ١٨٨
- ٣٣ قد أرسلتُ في غيرها الكِمَرِي
(رجز) ٢ / ٣٢٣
- ٣٤ يالجنة الله والأقوامِ كلِّهمُ والصالحين على سمعانٍ من جاري
(بسيط) ١ / ٣٢٠
- ٣٥ سماعَ الله والعلماء أنى أعوذُ بحقو خالك يابن عمرو
(وافر) ١ / ١٧٠
- ٣٦ آبكُ أيُّه بي أو مصدرٍ من حُمِرِ الجِلَّةِ جابٍ حَشْوَرٍ
(رجز) ١ / ٣٩١
- ٣٧ كأنها بعد كلالِ الزَّاجِرِ ومسحى مرُّ عُقابٍ كاسرٍ
(رجز) ٢ / ٤١٣
- ٣٨ ياسارقُ الليلةِ أهلَ الدارِ
(رجز) ١ / ٨٩ = ١ / ٩٠ = ١ / ٩٩
- ٣٩ قد جعلتُ مئى على الظُّرارِ خمسَ بنانٍ قانيءِ الأظفارِ (١)
(رجز) ٢ ذ ١٧٧ ؛ ٢ / ٢٠٢
- ٤٠ لستُ بليلىً ولكنى نَهْرُ لأدُلُّج الليلِ ولكن أبتكسرُ
(رجز) ٢ / ٩١

(١) نسبا خطأ إلى ابن أحمَر في شرح العكبري على المتنبي ٣ / ٢١٦ وهو تحريف لما في
سيبويه من قوله: « وقال الآخر ! »

- ٤١ مثل الكلاب تهرُّ عند درابها وَرِمَتْ لهازمها من الخبزِاز
(كامل) ٥١ / ٢
- ٤٢ فأصبحت بقرقرى كوانسا فلا تلمه أن ينام البائسا
(رجز) ٢٥٥ / ١
- ٤٣ لامهَل حتى تلحقى بعنسى أَهْل الرِياطِ البيض والقلسنى
(رجز) ٦٠ / ٢
- [٤٤] كُلُوا في بعض بطنكم تَعَفُوا فَإِنْ زمانكم زمن خِمِصُ
(وافر) ١٠٨ / ١
- ٤٥ قد رابنى حفص فحرَّك حفصا
(رجز) ٣٠٠ / ٢
- ٤٦ ترى الثورفيا مُدخَلَ الظلِّ رأسُهُ وسائره باد إلى الشمس أجمُع
(طويل) ٩٢ / ١
- ٤٧ أرى ابنَ زيارٍ قد جفانى وملنى على هنواتٍ كلَّها متابعُ
(طويل) ٨١ / ٢
- [٤٨] بكت جزعا وأسترجت ثم آذنت ركاثها أن لا إلينا رجوعُها
(طويل) ٣٥٥ / ١
- ٤٩ ضننت بنفسى حقة ثم أصبحت ضبايية مرّية حابسيّة
لبنت عطاءً بيئها وجميعها مُنيفا بنعف الصيدينَ وضعها
(طويل) ٢٨٩ / ١
- ٥٠ فتى الناس لا يخفى عليهم مكانه وضرغامه إن همَّ بالحرب أوقعا
(طويل) ٢٥١ / ١
- ٥١ خليلي طيرا بالتفرق أوقعا
... ..
(طويل) ٣٠٢ / ٢

[٥٢] إن على الله أن تبايعا تؤخذ كرهاً أو تحياء طائعا

(رجز) ٧٨ / ١

٥٣ مناعها من إبل مناعها ألا ترى الموت لدى أرباعها

(رجز) ١٢٣ / ١ ؛ ٣٦ / ٢

٥٤ ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعاً وأيدى المعتفين رواهقه (١)

(طويل) ٩٦ / ١

٥٥ واعوج غصنك من لحو ومن قدم لاينعم الغصن حتى ينعم الورق

(بسيط) ٢٢٧ / ٢

٥٦ أهدموا بيتك لأبا لكا

وحسبوا أنك لأحا لكا

وأنا أمشي الدال جوالكا

(رجز) ١٧٦ / ١

[٥٧] دار لسعدى إذو من هواكا

(رجز) ٩ / ١

[٥٨] لقد ألب الواشون ألباً لبيئهم فترب لأفواه الوشاة وجندل

(طويل) ١٥٨ / ١

[٥٩] سرى بعدما غار الثريا وبعدهما كأن الثريا حلة العور منحل

(طويل) ٢٠١ / ١

٦٠ متى مايفد كسبا يكن كل كسبه له مطعم من صدر يوم وماكل

(طويل) ٣٩٦ / ١

- ٦١ وقالوا اضرب الساقين إِمَّكَ هَابِلُ (١)
 (طويل) ٢ / ٢٧٢
- [٦٢] فلا تَلَحْنِي فِيهَا فَإِنَّ بَحْبُهَا
 أَخَاكَ مَصَابُ الْقَلْبِ جَمَّ بِلَابِلُهُ
 (طويل) ١ / ٢٨٠
- ٦٣ أَلَامٌ عَلَى لَوْ وَلَوْ كُنْتَ عَالِمًا
 بِأَذْنَابِ لَوْ لَمْ تَفْتَحْ أَوَائِلُهُ
 (طويل) ٢ / ٣٣
- [٦٤] أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ
 رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
 (بسيط) ١ / ١٧
- ٦٥ بَيْنَاهُ فِي دَارِ صَدَقٍ قَدْ أَقَامَ بِهَا
 حِينًا يَعْلَلُنَا وَمَا نَعْلَلُهُ
 (بسيط) ١ / ١٢
- [٦٦] وَهَيَّجَ الْحَيَّ مِنْ دَارِ فَظَلَّ لَهُمْ
 يَوْمَ كَثِيرٍ تَنَادِيهِ وَحِيَهْلُهُ
 (بسيط) ٢ / ٥٢
- ٦٧ مَالِكٌ مِنْ شَيْخِكَ إِلَّا عَمَلُهُ
 إِلَّا رَسِيمُهُ وَإِلَّا رَمْلُهُ (٢)
 (رجز) ١ / ٣٧٤
- ٦٨ تَظَلُّ الْأَرْضُ كَاسْفَةً عَلَيْهِ
 كَابَةٌ أَتَاهَا فَقَدَتْ عَقِيلًا
 (وافر) ١ / ٤٧٧
- ٦٩ إِنْ لَكُمْ أَصْلَ الْبِلَادِ وَفَرَعَهَا
 فَالْخَيْرُ فِيكُمْ ثَابِتًا مَبْدُولًا
 (كامل) ١ / ٢٦٢
- ٧٠ سَادُوا الْبِلَادَ وَأَصْبَحُوا فِي آدَمِ
 بَلَّغُوا بِهَا بِيضَ الْوَجْهِ فَحَوْلًا
 (كامل) ٢ / ٢٨

(١) يرى محققو شرح الشافية للأستراباذي ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ أنه ليس شعراً!

(٢) اقتبس أولهما على بن الجهم في شعر له في التشبيهات لابن أبي عون ١٢٥

- ٧١ ياليتها كانت لأهلى إبلا أو هزلت من جذبِ عامِ أوّلا
(رجز) ٤٦ / ٢
- ٧٢ بهوى بها مرّاً هوىّ التتقلنة
(رجز) ٣٤٨ / ٢
- ٧٣ سيصبح فوق أقمّ الرّيش واقعا بقاليقلا أو من وراء ديبيل
(طويل) ٥٤ / ٢
- [٧٤] ضعيف النكاية أعداءه يخال الفرارَ يُراخى الأجلُ
(مقارب) ٩٩ / ١
- ٧٥ قد عرّضتْ دويّةً ديمومُ
(رجز) ٣٢٥ / ٢
- ٧٦ هم القائلون الخيرَ والآمرونهُ إذاماخشوا من مُحدث الأمرِ مُعظما^(١)
(طويل) ٩٦ / ١
- ٧٧ كافا وميمين وسينا طاسما
(رجز) ٣١ / ٢
- ٧٨ هذا طريق يا زيم المازما وعصواتُ تقطعُ اللّهازما
(رجز) ٨١ / ٢
- ٧٩ يا أيها الناس ألا هلّمّنه
(رجز) ٢٧٩ / ٢
- ٨٠ بكل قريشى إذا مالقيته سريع إلى داعى الندى والتكرُم
(طويل) ٧٠ / ٢

(١) هو مصنوع . انظر: الكامل للمبرد ١ / ٣٦٤

- ٨١ أزيدُ أخا ورقاءَ إن كنت نائراً فقد عَرَضْتُ أخناءَ حقِّ فخاصيم
(طويل) ٣٠٣ / ١
- [٨٢] وكنْتُ أرى زيداُ كما قيل سيِّداُ إذا أتته عبدُ القفا واللّهازم
(طويل) ٤٧٢ / ١
- ٨٣ أخذتُ بسجّلتهم فنفختُ فيه محافظةً لمن إخا الذمام
(وافر) ٩٧ / ١
- ٨٤ يأنعمَ هل تحلفُ لاتدينها
(رجز) ٣٣٧ / ١
- ٨٥ هل تحلفن يأنعمَ لاتدينها
(رجز) ١٥٢ / ٢
- ٨٦ مظاهرةٌ نياُ عتيقاُ وعوططاُ فقد أحكما خلقاً لها متبائنا
(طويل) ٣٧٧ / ٢
- ٨٧ مبراً من عيوب الناس كلهمُ فالله يرمي أبا حربٍ ويرعانا
(بسيط) ٣٨٠ / ١
- ٨٨ ومعزىً هدباً يعلو قران الأرض سوداننا
(هزج) ١٢ / ٢
- ٨٩ قد شربت إلا دُهَيْدِينَا قَلْبِي صَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا
(رجز) ١٤٢ / ٢
- [٩٠] مِنْ أَجْلِكَ يَا لَتِي تَيْمَتِ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَدِّ عَنِّي
(وافر) ٣١٠ / ١
- ٩١ حالتُ وحيلٌ بها وغيرٌ آيها ریح الجنوب مع الشمال وتارة
رِهْمُ الرَّيِّعِ وَصَائِبُ التَّهْتَانِ
(كامل) ٢١ / ٢

[٩٢] ووجهٌ مشرقٌ النَّحْرِ كأنْ ثدياهُ حُقَّانِ

(هزج) ٢٨١ / ١

[٩٣] حَنَّتْ قُلُوصِي حِينَ لَاحِينَ مَحَنِّ

(رجز) ٣٥٨ / ١

٩٤ لا يَجْمَلُ الفَارِسَ إِلَّا المَلْبُونُ أَلْمَخْضُ مِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ دُونِ

(رجز) ٤٧ / ٢

٩٥ إِنَّ عَبِيدًا هِيَ صَبَّانُ السَّهِّ

(رجز) ١٢٢ / ٢

[٩٦] وَقَائِلَةٌ خَوْلَانٌ فَانكحَ فَتَاتَهُمْ وَأُكْرَوْمَةُ الحَيِّينِ خَلُوكَا هِيَا

(طويل) ٧٢ / ١ = ٧٠ / ١

٩٧ لَاهِيَتِ اللَّيْلَةَ لِلْمَطِيِّ

(رجز) ٣٥٤ / ١

٩٨ حَتَّى تَفْضِي عِرْقِي الدُّلِيِّ

(رجز) ٥٦ / ٢

٩٩ مَتَى أَنَامَ لايُورِقُنِي الكَرِي لِيَا وَلَا أَسْمَعُ أَجْرَاسَ المَطِيِّ

(رجز) ٤٥٠ / ١

رابعاً : تكلمات لبعض الشواهد الأخرى :

١ — إن العَوِيَّ إِذَا نُهَا لَمْ يُعْتَبِ (كامل) ٢ / ٢٩١ : ينسب هذا

العجز إلى طفيل الغنوى عند سيبويه والشتمري ، ولم نعثر عليه في ديوانه ،

وهو بلا نسبة في شرح ابن يعيش للمفصل ٩ / ٧٦ وقد روى البيت كاملاً

في كتاب مايجوز للشاعر في الضرورة للقران القيرواني ٢٦٣ بلا نسبة .
 وصدده فيه : « لزجرت قلبا لايربع إلى الصبا » . والبيت بتمامه غير منسوب
 كذلك في تفسير الطبرى ١١ / ٦١

٢ - أَفْبَعَدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيْلًا (كامل) ٢ / ١٥١ : نسب في
 الكتاب لمقنّع (?) ولم ينسبه الشنتمرى . وقال عنه في خزانة الأدب
 ٤ / ٥٥٨ : « وهذا الشعر من أبيات سيويه الخمسين التي لايعرف لها قائل ،
 والله أعلم » . والبيت في الحقيقة لامرىء القيس في ديوانه ق ٩٩ / ١
 ص ١٥٨ وصدده : « قالت فُطَيْمَةُ حَلَّ شِعْرَكَ مَدْحَهُ » . وانظر : الدرر
 اللوامع ٢ / ٩٧

★ ★ ★

الفصل الثاني

حاجة ثرائف اللغوى إلى التحذير والتنقيح

عنى اللغويون والنحاة العرب — منذ أواخر القرن الأول الهجرى ، بدراسة الفصحى ، وهى تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل العربية ، تلك اللغة التى سجل بها الشعراء خواطهم ، ومظاهر الحياة من حولهم ، كما استخدمها الخطباء فى محافلهم وأسواقهم الأدبية ، ثم توجها القرآن الكريم ، فأنزله الله تعالى بأعلى ماتصبو إليه هذه اللغة من مستوى . ومنذ ذلك الحين ، ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد النحاة واللغويون فى دراستها ، وتحديد معالمها من نواحي الأصوات ، والصيغ والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة فى داخل هذا التركيب .

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب ، بين كثير من الدراسات التى قامت لخدمة الدين الإسلامى ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، المصدر الأول للتشريع الإسلامى ودستور المسلمين ؛ فقد أدت الحاجة إلى معرفة معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم ، إلى دراسة الشعر العربى ، للاستشهاد به على تلك المعانى . فالسبب فى الاشتغال بدراسة هذا الشعر فى العصور الإسلامية الأولى ، كان — فيما أعتقد — هو الحاجة إلى شرح الكلمات الصعبة من القرآن الكريم ، وتفسيرها بالشواهد الشعرية .

ومن المعروف أن القرآن الكريم ، أنزل بلغة فصحي ، تعلقو عن مستوى العامة من العرب ؛ ولذلك أخذ الناس فى الصدر الأول من الإسلام ، يسألون كبار الصحابة ، عن تفسير آياته وغريب ألفاظه . وتحدثنا الروايات الإسلامية بأن الناس كانوا يسألون الصحابى المشهور « عبد الله بن عباس »

رضى الله تعالى عنهما ، عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربى . وقد جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها فى كتاب مستقل ، باسم : « سؤالات نافع بن الأزرق » ، ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائى ، ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها جلال الدين السيوطى ، فى النوع السادس والثلاثين من كتابه : « الإتقان فى علوم القرآن »^(١) .

ويمكننا لذلك أن نعدّ تفسير ابن عباس للقرآن الكريم على هذا النحو ، نواة للمعاجم العربية ؛ فقد بدأت الدراسة فى هذا الميدان من ميادين اللغة ، بالبحث عن معانى الألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم ؛ ولذلك نجد التآليف الأولى فى المعاجم ، كانت تحمل اسم : « غريب القرآن » . وأقدم مؤلف يحمل هذا الاسم ، هو لأبى سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى ، المتوفى سنة ١٤١ هـ^(٢) .

وخلص اللغويون العرب من ذلك شيئاً فشيئاً ، إلى دراسة ألفاظ الشعر ، واستخراج معانيها ، على غرار ما فى كتاب : « المعانى الكبير » لابن قتيبة الدينورى ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، كما ساه الرعيل الأول من اللغويين فى الجزيرة العربية ، يجمعون اللغة من أفواه العرب ؛ فقد روى عن الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، أنه أنفذ خمس عشرة قنينة حبر ، فى الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ^(٣) .

(١) وانظر بعضها فى الكامل للمبرد ٣ / ٢٢٢ — ٢٢٨ وإيضاح الوقف والابتداء لابن

الأنبارى ٧٦ — ٩٨

(٢) انظر : معجم الأدباء ١ / ١٠٨

(٣) انظر : إنباه الرواة ٢ / ٢٥٨

وتتردد في مؤلفات هؤلاء اللغويين العرب القدامى ، أسماء كثير من البدو الفصحاء ، الذين تلقوا اللغة عنهم ؛ مثل : أبي تمام الأعرابي ، وأبي ثروان العكلى ، وأبي الجراح العقيلي ، وأبي جميل الكلابي ، وأبي حزام العكلى ، وأبي شنبل الأعرابي ، وأبي صاعد الكلابي ، وأبي الغمر العقيلي ، وأبي مرة الكلابي ، وأبي مهدي الباهلي ، وأبي مهدي الكلابي وغيرهم . بل لقد تلقوا اللغة أحيانا عن الأعرابيات ؛ مثل : أم الحمارس البكرية ، وغنيّة الكلابية ، وقريبة الأسدية ، وغيرهن .

وانتشرت في تلك الفترة المبكرة ، طريقة تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة ، ذات الموضوع الواحد . وممن بقى لنا شيء من تأليفهم على هذه الطريقة في تلك الفترة : الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ ؛ فقد نشر له « أوجست هفتر » كتابي : « خَلَقَ الإنسان » و « الإبل » في ليزج سنة ١٩٠٥ م ، وكتاب « الخيل » في فينا سنة ١٨٩٥ م ، وكتاب « الشاء » في فينا سنة ١٨٩٦ م . كما نشر له « رودلف جاير » كتاب « الوحوش » في فينا سنة ١٨٨٧ م ، ونشر له « مولر » كتاب « الفرق » في فينا سنة ١٨٧٦ م ، و « لويس شيخو » كتاب : « النبات والشجر » في بيروت سنة ١٩١٤ م . ومثل الأصمعي معاصره : أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٤ هـ ، الذي بقى لنا من مؤلفاته اللغوية ، ذات الموضوع الواحد : كتاب « المطر » نشره « جوتهايل » في نيويورك سنة ١٨٩٥ م ، ثم نشره « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « الهمز » نشره « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٠ م ، وكتاب « اللبّ واللبن » نشره « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٤ م ، و « كتاب النوادر في اللغة » نشره « سعيد الخوري الشرتوني » ، في بيروت سنة ١٨٩٤ م .

ويطول بنا القول ، لو تتبعنا ماوصل إلينا من مؤلفات لغوية ، ذات موضوع واحد ، لعلماء عاشوا في هذه الفترة ، كابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وابن السكيت المتوفى في سنة ٢٤٤ هـ .

وقد عاش إلى جانب هؤلاء كذلك علماء آخرون ، ألفوا معاجم شاملة للغة العربية ، غير متخصصة في موضوع واحد ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، الذي ألف معجم « العين » ، وقد طبع جزء صغير منه ، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش في بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ثم صدرت منه عدة أجزاء في بغداد منذ سنة ١٩٨٠ م بتحقيق الدكتور مهدي الخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي . وبعد الخليل بزمن يسير جاء أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وألف معجم « الجيم » . وقد نُشر هذا المعجم بعناية مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٥ م .

وبعد هذه الفترة الأولى توقفت حركة جمع اللغة ، واقتصر جهد اللاحقين من اللغويين ، على تنظيم تلك المادة التي جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ، فنشأت عندنا ثلاثة أنواع من المعاجم العربية ؛ أحدها : ينظم المادة على حسب المعاني والموضوعات ، بجمع تلك الرسائل اللغوية المفردة — التي تحدثنا عنها من قبل — في مؤلف واحد ، يضم أبواباً تشبه عناوينها عناوين الرسائل القديمة ؛ ومن هذا النوع من المعاجم : « الألفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقد طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق الدكتور البدرأوى زهران سنة ١٩٨٠ م ، ومعجم « متخير الألفاظ » لابن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ نشره هلال ناجي

في بغداد سنة ١٩٧٠ م ، وكتاب « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » لأبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ ، نشره عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ م ، و « مبادئ اللغة » للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، و « فقه اللغة » لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبع أكثر من مرة بالقاهرة وغيرها . وأهم كتب هذا النوع من المعاجم هو كتاب « المخصص في اللغة » لابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد طبع في ١٧ سفرا بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

والنوع الثاني من المعاجم العربية ، يرتب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، وطريقة التقاليد ، مثل تقليب مادة الضاد والراء والباء مثلا ، على : ضرب — ضبر — ريض — رضب — بضر — برض ، وغير ذلك . وقد سار على هذه الطريقة كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي كان من الرعيل الأول من اللغويين العرب ، وتابعه على ذلك كثيرون منهم : أبو منصور الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ في كتابه : « تهذيب اللغة » الذي نشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٧ م ، وكذلك ابن سيده الأندلسي ، صاحب كتاب « المخصص » السابق ، الذي ألف كتابا آخر على طريقة كتاب « العين » ، وهو « المحكم والمحيط الأعظم » وقد نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة سبعة أجزاء منه حتى الآن .

أما النوع الثالث من المعاجم ، فإنه يرتب المادة اللغوية ، على الترتيب الهجائي المعروف لنا ، إما بحسب الأصل الأول للكلمة ، كما فعل الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ في كتابه : « أساس البلاغة » ، والفيومي المتوفى سنة

٧٧٠ هـ ، في كتابه : « المصباح المنير » . وإما بحسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضا . وقد كان المشهور عند الدارسين ، أن مبتدع هذا الترتيب هو الجوهري المتوفى حوالى سنة ٤٠٠ هـ ، بناء على ما ذكره هو في مقدمة معجمه : « تاج اللغة وصحاح العربية » ، من قوله : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » ، غير أننا اكتشفنا حديثا ، معجما أقدم منه ، هو : « التقفية » لأبى بشر اليمان بن أبى اليمان البندنجى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، وقد حققه تلميذى الدكتور خليل العطية ، ونشره فى بغداد سنة ١٩٧٦ م ، وهو يسير على نظام القافية ، أو الأصل الأخير من الكلمة . وأغلب الظن أن اللغويين اختاروا هذا النوع من الترتيب، حتى يساعدوا الشاعر على اختيار قافيته فى شعره .

ومن سار على هذا الترتيب كذلك : ابن منظور الإفريقي المصرى المتوفى سنة ٧١١ هـ ، فى معجمه المشهور : « لسان العرب » الذى طبع فى بولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ فى عشرين جزءا ، كما طبع فى بيروت سنة ١٩٥٥ م ، فى خمسة عشر مجلدا . وكذلك مجد الدين الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ فى معجمه الذى طبقت شهرته الآفاق ، وهو : « القاموس المحيط » . وقد شرحه « الزبيدى » المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ، فى كتابه : « تاج العروس » .

هذا أحد جوانب تراثنا اللغوى فى العربية ، وهو جانب متن اللغة ، أو « المعجم » . ولا ينكر أحد ما بذله أسلافنا فيه ، من الجهد الكبير ، فى البحث والتنقيب ، والجمع والترتيب ، غير أنه لم يخل من بعض العيوب التى نلخص أهمها فيما يلى :

١ — مادة هذه المعاجم اللغوية ، قد جمعها الرعيل الأول من

اللغويين ، ثم توقفت حركة الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهد العلماء بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ، من نواحي الدراسات اللغوية ، تلك هي ناحية التطور اللغوي ، في نواحي : الأصوات ، والبنية ، والدلالة ، والأسلوب ؛ فلم يحاول مثلاً أحد المؤلفين في المعاجم ، في القرن الرابع أو الخامس الهجري مثلاً ، أن يبين لنا تطوّر معنى الكلمة التي جمعها من قبله أحد علماء القرن الثاني الهجري ، وبعبارة أخرى : لم يبيّن لنا المعنى ، الذي كان يفهم من الكلمة في عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت تنطق الكلمة في لغة التخاطب في عصره ، وليس لدينا في هذا المجال سوى إشارات سريعة ، فيما يسمى بكتب « لحن العامة » .

٢ — قصور هذه المعاجم في الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً ، فهي رغم غناها بالشواهد ، من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والأمثال ، والشعر ، فيها الكثير من المواد التي تخلو من هذه الشواهد خلواً تاماً ، مما قد يشكك في صحه ورودها عن العرب ؛ مثل المواد : كمثل ، وكمثل ، وكندش ، وكندس ، وغيرها .

وهذه الناحية تستدرك الآن ، بعمل معجم للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر . وهذا المعجم بدأه المستشرق الألماني « أوجست فيشر » A.Fischer في المجمع اللغوي بالقاهرة ، ويخرجه الآن نخبة من المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا بروفسور « شبيتالر » A.Spitaler رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

٣ — رغم أن شيئاً من اللغات السامية ، كان معروفاً لدى بعض اللغويين العرب ، فإنهم لم يفيدوا من هذه المعرفة ، في مقارنة العربية بأخواتها

الساميات ، كالعبرية والآرامية والحبشية . ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات ، في إلقاء الضوء على الدلالات المركزية والدلالات الهامشية ، لهذه اللفظة أو تلك ، والفصل في قضية التعريب والمولّد والدخيل ، وغيرها من المصطلحات التي تمتلئ بها معاجمنا العربية ، دون تحديد واضح لتلك المصطلحات .

٤ — التضخم الذى نلاحظه في المؤلفات المتأخرة ، مثل : « لسان العرب » لابن منظور ، و « تاج العروس » للزبيدي . والسر في ذلك يرجع — في نظري — إلى نقل المادة اللغوية الواحدة من أكثر من مصدر ، فمثلا ينقل صاحب اللسان عن « تهذيب اللغة » للأزهري ، و « المحكم » لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهري . وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم بعض المصادر التي استخدمها الآخر ، كالغريب المصنف لأبي عبيد ؛ ولذلك تقابلنا مثلا عبارات هذا الكتاب الأخير في « لسان العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر الثلاثة المتقدمة .

٥ — تخلط هذه المعاجم كثيرا ، بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة ، في اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان ؛ مثل : السراط ، والصراط ، والزراط ، بمعنى : الطريق مثلا ، وكذكرها لكلمة : « العجوز » مثلا ، أكثر من سبعين معنى ، من بينها : الإبرة ، والجوع ، والسمن ، والقِبْلة ، واليد اليمنى . فمن المحال أن تكون هذه المعاني جميعها ، مستعملة في الفصحى وحدها .

٦ — انتاب المادة اللغوية الكثير من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النسخ لها على مرّ العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، في وهم هذا التصحيف والتحريف في معاجمهم ، كالتحريف الذى وقع فيه الجوهري

صاحب ، « الصحاح » حين استشهد على أن « اللجَزَ » مقلوب :
 « اللّزج » بيت ابن مقبل :
 يَعْلُونَ بِالْمَرْدُقُوشِ الْوَرْدِ ضَاحِيَةً عَلَى سَعَابِيْبِ مَاءِ الضَّالَّةِ اللَّجْزِ
 ونسى أن هذا البيت من قصيدة نونية في ديوان ابن مقبل (١)، وصحة
 الروى فيه : « اللّجن » !

وهذا هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، والمتوفى سنة ٢٠٦ هـ ،
 يجعل في كتابه عن « الأضداد » كلمة : « برّد » بمعنى : التبريد والتسخين ،
 ويسوق على المعنى الثانى شاهدا ، هو قول الشاعر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا برّديه تصاديفه سخينا (٢)

ولاشك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » من الورود لشرب الماء ؛
 قال أبو الطيب اللغوى فى التعليق على هذا البيت : « قال قطرب : معنى
 برّديه فى هذا البيت : سخنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو : بل
 رديه ، من الورود ، ولكنه أدغم الراء فى اللام ، كما يقرأ : كلا بل ران على
 قلوبهم . قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت (٣) .

ومثل ذلك أيضا ، ماوقع فيه « الفيروزابادى » صاحب : « القاموس
 المحيط » حين نقل فى معجمه (٤) ، أن : السوّاف — كسحاب — القثاء ،
 وداء يأخذ الإبل فتهلك . ومادرى الفيروزابادى أن هذا « القثاء » ليس إلا

(١) ديوان ابن مقبل ٣٠٧

(٢) أضداد قطرب ٢٥٨

(٣) أضداد أبى الطيب ١ / ٨٦

(٤) القاموس المحيط (سوف) ٣ / ١٥٥

تصحيفا لكلمة : « الفَنَاء » وهو : الهلاك ، الموجود في المعنى الثاني ، الذى ذكره .

٧ — عدم المنهجية في ترتيب مفردات المادة الواحدة ، فيتحتم على المرء في كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بغيته ؛ إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات ، في مادة (عرف) ، إذا كنت تبحث مثلا عن معنى كلمة : « مَعْرِفَة الفرس » وماشابه ذلك .

هذه هى أبرز العيوب في هذا القطاع اللغوى في العربية . وقى مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب ، إذا أعدنا النظر مرة أخرى في معاجمنا اللغوية ، فصفيناها من الحشو والتكرار ، وفصلنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، في ألفاظها ومدلولاتها ، وربنا كلمات المادة الواحدة ترتيبا منهجيا صارما ، وأعدنا استقراء النصوص القديمة من جديد ، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف ، أو مواد هـى من صنع اللغويين ، ولم تجربها ألسنة العرب القدماء .

هذا ، ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدما المعاجم العربية ، التى وصلت إلينا ، إلى جانب كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء . وقد اتبع فى تأليفه منهجا صارما ، تغلب فيه على شئ من العيوب السابقة . وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصا بحرف الهمزة ، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين فى هذا الميدان .

هذا هو جانب المعجم في تراثنا اللغوي ... فإذا جئنا إلى الدراسة الخاصة بنظام الجملة ، ووظائف الكلمات في داخل الجمل ، وجدنا تراثا ضخما تباهى به الأمة العربية سائر الأمم في هذا المضمار . وقد وصل إلينا أول كتاب في هذا المجال كاملا يبهر النفوس ، ويستحوذ على القلوب ، ويبعث على الإعجاب بعقلية مبدعه ، وتفكير منشئه ، وهو كتاب سيويه النحوى البصرى المشهور (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) . وتوالت المؤلفات العربية في هذا الميدان بعد سيويه ؛ ومن أهم هذه المؤلفات : كتاب « المقتضب » لأبى العباس المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ، و « أصول النحو » لابن السراج (المتوفى سنة ٣١٦ هـ) ، و « الجمل » للزجاجى (المتوفى سنة ٣٤٠ هـ) ، و « المفصل » للزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) ، و « الإنصاف » لأبى البركات ابن الأنبارى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) ، و « شرح المفصل » لابن يعيش (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) ، و « الألفية » المشهورة ، لابن مالك (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ) ، وكتب العلامة المصرى « ابن هشام » (المتوفى سنة ٧٦١ هـ) كشدور الذهب ، وقطر الندى ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، وشرح الأشمونى (المتوفى سنة ٨٧٢ هـ) على ألفية ابن مالك ، و « همع الهوامع » لجلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، وغير ذلك كثير كثير ...

وإن من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة ، يعجب من الجهد المبذول فيها حقا ، غير أنه يضلل وسط الآراء الجدلية النظرية ، التى لاتفيد كثيرا فى الدرس النحوى ، والابتعاد عن الواقع اللغوى إلى الافتراض . وانظر معى إلى قول الزجاج مثلا: « والمأزنى يميز فى : يأبها الرجل ، النصب فى الرجل . ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره ، وهو قياس ؛ لأن موضع المفرد

المنادى نصبٌ ، فحُمِلت صفتُه على موضعه . وهذا في غير يأَيها الرجل جائزٌ عند جميع النحويين ؛ نحو قولك : يازيدُ الظريفُ والظريفُ . والنحويون لا يقولون إلا : يأَيها الرجلُ ، ويأَيها الناسُ . والعرب لغتها في هذا الرفعُ ، ولم يرد عنها غيره (١) .

ففى هذا النص نجد المازنى يتدع لغةً ، لم تجر على لسان العرب ، ويترك الواقع اللغوى ، إلى افتراضات قياسية ماأنزل الله بها من سلطان ، فإذا كان العرب قد قالوا : يازيدُ الظريفُ ، فلا مانع عند المازنى أن تقول : يأَيها الرجلُ ، وإن لم تقل بذلك العرب !

وماصنيع المازنى فى هذا الزمن القديم ، إلا كصنيع من يتدع قياسا باطلا فى لهجات الخطاب المعاصرة ، ويدّعيه على أصحاب هذه اللهجات ، فيجيز أن تُجمع كلمة : « تاج » على : « أتواج » ، قياسا على جمع : مالٍ على أموال ، أو يعكس فيجيز أن تُجمع كلمة : « مال » على : « ميلان » ، قياسا على جمع : تاج على تيجان ، وماأشبه ذلك مما لايصح أن يدخل إلا فى دائرة الأوهام والخيالات .

وأنت واقع هنا وهناك فى التراث النحوى ، على كثير من التعليقات الواهية ، التى لايسندها قانون لغوى ، أو قاعدة كلية تسرى على مجموعة من اللغات البشرية . وتأمّل معى قول الزجاج فى تعليل إعراب المثنى من اسم الإشارة واسم الموصول : « فإن قال قائل : فما بالك تقول : أتانى اللذان فى الدار ، ورأيت اللذنين فى الدار ، فتعرب كل ما لايعرب ، فى تثنيته نحو : هذان ، وهذين . وأنت لاتعرب : هذا ، ولاهؤلاء ؟ فالجواب فى ذلك أن جميع

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٦٤/١

مالاي عرب في الواحد مُشَبَّه بالحرف الذى جاء لمعنى ، فإذا ثنيتَه فقد بطل
شَبَّه الحرف الذى جاء لمعنى ؛ لأن حروف المعانى لاتثنى (١) .

وقد فات الزجاج أن الجمع يمكن أن يقال فيه ، ماقاله هو في التثنية ،
من بطلان شبه الحرف الذى جاء لمعنى ، فلماذا لم يُعرب إذن : اسم
الموصول المجموع ، مثل : « الذين » ، واسم الإشارة للجمع ، مثل هؤلاء؟!
وليست كل التفسيرات التى قدمها النحاة القدامى ، للظواهر
اللغوية في العربية ، خطأ نَحَدَّرُ الناس منه ، أو خطايا نستغفر الله للنحاة
العرب من الوقوع في أدرانها ، وإنما نَحَدَّرُ بعض شبابنا الباحثين ، من الوقوع
أسرى لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى أعمال العقل في المنقول
عن هؤلاء النحاة ، من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية .

ولسنا في دعوتنا هذه نخرج كثيرا عن منهج كبار علمائنا القدامى ،
ورحم الله عبقرى العربية ، الخليل بن أحمد ، حين سئل عن العليل التى يعتلّ
بها في النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال :
إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في
عقولها عِلْلُه ، وإن لم يُنقل ذلك عنها ، واعتلت أنا بما عندى أنه علة لما علته
منه ، فإن أكن أصبحت العلة فهو الذى التمس ، وإن تكن هناك علة
أخرى له ، فمثلى في ذلك مثل رجل حكيم ، دخل داراً محكمة البناء ،
عظيمة النُظْم والأقسام . فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها ،
قال : إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا ، سنّحت له
وخطرت بباله ، محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم الباني

للدرد ، فعل ذلك للعلة ، التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ... فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها (١) .

ومن الأمور التي تلفت النظر ، في تراثنا النحوي الضخم ، خلوّه في بعض الأحيان من الاستقراء الكامل ، لبعض صور الظاهرة الواحدة ، من الظواهر النحوية . ويكفي أن نذكر هنا بما يقوله النحاة ، منذ أيام سيبويه ، من أن الاستثناء في الكلام التام غير الموجب المنقطع ، كما في مثلهم المشهور : « ماقام القوم إلا حماراً » ، يجب فيه نصب المستثنى على لغة أهل الحجاز ، وبها نزل قول الله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ . أما بنو تميم فإنهم يميزون فيه الإتياع ، كقول زياد بن حمل التيمي :

ليست عليهم إذا يَغْدُونَ أَرْدِيَةَ إِلَّا جِيادُ قَيْسِي النَّبَعِ وَاللُّجُمُ (٢)

وليس النحاة على حق في هذا ، فليس بنو تميم وحدهم في تجويز

الإتياع هنا ؛ فهذا جِران العود التيمري يقول :

وبلدة ليس بها أنيسُ

إلا اليَعافيرُ وإلا العيسُ (٣)

كما يقول ضرار بن الأزور في يوم البمامة :

عشيّة لاثغني الرماحُ مكانها ولا التبلُّ إلا المشرقيُّ المصمّم (٤)

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٦٥

(٢) انظر : الحماسة بشرح المرزوق ق ٥٧٧ / ٣٩ ص ١٤٠٢

(٣) ديوانه ص ٥٢

(٤) انظر : تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧

وضرار شاعر من بني أسد^(١) . ومثله قول الأخطل التغلبيّ :
 فَرَايَةُ السُّكْرَانِ قَفْرٌ فَمَا لَهُمْ بِهَا شَبْحٌ إِلَّا سِلَامٌ وَحَرْمَلٌ^(٢)
 وَالسَّلَامُ : الحجارة . وَالْحَرْمَلُ : شجر . ومثله قول سعد بن مالك
 ابن ضبيعة ، جد طرفة بن العبد البكري :

وَالْحَرْبُ لَا يِقْوِي لِحَا جِمِّهَا التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاحُ
 إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ^(٣)
 فهذه الأبيات — كما ترى — لشعراء من ثُمير ، وأسد ، وتغلب ،
 وبكر ، وغيرها كثير ، يثبت أن استقراء النحاة العرب لهذه الظاهرة ، كان
 استقراء ناقصا .

ومن العجب قول المرزوق في شرح هذين البيتين الأخيرين : « إلا
 الفتى : ارتفع على أنه بدل من التخييل ، وهذه لغة تميم ! » .
 بل إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي ، أن فيه متابعة تكاد تكون
 كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما في
 بعض مسائله أحيانا من الخطأ المبني على تحريف في الرواية ، أو تغيير في
 الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق
 ما نذهب إليه :

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ، أن (كان) الناسخة ، تحذف
 وحدها أحيانا ، وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك : « أما أنت منطلقاً
 انطلقتُ » ، وأصله — كما يقول النحاة — انطلقتُ لأن كنت منطلقاً ، ثم
 قدمت اللام ، وما بعدها على : « انطلقت » للاختصاص ، ثم حذفت اللام

(١) انظر : جمهرة الأنساب لابن حزم ١٩٣

(٢) ديوان الأخطل ص ٢

(٣) شرح المرزوق للحماسة ٢ / ٥٠١

للاختصار ، وحذفت « كان » لذلك ، فانفصل الضمير ، ثم زيدت (ما) للتعويض ، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب .

هكذا يقول النحاة العرب ، ويستشهدون على ذلك بقول العباس بن مرداس السلمى :

أبا خراشة أمّا أنتَ ذا نفرٍ فإن قومي لم تأكلهم الضبُعُ (١)
وقول الشاعر :

أمّا أقمتَ وأمّا أنتَ مرتحلاً فالله يكلاً ماتأتى وماتذُرُ (٢)

ويبدو أن هذه المسألة ، مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمى ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدى هذه المسألة ؛ لأن البيت الثانى يُروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوى على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوءها . وهذا يعنى أن المسألة لاجود لها فى اللغة العربية أصلا ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا فى التحريف فى بيت العباس بن مرداس ، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية البيت :

أبا خراشة إمّا كنتَ ذا نفرٍ فإن قومي تأكلهم الضبُعُ
هكذا : « إمّا كنت » بدلا من « : « أما أنت » التى يزعم النحاة منذ

أيام سيبويه أن البيت يروى بها . و « إمّا » هذه هى : « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة ، وهى كثيرة فى الكلام العربى ، ويأتى بعدها المضارع ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاغْنُيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ ، والماضى كقول الأبيرد الرياحى :

(١) كتاب سيبويه ١ / ١٤٨

(٢) خزنة الأدب ٢ / ٨٢

فلا يُعِدُّكَ اللهُ إِمَّا تَرَكْنَا حَمِيداً وَأُوْدَى بِعَدِكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ^(١)
ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى
كثيراً في غير كتب النحو (التي ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية
الصحيحة ، وهى : « إِمَّا كُنْتُ » . ويكفى أن تراجع ذلك فى كتاب العين
للخليل بن أحمد ١ / ٣٣١ وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكري ٢ / ١١٠
وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالدين ١ / ٨٩ وجمهرة اللغة
لابن دريد ١ / ٣٠٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١ / ٤٣ ولسان العرب
(خرش) ٨ / ١٤٣ والاشتقاق لابن دريد ٣١٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة
١ / ٣٤١ وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ١ / ٣٤٩ والحيوان للجاحظ
٥ / ٢٤ ؛ ٦ / ٤٤٦ وغير ذلك .

وهذا مثال ثان يؤكد ما قلنا ، من ابتداء بعض النحاة العرب لشيء
من القواعد ، بناء على رواية مغيرة لهذا الشاهد أو ذاك من شواهد الشعر ؛
يقول ابن قتيبة : « وقد رأيت سيويه يذكر بيتا يحتج به ، فى نسق الاسم
المنصوب على المخفوض ، على المعنى لاعلى اللفظ ، وهو قول الشاعر :
معاوىَ إنا بشرٌ فأَسْجِحْ فلسنا بالجبال ولا الحديدَا
قال : كأنه أراد : لسنا الجبال ولا الحديدَا ، فردّ الحديد على المعنى
قبل دخول الباء .

وقد غلط على الشاعر ؛ لأن هذا الشعر كله مخفوض ، قال الشاعر :
فهبها أُمَّةٌ ذهبت ضياعا يزيدُ أميرها وأبو يزيدِ
أكلتم أرضنا وجرّدتموها فهل من قائمٍ أو من حصيدِ

ويحتاج أيضا بقول الهذلي في كتابه ، وهو قوله :
 بيت على معاري فاخراتٍ بهنَّ مُلَوَّبٌ كَدِّمَ العِبَاطِ
 وليست هاهنا ضرورة ، فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف
 « معاري » . ولو قال : « بيت على معاري فاخراتٍ » ، كان الشعر موزونا
 والإعراب صحيحا . قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب الأصمعي .
 وكقوله في بيت آخر :
 لِيُبَكِّ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخِصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ
 وكان الأصمعي ينكر هذا ، ويقول : وما اضطره إليه ؟ إنما الرواية :
 لِيُبَكِّ يَزِيدَ ضَارِعَ لَخِصُومَةٍ (١) .

وقد أسهم النسخ والطباعون ، في شيوع التصحيف والتحريف في
 كثير من شواهد النحو ، ومسائله وقضاياها ، وأصبح من الواجب علينا
 التدقيق في إخراج هذه الكتب محققة ، على وجه تخلو فيه من مثل هذه
 التحريفات الشنيعة ، التي تتداول بين الدارسين ، في مشاهير الكتب
 النحوية ؛ فقد استشهد ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك ، على جواز
 نصب المفعول لأجله ، إذا كان محلياً بالألف واللام ، بقول قريظ بن أنيف :
 فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شئوا الإغارة فرساناً وركباناً
 والبيت على هذه الرواية ، التي جاءت في كتاب ابن عقيل ، ليس فيه
 شاهد على هذه المسألة ؛ لأن « الإغارة » مفعول به ، وليس مفعولاً له . والذي
 في شعر قريظ بن أنيف : « شُدُّوا الإغارة » . ويقول التبريزي في تفسيره :
 « ويروى شئوا الإغارة ، أي فرقوها . ومن روى : شدوا الإغارة ، فليس الإغارة

مفعولا به ، ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أى شدوا للإغارة (١) .

ويبدو أن ما فى كتاب ابن عقيل ، تحريف للرواية الأخرى : « شدوا » ، وأن المراد : شدوا الخيل للإغارة ، وإن كان شراح شواهدة ، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوى ، والشيخ قطة العدوى ، يريان حذف المفعول به هنا أيضا ؛ فيقولان : « إن المعنى : شنوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو » ، مع أن الذى فى المعاجم : « شن الغارة » أى فرقها ، ولم يُقَل : « شنوا أنفسهم » فيما وقفت عليه من نصوص العربية .



أما كتب فقه اللغة العربية ، من تراثنا اللغوى ، فإنها حقا تبعث على الإعجاب والإكبار ؛ إذ يظهر فى شىء غير قليل من قضاياها ، سبق علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية فى العصر الحديث ، بألف عام أو يزيد . وعلى رأس هذه الكتب : « الخصائص » و « سر صناعة الإعراب » للإمام ابن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) ، و « الصحاح فى فقه اللغة » لابن فارس اللغوى (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ، و « المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها » للإمام السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ؛ ففى هذه الكتب وغيرها علم كثير ونظريات لغوية ، تقف شامخة أمام ماوصل إليه العلماء ، فى عصر التكنولوجيا الحديثة ، والعقول الإلكترونية .

(١) انظر : شرح التبريزى لحناسة أبى تمام

ولكنك تعجب حين ترى في بعضها اشتغال هؤلاء العلماء بشيء من التعليقات الواهية والجدل العقيم ، واسمع معي إلى قول ابن جنى ، متسائلا : لماذا رُفع الفاعل ونصب المفعول ؟ ثم يجيب بقوله : « لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة ؛ وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ^(١) » .

كما يقول ابن جنى في موضع آخر : « لماذا يكثر الأصل الثلاثي في اللغة العربية ، دون الرباعي والخماسي ؟ الجواب هو : لأنه حرف يُبتدأ به ، وحرف يُحسَى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثي لقلته حروفه فحسب ، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل حروفاً ، وليس الأمر كذلك . وأقل منه ماجاء على حرف واحد ... فتمكن الثلاثي إنما هو لقلته حروفه — لعمرى — ولشيء آخر ، وهو حيز الحشو الذى هو عينه بين فائه ولامه ؛ وذلك لتباينهما ولتعادى حالتهما ؛ ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ؟ فلما تنافرت حالاهما ، وسَطوا العين حاجزا بينهما ؛ لئلا يفجئوا الحسّ بضد ما كان آخذا فيه ^(٢) » .

وبدلك على مانقول كذلك ، هذا الجدل العنيف ، الذى يثيره ابن جنى حول الحركة القصيرة ، أهى قبل الحرف أو معه أو بعده ؟ وبدلا من أن يلجأ إلى التجربة ، أخذ يستخدم منطق أرسطو ، فى التدليل على أن الحركة القصيرة تقع بعد الحرف ، مثلها فى ذلك مثل حروف المدّ ، وهى الألف

(١) الخصائص ١ / ٦٩

(٢) الخصائص ١ / ٥٥

والواو والياء ؛ فيقول : « واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف ، لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ؛ إذ لو كانت كذلك لما جاز الإدغام في الكلام أصلاً ؛ ألا ترى أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء الأولى في الثانية ، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها ، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى والطاء الثانية ، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية ، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها .. وبقي أن تكون معه أو بعده ، وفي الفرق بينهما بعض الإشكال ؛ فالذي يدل على أن حركة الحرف في المرتبة بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثليين ، نحو قولك : قصص ، ومضض ، فإن ظهر هذان المثلان ، ولم يدغم الأول منهما في الآخر منهما ، فظهرهما دلالة على فصل واقع بينهما ، وليس هاهنا فصل ألبتة ، غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول (١) » .

أما أبو عليّ الفارسيّ ، فإنه لم يتصور إمكان استقلال الحركة بالنطق ، ولم يستطع أن يفرّق بين الصوت الصامت والحركة هذه التفرقة ، فكان يرى أن الحركة تحدث مع الحرف ؛ يقول ابن جنى : « واستدل أبو عليّ على أن الحركة تحدث مع الحرف بأن النون الساكنة إذا تحركت ، زالت عن الخياشيم إلى الفم ، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة ، فدل ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمرى استدلال قوى (٢) » .

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٧ ومع تحمس ابن جنى لرأى أستاذه أبا عليّ الفارسيّ ، ووصفه دليله بأنه « استدلال قوى » ، فإنه لم يرتض هذا الرأي في كتابه الخصائص ٢ / ٣٢٤ ورد استدلاله هناك .

وقد فات أبا على الفارسيّ ، أن الذي يزول عن الخياشيم إلى الفم ، هو الحركة وليست النون ، وأن الذي يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف مدّ ، لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك !

ولم تخل هذه الكتب كذلك من داء التصحيف والتحريف ، الذي ابتليت به الكتابة العربية منذ القديم ؛ فقد وقع في كتاب « الزهر » للسيوطي النص التالي : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : قول العامة نُحَوِيٌّ لُغَوِيٌّ ، على وزن : جَهْلٌ يَجْهَلُ ، خطأً أو لغةً رديئةً ^(١) » . وفي هامشه تعليقا على عبارة : « نحوي لغوي » قال محققو الزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة » !

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو الزهر ، موجود على الصواب في تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : « فتقول : غَوِيٌّ يَغْوِيٌّ ، على نحو جَهْلٌ يَجْهَلُ ^(٢) » .

★ ★ ★

هذه هي بعض الملاحظات ، التي لم يقصد كاتبها إلى الحصر والاستقصاء ، وإنما هو تنبيه للأذهان ، إلى أنه قد آن الأوان ، لتنقية تراثنا اللغوي ، من كل هذه الشوائب ، التي تركت آثارها الجدرية ، في وجه اللغة الحسنة ، لغتنا الجميلة .

★ ★ ★

(١) الزهر / ١ / ٢٢٥

(٢) تصحيح الفصيح / ١ / ١١٩

البابُ الرابع
في تاريخ العربِيَّة

الفصل الأول الفصحى وتحديات العصر

منيت العربية الفصحى في العصر الحديث ، بخصوص حاقدين وأعداء اللدء . وليست تلك الهجمة الضارية الشرسة على الفصحى ، إلا جزءا من الهجوم على الدين الإسلامى الحنيف ؛ فقد فطن أعداء هذا الدين ، إلى الارتباط الوثيق بينه وبين اللغة العربية الفصحى ، وفي يقينهم أنهم إن أزالوها عن مكائنها الراسخة في القلوب منذ أربعة عشر قرنا ، فقد أزالوا الحصن الأكبر من حصون هذا الدين الحنيف ، فرموها بكل ما يملكون من أسهم ونبال ، واتهموها ومازالوا يتهمون بالصعوبة والتعقيد ، وأخذوا يشككون أهلها في قدرة لغتهم على مجازاة العصر ، والاتساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة ، وبدلوا جهدهم في إحلال العامية محلها ، بدعوى جمود الفصحى ، وانتمائها إلى عصور بادت وانقرضت ، وعدم صلاحيتها للحياة وسط هذا الخضمّ الهائل ، من النظريات الفلسفية والاجتماعية والسياسية ، التى يموج بها القرن العشرون .

حتى خطها ، الذى شَرَّق وغرَّب ، واستحسنته أمم غير عربية ، فكثبت به لغاتها ، لم يسلم هو أيضا من الطعن فيه ، والادعاء بأنه هو سبب تأخر العرب ، وبدل الجهود فى محاولة تنحيته عن الساحة ، وأن يُستبدل به الخط اللاتينى ، حتى إذا ضاعت اللغة ، وضاع الخط العربى ، فقد تهدمت آخر حصون الدين الإسلامى ، وتحطمت أقوى قلاع هذا الشرع الشريف .

وقد قاد هذه الحملة الشرسة أقوام من المستشرق ، وتعاون معهم ذيوهم فى الوطن العربى ، ممن يتسمون بأسماء عربية : سلامة موسى ، وعبد العزيز فهمى ، وأنيس فريجة ، وسعيد عقل ، وغيرهم ، وما لهم من العروبة إلا

هذه الأسماء ، أما قلوبهم وأما اتجاههم فإلى الغرب ، ضد العربية وضد الدين . وقد ذهب منهم من ذهب إلى غير رجعة ، ومنهم من لا يزال حيا ، ينشر المقالات ، ويرصد الجوائز والمكافآت لحرب الفصحى ، وزعزعة أركان الدين الإسلامي .

وفيما يلي تنفيذ لدعوى القوم ، وكشف لزييفها وضلالها :

أما الدعوى الأولى ، فقد أثرت بعض التأثير في نفوس الشباب ، الذى لم يتزود من الفصحى بالقدر التى يحصنه ضدها ؛ إذا يسود بين جمهرة المثقفين العرب شعور مدمر ، بأن لغتنا الجميلة العربية الفصحى ، لغة معقدة القواعد ، صعبة التعلم ، كثيرة الشذوذ في مسائلها وقضاياها ، بحيث تجعل من استخدامها والتحدث بها ، عبئا ثقيلا على أهلها .

ولقد انتهز المغرضون هذه الفرصة ، وأخذوا يصيدون في الماء العكر ، ويدعون إلى استخدام العامية ، وهجر الفصحى أو خلطها بالعامية . وهى دعوة حمل لواءها منذ فترة طويلة ، المعادون للإسلام وأهله ، فادعوا أن إعراب العربية الفصحى ، أمر عسير التعلم ، ليصرفوا المسلمين عن منبع دينهم وعماد شريعتهم ودستور حياتهم ، وهو القرآن الكريم ، الذى أنزله الله عز وجل بهذه العربية الفصحى .

ولكيلا ينخدع شبابنا المثقف بهذه الأكاذوبية الخداعة ، أحب أن ألفت نظرهم إلى أن هذا الإعراب المعقد الصعب ، لا تنفرد به العربية الفصحى وحدها ، بل هناك لغات كثيرة ، لا تزال تـحيا بيننا ، وفيها من ظواهر الإعراب المعقد ما يفوق إعراب العربية بكثير ، فهذه هى اللغة الألمانية مثلا ، تقسم أسماءها اعتبارا إلى مذكر ومؤنث ، وجنس ثالث لا تعرفه العربية ، وهو : « المحايد » ، وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة ، أربع حالات

إعرابية ، هي حالات : الفاعلية والمفعولية والإضافة والقابلية . والحالة الأخيرة حالة لاتعرفها العربية ، وهي إعراب المفعول الثانى ، فهى من حالات المفعولية فى العربية ، وليست حالة خاصة فيها : تلك هى حالات إعراب الاسم المفرد المعرف فى الألمانية . والمفرد المنكر له أربع حالات أخرى ، وكذلك الجمع المعرف والجمع المنكر .

وبناء الجملة فى اللغة الألمانية له نظام صارم ، فالفعل يحتل فيها المرتبة الثانية دائما ، إلا فى الجمل الفرعية ، كالجمل التعليلية مثلا ، فإن الفعل يؤخر فيها إلى نهاية الجملة .

وإن من يشكو من كثرة جموع التكسير فى العربية ، وغلبة الشذوذ على قواعد هذا الجمع فيها ، سيحمد للعربية الأطراد النسبى فى هذه القواعد ، إذا درس اللغة الألمانية ، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها ، وفقدان القاعدة التى تخضع لها تماما ، إلى درجة أن كل كتاب فى تعليم قواعد الألمانية ، تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة : « احفظ مع كل اسم أداة تعريفه وصيغة جمعه ؛ لأنه ليست هناك قاعدة لذلك » !

فليست العربية إذن ، بدعا بين اللغات فى صعوبة القواعد ، غير أن شيئا من هذه الصعوبة يعود بالتأكيد إلى طريقة عرض النحويين لقواعدها ، فقد خلطوا فى هذه القواعد بين الواقع اللغوى والمنطق العقلى ، وبعدوا عن وصف الواقع إلى المماحكات اللفظية ، وامتألت كتبهم بالجدل والخلافات العقيمة ، فضل المتعلم وسط هذا الركام الهائل من الآراء المتناقضة فى بعض الأحيان . والحقيقة أن القواعد الأساسية لنحو اللغة العربية ، يمكن أن تستخلص فى صفحات قليلة مصفاة من هذا الحشو الذى لاطائل وراءه . ولقد كثر البحث عن السر فى إخفاقنا حتى الآن ، فى تعليم العربية

الفصحى لأبنائنا ، كما ينبغي ، فلم تفلح مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا عموماً في إنشاء علاقة الود بين المتعلمين وهذه اللغة ، ولم تنجح في غرس حب القراءة في النشء منذ الصغر .

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اعتقاد الكثيرين منا ، بأن في تعليم قواعد اللغة تعليماً للغة . وتفكيرنا في الأمر على هذا النحو ، كتفكير من يعلم قواعد العروض لكي ينشئ شاعراً ، أو كتفكير من يحفظ صفحات في قواعد قيادة السيارات ، ثم يظن أنه بهذا الحفظ وحده ، قد أصبح سائقاً ماهراً ؛ فإن اهتمامنا بتعلم القواعد النحوية في مرحلة مبكرة من حياة الطفل ، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة ، هو البراعة في حفظ المصطلحات النحوية ، والتفنن في عدد مسوغات الابتداء بالنكرة ، ومجىء الحال معرفة ، وأحوال الصفة المشبهة وما إلى ذلك .

كل هذه الأمور وأمثالها ، يرددها التلميذ في هذه السن المبكرة بلا وعى ، ثم ينساها عقب الفراغ من الامتحان ، ولا يبقى في ذهنه منها إلا التندر على صعوبة اللغة العربية ، ومالاقاه في تعلمها من عنت ومشقة .

وإنني لست بهذا أحط من أهمية قواعد اللغة ، ولأقل من قدرها في الوقوف على سر اللغة والتمكن منها . ولكنني أحذر من وضعها في المقام الأول ، ونسيان الفطرة التي جبل عليها الإنسان في تعلم اللغة . خذ لغة التخاطب مثلاً ، وانظر كيف يتعلمها الطفل؟! إننا لانشرح له أية قاعدة من قواعدنا ، ولكن الذي يحدث هو أننا نتكلم ، والطفل يحاكي ويقلد ، حتى إذا أخطأ لا يجد من حوله يشرحون له القاعدة ، وإنما يكررون الصواب أمامه ... وهكذا وعن هذه الطريق وحدها ، يلم الطفل بتراكيب اللغة ومعانيها حفظاً وفهماً ، ويهضم كل ذلك ثم يقيس عليه ، ويكتمل نضج لغة

الخطاب لديه في وقت قصير دون أن يعلم شيئا عن قواعدها وقوانينها وضوابطها .

وإذا كان هذا هو المنهج الفطري في تعلم اللغة ، فلماذا لانفيد منه في تعلم العربية الفصحى ؟ حقا إن العربية الفصحى لا يتكلمها الناس في كل وقت حول التلميذ ، كما نتحدث بالعامية أمام الطفل ، ولكن هناك طريق آخر يقوم مقام السماع ، وهو طريق القراءة ، قراءة النصوص الأدبية القديمة ، ومانسج على نمطها في العصور المختلفة ، قراءة واعية صابرة ، مع حفظ الكثير والكثير جدا ، من هذه النصوص الجيدة شعرا ونثرا . وعلى رأس هذه النصوص جميعها بالطبع ، نص القرآن العظيم . وفي هذه الحالة تتكون الملكة القادرة على محاكاة هذه النصوص ، والنسج على منوالها .

ولقد نادى بمثل ذلك العلامة ابن خلدون ، فقال : « ووجه التعليم لمن يتغنى هذه الملكة ويروم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم ، الجارى على أساليبهم ، من القرآن والحديث ، وكلام السلف ومحاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ، منزلة من عاش بينهم ، ولقن العبارة منهم ^(١) » .

هذا مقاله ابن خلدون . وإنه لاشيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما ، من الاستماع إليها ، والقراءة الكثيرة في تراثها ، وحفظ الجيد من نصوصها . وإذا كنا أمام الفصحى لانعم بالوسيلة الأولى وهي الاستماع ؛ إذ أكثر مانسمعه عامى أو فصيح ملحون أو ملء بالخطأ ، أو ركيك العبارة

ضحل المضمون ، فلا تزال أمامنا فرصة الإفادة من القراءة الواعية للنصوص الجيدة ، وعندئذ تتكون السليقة اللغوية عند أبناء العربية ، وتجري ألسنتهم بالفصحى العذبة ، وتأتي دروس القواعد ، فتنظم هذا الكيان اللغوي ، الذى نما وترعرع فى ظل النصوص . وعندها لا يجد أعداء العربية مايقولونه ، حول صعوبة قواعدها ، أو ضعف المتعلمين بها .

★ ★ ★

أما الدعوى الثانية ، وهى أن العربية قاصرة عن استيعاب علوم العصر ، فالرد عليها هين جدا ؛ لأن المنصفين من علماء اللغة يعتقدون اعتقاداً جازماً فى قدرة كل لغة على التعبير عن أية فكرة ، متى قامت فى نفوس أصحابها ؛ « فهناك وجه شبه ظاهر ، بين اللغة ومختلف أنواع النقود ، التى نستعملها فى البيع والشراء ، فالنقود فى نظر رجال الاقتصاد ، ماهى إلا رمز للقوة الشرائية ، التى تمكن الإنسان من تملك الشئ ، الذى تصبو إليه نفسه ؛ فإن القيمة الحقيقية لما فى العملة من ورق أو معدن ، يعدّ شيئاً تافهاً بالنسبة لقواتها الشرائية ، فالصكوك والعملة الورقية ، لاتساوى فى حدّ ذاتها ، أكثر من قيمة الورق الذى طبعت عليه . وللذهب والفضة قيمة محدودة لأغراض الزينة ، ولكنهما من الناحية العملية أقل قيمة من المعادن الأخرى ، التى تفوقها فى الصلابة وقوة الاحتمال . فحقيقة الأمر أن القيمة الحقيقية للنقود ، هى صفة يضيفها عليها المجتمع الذى يتعامل بها (١) » .

وكذلك اللغة ، فإن قيمتها فى تمسك أهلها بها ، ورواجها

بينهم ، وتداولها على ألسنتهم ، واحترامهم إياها ، وثقتهم بها في حمل أفكارهم ومعتقداتهم ، والتعبير عن انفعالاتهم وعواطفهم ، واستخدامهم إياها في كل ما يعنّ لهم من شؤون الحياة السهلة ، أو القضايا الفلسفية المعقّدة . كما تبدو قيمتها كذلك فيما تعبر عنه من رصيد فكري وحضارى كبير .

وإن الجاهلين بهذه المسلمات اللغوية ، ليعيرون لغتنا الفصحى ، بأنها قاصرة عن استيعاب علوم العصر ؛ لأنها — كما يقولون — لغة سلفية جامدة ، تتطلع إلى الوراء بدلا من اتجاهها إلى الأمام .

ويحضرني هنا في الرد على هذه الفرية ، كلام للعالم اللغوى الشهير « فنديس » ، يقول فيه : « الواقع أننا لانعلم إطلاقا لغة قد قصرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها » ، ثم يقول عقب هذا : « فلا نصت إذن إلى أولئك المؤلفين العاجزين ، الذين يحملون لغاتهم مسئولية النقص الذى فى مؤلفاتهم ؛ لأنهم هم المسئولون ، على وجه العموم ، عن هذا النقص (١) » .

واللغة العربية الفصحى ، لم تخلد على الزمن ، ولم يمتد بها العمر أربعة عشر قرنا ، وإلى ماشاء الله ، إلا لِمَا تحمل من عناصر البقاء ، المتمثل فى هذا التراث الحضارى ، وتلك العقيدة السامية ، التى شرف الله بها العربية ، حين اختارها وعاء لما فيها من أفكار وتصورات ، ولما آتى الله أهلها من جلد وصبر على تحمل تبعاتها ، ودأب فى البحث عن أسرارها وخفاياها .

وقد امتحنّت العربية الفصحى فى التاريخ مرتين ، فى ناحية القدرة على استيعاب الأفكار الجديدة ، واجتازت هذا الامتحان بنجاح كبير ؛ فهذه

هى الأفكار الدينية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء ، قد استوعبتها العربية الفصحى ، وعبرت عنها أدق تعبير وأبلغه . كما أن حركة الترجمة من اللغات الأجنبية فى العصر العباسى الأول ، لم تقصر العربية الفصحى عن تحمل تبعاتها ، ولم يَشْكُ واحد من المترجمين آنذاك ، من قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية ، التى كانت لمفكرى الإغريق والرومان والسريان وغيرهم .

ومانجح تدريس الطب بالعربية الفصحى فى سوريا الشقيقة ، فى عصرنا الحاضر ، إلا برهان آخر على قدرة لغتنا الجميلة ، على استيعاب علوم العصر ، والتعبير عن مظاهر مستحدثات الحضارة .

إنهم يعيرون اللغة ، والعيب فيهم هم . وفى رأينا أن اللغة لاتعجز عن التعبير عن أى معنى من المعانى ، متى قام فى نفوس المتكلمين بها ، فالفكرة متى قامت فى ذهن الإنسان ، استطاع التعبير عنها بلغته ، إن كان متمكنا من هذه اللغة ، وعاملا على رفعة شأنها .



أما الدعوى الثالثة ، فإننا نرى كيف تعلقو من آن لآخر ، ضيحات أئيمة فى الوطن العربى ، تدعى صعوبة الكتابة بالفصحى ، وتدعو لذلك إلى هجرها ، والكتابة بالعامية ، بحجج يبدو فيها الزيف والضلال ، وهى إن جازت على بعض ذوى العقول الضعيفة ، والنفوس المريضة ، فإنها لن تخدع بحال من الأحوال جمهرة العرب ، الذين آمنوا برهم ، وتمسكوا بكتابهم ، وعرفوا أن فى حياة هذه اللغة الشريفة حياة لدينهم وتراثهم ، وهم فى هذه موقنون

بتحقيق وعد الله الكريم ، بأن يحفظ الفصحى ، حين تكفل عز وجل بحفظ
 كتابة العزيز ، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

وإن من يدعو إلى نبذ الفصحى ، والكتابة بالعامية ، هو أحد
 رجلين ؛ أولهما : حاقد على الفصحى وكتابها الكريم ودينها الخالد ، فهو يريد
 هدم الدين عن طريق هدم لغته ، وتضييع كتابه ، وهذا ضل سعيه ؛ لأنه ممن
 يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
 الكافرون .

وثانيهما رجل جاهل بسر العربية ، ومافيهما من قدرة بارعة خلاقة في
 التعبير عن الفكر . ومن جهل شيئا عاداه ، كما يقولون .

ومن النفر الأول بعض المستشرقين وذيوهم في الوطن العربى . وقد هزل
 « نولدكه » محاولات « محمد عثمان جلال » الكتابة بالعامية المصرية
 للمسرح ، فما باله لواطلع على الأدب الغث الذى كتب بهذه اللغة
 المسوخة ، فى عصرنا الحاضر !؟

إن مما يطمئن النفس أن أصحاب هذا الأدب ، يحسون فى قرارة
 أنفسهم بالضعفة ، ويتجرعون مرارة الإحساس بأن أدبهم محلّى ، ليس له رواج
 إلا فى بيئاتهم المحدودة .

ولقد يلفت النظر أن قطب الدعاة إلى العامية فى نصف القرن
 الماضى ، وهو « سلامة موسى » ، لم يكتب واحدا من مؤلفاته ، أو يسطر
 كلمة فى مقالاته ، باللغة التى كان يدعو إليها . فهل ترى أقسى من هذا على
 نفوس هؤلاء الحاقدين الحاسدين !؟

إنه من الغريب حقا أن يبحث بعض الناس عن لغة أخرى غير
 الفصحى ، لتحل محلها — على زعمهم — فى توحيد شعوب الأمة العربية ،

ويرون في هذه العامية أملهم في أن تحمل لواء الأدب ، وتتسع لمستحدثات الحضارة . فأية عامية تلك التى يريدونها ؟ أهى عامية مصر ، أم عامية الجزيرة العربية ، أم عامية العراق ، أم عامية سوريا ، أم عامية المغرب ، أم عامية السودان ؟ وفى مصر مثلا : أهى عامية الصعيد ، أم عامية الوجه البحرى ، وفى الوجه البحرى : أهى عامية الشرقية ، أم المنوفية ، أم البحيرة ؟ إن هذا هو الضلال المبين !

وليُعرف أبناء اللغة العربية ، أن محاولة رفع مكانة العاميات ، لتحل محل اللغة الأدبية ، إنما هو شعار مدرسة ضالة فى أمريكا ، لم يرض عنها جمهرة علماء اللغة فى العالم . وهذا هو « ماريو پاى » يرد عليهم فيقول (١) : « شقّ الجيل الجديد من اللغويين فى أمريكا ، عصا الطاعة على النحو التقليدى ، وبدعوا يدعون للمبدأ الذى ينادى بأن الصيغة التى يستخدمها الناس ، هى الصيغة اللغوية الصحيحة . وقد صار شعار هذه المدرسة : (إن اللغة الحقيقية ، هى اللغة التى يستخدمها الناس فعلا ، لا اللغة التى يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها) . ولكن الصيغة التى يستخدمها الناس ، لها مشكلاتها الخاصة بها ، فأية صيغة هذه ؟ ومن الذى يستخدمها ؟ حتى فى الدول التى يظهر للناس أنها تستخدم لغة موحدة ، هناك مستويات مختلفة لاستخدامها ، كما تختلف اللهجات المحلية ، باختلاف المناطق التى تستخدمها » .

ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العامية فى الوطن العربى أحيانا ، أن زعموا أن العامية شكل صحيح من أشكال الفصحى ، عنها تطور ومنها

(١) لغات البشر ١٠٨

أخذ ، وأن استخدام العامية لن يقطع الصلة بيننا وبين الفصحى . ولقد كذبوا في هذا وزيفوا وضللوا ؛ فهم يعرفون تماما أن اللاتينية مثلا ، كانت هي اللغة الأدبية في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا في العصور الوسطى ، وكانت العاميات المنتشرة في هذه البلاد ، هي اللهجات الإيطالية والفرنسية والأسبانية ، وهي عاميات لاتينية ، تشبه العاميات العربية في صلتها بالفصحى . وقد أدى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العاميات بعد ذلك ، في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا ، وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم ، إلى موت هذه اللغة ، وانسلاخ العاميات عنها ، وتكون اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية . وهذا هو ما يريده دعاة العامية ، وهو أن تتفكك لغتنا إلى لغات شتى ، في أرجاء الوطن العربى .

وخلاصة القول أنه لا يحق لنا ، أن نخلط الفصحى بالعامية ، بدعوى أنها تمت إليها بصلة ، فإن هذه لغة وتلك لغة أخرى . فمن ضاق بالفصحى من هؤلاء الأفاكين ، فلا عليه أن يستخدم عاميته في أحاديثه وكتاباتة ، غير أنه لن ينتزع منا شهادة بأن هذه العامية هي والفصحى سواء . وإنالهم بالمرصاد ، والله الموفق .

★ ★ ★

أما هذا الخطّ الذى نكتب به لغتنا العربية ، منذ مئات السنين ، فلا شك في أنه خط غير مبرراً من العيوب ؛ فالهمزة فيه لها مشاكل تعتاص على البراعم الصغيرة من أبنائنا في مراحلهم التعليمية الأولى ، فهم يرونها تارة وقد كتبت على ألف ؛ مثل : « سأل » ، وتارة أخرى على واو ؛ مثل : « يؤمن » ؛ وثالثة على ياء ؛ مثل : « سُئِلَ » ، ورابعة على السطر بلا حامل يحملها ؛ مثل :

« سماء » . والألف المقصورة كذلك ، يرونها مرة بالألف ؛ مثل : « دعا » ،
 وأخرى بالياء ؛ مثل : « سعى » . وهناك حروف تكتب ولا تنطق ؛ مثل : اللام
 الشمسية ، والألف التي توضع أمام واو الجماعة . وحروف تنطق
 ولا تكتب ، كحروف المد في : هذا ، وهذه ، وهؤلاء ، ولكن ، وذلك ،
 وغيرها .

وغير هذا وذاك ، هناك تشابه محير للطفل ، في بعض أشكال
 الحروف ، كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء ، وغيرها ؛ إذ تُفَرَّقُ بين
 كل مجموعة من هذه المجموعات المتشابهة ، بالنقط المفردة والمثناة والمثلثة ، من
 فوق الحرف أو تحته ، كما أن الكلمة إذا أهمل ضبطها بالشكل ، صارت في
 بعض الأحيان لغزا ، لا يحلّه إلا فهم المعنى أولا ، لكي يقرأ القارئ قراءة
 سليمة .

هذا وغيره ، من الأمور المعوّقة للقراءة والكتابة عند النشء ، جعلت
 فريقا من الناس يحاول إصلاح هذا الخط وتيسيره ، وشاركت الجامعات العلمية
 في هذا الميدان ، فأعلن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، قبل حوالي ربع قرن من
 الزمان ، عن مكافأة مالية سخية ، لمن يتقدم بمشروع مبرراً من العيوب
 لإصلاح هذا الخط . وتقدّم الكثيرون من العلماء وأشباه العلماء ببحوثهم
 واقتراحاتهم ، ولم يصل واحد منهم إلى حل مقبول لهذه المشكلة العويصة .
 ومن قبل ، أحسّ سلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم ، بحاجة هذا
 الخط إلى الإصلاح ؛ لأنّ العرب ورثوه عن النبط جثة هامدة ؛ إذ كان يخلو
 من رموز الحركات القصيرة . وكان أول من فكر في إصلاح هذه الناحية :
 « أبو الأسود الدؤلي » الذي جعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة
 تحت الحرف ، والضمة نقطة على يسار الحرف . وكانت هذه النقط تكتب

بجبر مخالف لنقط الباء والتاء والثاء ، وغيرها من الحروف المنقوطة ، حتى لا يختلط بها . ثم جاء « الخليل بن أحمد الفراهيدي » ، فوضع رموز الشكل التي نعرفها اليوم ، وهي : الضمة والفتحة والكسرة ؛ بل كان هو الذي وضع كذلك : رمز الهمزة ، والشدة ، والسكون ، والمدة ، والوصل ، وغير ذلك . هذا هو تاريخ المشكلة . وفي رأبي أن أى تفكير فى إصلاح هذا الخط فى العصر الحاضر ، يجب ألا يتعد كثيرا عن نماذجه الحالية ؛ فقد ذاع هذا الخط وانتشر ، وكتب به تراث ضخم ، فأى تفكير فى إصلاح عيوبه ، لا يصح أن يغفل هذا التراث ، فما بالنأ إذا رأينا من يدعو إلى هجرة تماما ، واستخدام الخط اللاتينى بدلا عنه؟! إن هذا يعنى قطع الصلة تماما ، بين الجيل الذى يتعلم هذا الخط ، وتراثنا العربى بكامله . وهذا هو ما يريدُه أعداء العربية .

وفى الحقيقة ، ليس خطنا العربى بدعا بين الخطوط فى مشاكله ، فالخط الفرنسى مثلا يعانى من عيوب خطيرة ، تتمثل فى أن به الكثير من الحروف التى لا تنطق ، إلى جانب الدلالة على نطق معين بصور مختلفة من الرموز . ومع ذلك يقول « قندريس » أحد علماء اللغة الفرنسىين ، عن محاولات إصلاح هذا الخط الفرنسى : (١) : « فإذا قمنا بإصلاح شامل دفعة واحدة ، كنا قد استبدلنا مكان اللغة المكتوبة ، التى تعودنا عليها ، لغة كتابية أخرى جديدة ، ويترتب على هذا أن نطرح وراء ظهرنا دفعة واحدة ، جميع المطبوعات التى نشرت بالفرنسية منذ قرون ، وهو أمر مستحيل ، هذا إلى أن مثل ذلك العمل ، يوجب على جيل أو جيلين من الفرنسىين ، أن يتعلموا

(١) اللغة لقندريس ٤١٣

لغتين ، بدلا من لغة واحدة . وإن هناك من العادات والتقاليد الأدبية ،
 ما لا يستطيع المرء أن يغيره بجرة قلم واحدة » .

وهؤلاء هم الأتراك ، عندما نبذوا الخط العثماني ، واستبدلوا به الخط
 اللاتيني ، أصبحوا كالمعلقين في الفضاء ؛ إذ لا يعلم التركي في أيامنا هذه شيئا
 عن ماضيه الغابر ، كما أنه أصبح حائرا في انتائه الآن ، فلا هو أوربي ولا هو
 شرقي ، ولم يفلح اختياره الخط اللاتيني في تقريبه إلى الغرب ، في قليل أو
 كثير .

★ ★ ★

الفصل الثاني الفصحى بين الجمود والتحرر

العربية الفصحى لها ظرف خاص ، لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم . وهذا الظرف يجعلنا نرفض ماينادى به بعض الغافلين — عن حسن نية ، أو سوء نية أحيانا — من ترك الحبل على الغارب للعربية الفصحى ، لكى تتفاعل مع العاميات ، تأخذ منها وتعطى ، كما يحدث فى اللغات كلها .

حقا أن اللغة كائن حيّ ، تتطور على ألسنة المتكلمين بها ، فينشأ من هذا التطور ، اختلاف بين لغة عصر والعصر الذى سبقه . وهنا يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم وأنصار الشكل الجديد ، وبعد فترة يصبح قديما ماكان بالأمس جديدا ، فيتصارع مع جديد آخر ، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر . غير أن كل جديد لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين يوم وليلة ، بل يظل الصراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر ، غير أن الانتصار يكون فى النهاية للشكل الجديد . تلك سنة الحياة ، وتاريخ اللغات جميعها يشهد بهذا ، ولانعرف لغة على ظهر الأرض ، جمدت على شكل واحد مئات السنين .

غير أن العربية الفصحى ، لها كما قلنا ، ظرف لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم ؛ ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، ودوّن بها التراث العربى الضخم ، الذى كان محوره هو القرآن الكريم ، فى كثير من مظاهره . وقد كفل الله لها الحفظ مادام يحفظ دينه ؛ فقال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . ولولا أن شرفها الله عز وجل فأنزل بها كتابه ، وقبض له من خلقه من يتلوه صباح مساء ، ووعد بحفظه على تعاقب

الأزمان — لولا كل هذا ، لأمت العربية الفصحى لغة أثرية ، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة في نواحي الأرض العربية ، وازدادت على مر الزمان بعدا عن الأصل الذى انسلخت منه . هذا هو السر الذى يجعلنا لانقيس العربية الفصحى ، بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة ، فإن أقصى عمر هذه اللغات في شكلها الحاضر ، لايتعدى قرنين من الزمان ، فهي دائمة التطور والتغير ، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة ، تأخذ منها وتعطى ، ولاتجد في كل ذلك حرجا ؛ لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب كريم ، كما هى الحال في العربية . ولكن ، هل معنى هذا كله ، أن العربية الفصحى لغة جامدة ، تحجرت عبر عصور بادت وانقرضت ، وفصل بيننا وبينها مئات السنين ، مع أن طابع الحياة التجدد والتغير ، والعالم يصحو كل يوم على جديد ، في العلم والفن والسياسة والاجتماع !؟

نقول نحن في الرد على هذا التساؤل ، الذى قد يخطر في ذهن بعض الناس : إن العربية الفصحى تحمل في طبيعة تكوينها عنصر التجدد والحياة ، إن أفاد أهلها من منجها العظيم في القياس ، والاشتقاق ، والنحت ، والتعريب .

فلا حرج على أى مستخدم للفصحى ، يصوغ جملا عربية ، تشبه في نظامها جمل العرب ، في موقع مفرداتها ، وأبنية كلماتها ، ودلالة ألفاظها ، وإن لم تكن تلك الجمل بعينها مما قاله العرب . وقد أحسن ابن جنى حين عقد في كتابه : « الخصائص » فصلا ، ذهب فيه إلى أن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب (١) .

والاشتقاق المقصود هنا هو الاشتقاق الصرفي ، وهو المعروف عند علماء اللغة باسم : « الاشتقاق الأصغر » ، ويعرفه السيوطي بأنه : « أخذ صيغة من أخرى ، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضَرَبَ ، وحَدِرٍ من حَدَرَ (١) » .

وهذا النوع من الاشتقاق قياسي ؛ إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة ، جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة ، فكثير من تلك الصيغ ، التي يجوز اشتقاقها لا وجود لها فعلا في نص صحيح من نصوص اللغة ، فهناك فرق كبير بين مايجوز لنا اشتقاقه من صيغ ، ومااشتق فعلا ، واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب ، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، روي لنا في نصوص اللغة ، فرما لا يحتاج المتكلم أو الكاتب إلى كليهما من فعل من الأفعال ؛ فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود ؛ ولهذا يجدر بنا ألا نتصور أن الأفعال أو المصادر ، حين عرفت في نشأتها ، عرفت معها مشتقاتها ؛ فقد تظل اللغة قرونا ، وليس بها إلا الفعل وحده ، أو المصدر وحده ، حتى تدعو الحاجة إلى مااشتق منهما .

ويخالف في هذا بعض قدامى اللغويين العرب ، فيرون أنه لاقياس على كلام العرب في الاشتقاق ، وأن كل كلام العرب توقيف . ومن هؤلاء ابن فارس اللغوي ، الذي يقول : « إن الذي وقفنا على أن الاجتنان : التستر ، هو الذي وقفنا على أن (الجِنَّ) مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن

نقول غير ماقالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة ، وبطلان حقائقها (١) .

وفي هذا القول غلبو وإسراف في منع القياس على ما اشتقه العرب . ومن أتباع هذا الرأي في العصر الحاضر ، أولئك الذي يخطئون استخدام : «تكاتف» بمعنى : تعاون ، أى وضع كتفه إلى جانب كتف زميله ، صنع من يتعاون مع غيره في حمل شيء ثقيل ؛ فهم يخطئون هذا الاشتقاق ، لأنه لم يرد في هذه الكلمة عن العرب القدماء ، ومادروا أن الاشتقاق مذهب من مذاهب العربية ، الذي يجدد شبابها على مر الزمن ، وأنه قياسى كما ذهب إلى ذلك جمهور اللغويين .

والنحت ضرب من ضروب الاشتقاق في اللغة ، وهو أن تعمد إلى كلمتين ، أو جملة فتتزع من مجموع حروف كلماتها ، كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها . ولأبى الحسين أحمد بن فارس ، اليد الطولى في هذا الموضوع ، فهو إمام القائلين بالنحت بين اللغويين القدامى ؛ إذ يقول : « واعلم أن للرباعى والخماسى مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ماتراه منه منحوت . ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان ، وتنتح منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ (٢) » .

ويذكر ابن فارس ، أن الخليل بن أحمد سبقه في هذا الرأي ، وأنه يسير على منهجه في ذلك ؛ فيقول : « والأصل في ذلك ما ذكره الخليل ، من قولهم : حَيْعَل الرجل ، إذا قال : حَيَّ عَلَى . ومن الشيء الذى كأنه متفق عليه قولهم : عَبْشِمَى ، وقوله :

(١) الصحاحى ٦٧

(٢) مقاييس اللغة ١ / ٣٢٨

وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم ترى قبل أسيرا يمانيا^(١)»
 ولاشك في أن السير على نهج الفصحى في النحت ، يعين على ترجمة
 كثير من المصطلحات العلمية الكثيرة ، التي لا تؤدى العربية معناها عادة إلا
 بكلمتين أو أكثر ، كقولنا في العصر الحاضر : « الدبّابات البرمائية » ، بدلا
 من : « البرية المائية » مثلا . وهذا طريق آخر من طرق تجديد العربية .
 أما « التعريب » ، فإنها كلمة تطلق على العملية التي تُجرى على
 الكلمات الأجنبية ، حين يدخلها العرب إلى لغتهم ، ويعنى هذا أن تلك
 الكلمات المستعارة في العربية ، لم تبق على حالها تماما ، كما كانت في لغاتها ،
 وإنما حدث فيها أن طوّعها العرب لمنهج لغتهم ، في أصواتها وبنيتها وماشاكل
 ذلك . وليس هذا الأمر بدعا في العربية ؛ إذ تخضع في الغالب الكلمات
 المقتبسة ، للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فينالها كثير من
 التحريف في أصواتها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها
 القديمة .

وكان هذا دأب العرب في جاهليتهم ، تجرى على ألسنتهم بعض
 الألفاظ ، التي يحتاجون إليها ، من لغات الأمم المجاورة لهم ، بعد أن ينفخوا
 فيها من روحهم العربية ، ويتلقفها الشعراء منهم ، فيدخلونها في أشعارهم
 وأرجازهم .

وقد طال الأمد على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية ، وألف الناس
 استعمالها وصارت جزءا من لغتهم ، وربما نسوا أصلها في كثير من الأحيان ،
 وجاء القرآن الكريم ، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية ، التي أصبح بعض

(١) انظر : فصول في فقه العربية ٣٠٢ — ٣٠٣

هذا المغرب من مقوماتها ، فجاء فيه شيء من تلك الألفاظ ، التي عربها القوم من لغات الأمم المجاورة .

وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، يدركون ذلك تماما ، فقد « روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ، في أحرف كثيرة (من القرآن الكريم) أنه من غير لسان العرب ؛ مثل : سَجِيل ، والمشكاة ، واليَمِّ ، والطور ، وأباريق ، وإستريق ، وغير ذلك (١) » .

ولكن قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ، جعل طائفة من مفكرى الإسلام ، تذهب إلى إنكار وقوع المغرب في كتاب الله ؛ فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى ، يقول : « من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية ، فقد أعظم على الله القول » .

وقد وازن أبو عبيد القاسم بن سلام ، بين رأى شيخه أبى عبيدة ، ورأى السلف الصالح ، وانتهى إلى القول بعربية هذه الألفاظ ، بعد أن عربتها العرب ؛ فقال : « فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبى عبيدة ، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره . وكلاهما مصيب إن شاء الله ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه . فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل (١) » .

ولكن الشيخ أحمد محمد شاكر ، يواصل في العصر الحديث ، حملة أبى عبيدة في القديم ، على من يقول بوقوع المغرب في القرآن الكريم ، فقد راح يتعقب الجواليقي في كتابه : « المغرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم » ، ويحاول أن يعثر على اشتقاق عربى للكلمات التي ذكرها الجواليقي

(١) المغرب للجواليقي ٥ وانظر فصل التعريب في كتابنا : فصول في فقه العربية ٣٥٨ —

في هذا الكتاب ، معتسفا الطريق في محاولاته تلك تارة ، وغافلا عن سنن اللغات في الاقتراض عن غيرها تارة أخرى .

وتعصب الشيخ في هذه القضية لامبرر له ؛ إذ الكلمة المعربة تصبح — كما قلنا من قبل — عربية ، باستعمال العرب إياها على مناهجهم في لغتهم . غير أن مادعا العلماء إلى القول بعدم أصالتها في العربية ، أنها تدل على شيء لم يكن له وجود في الأصل ، في البيئة العربية ، وإنما هو وافد مع اسمه إلى تلك البيئة ، كما وفدت علينا في العصر الحديث كلمات مثل : تليفون ، وراديو ، وتليفزيون ، مع أجهزتها التي سميت بها ؛ لأن المفردات التي تقتبسها لغة ما ، عن غيرها من اللغات ، يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات ، أو برزوا فيها ، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ؛ فمعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية ، يتصل بنواح مادية أو فكرية ، امتاز بها الفرس واليونان ، وأخذها عنهم العرب . وهكذا نرى أنه من العبث إنكار وقوع المعرب في العربية الفصحى والقرآن الكريم .

وقد وقف اللغويون العرب بالتعريب ، عند عصور الاحتجاج ، وهي تلك الفترة السعيدة ، التي تشمل الجاهلية و صدر الإسلام وعصر بنى أمية ، وتعدّ بجميع ما فيها عربية فصحي ، وما عداها مما جاء بعدها مولد لا يصح ، يستوى في هذا التطور والتعريب الجديد .

وتقوم من آن لآخر صيحات ، تنادى بأن نسير على طريقة العرب ، في تعريب ما نحتاج إليه من ألفاظ اللغات المعاصرة ؛ ومن هؤلاء عبد القادر المغربي ، الذي ألفت في ذلك كتابا سماه : « الاشتقاق والتعريب » . وتتلخص فكرته ، في أن الكلمات الدخيلة الدالة على الأحداث والمعاني لا تعتبر فصيحة ، ولا يكون استعمالها من الحسن في شيء ؛ وذلك لأن في اللغة ما يسدّ مسدّها . ولكن هناك اختراعات ، أوجدها قوم من غير أبناء لغتنا ، ووضعوا لها أسماء . اخترعوا : الأوتوموبيل مثلا ، وسموه بهذا الاسم ، فنحن معشر العرب نأخذها ونأخذ اسمه ، كما أخذ أسلافنا المنجنيق واسمه من لغة اليونان .

وقد وقف مجمع اللغة العربية في مصر ، من هذه القضية ، موقف المتشدد ؛ إذ لم يجوز إلا تعريب الألفاظ الفنية والعلمية ، التي يعجز عن إيجاد مقابل لها في العربية . ولقد لخص الدكتور على عبد الواحد وافي ، موقفه ذلك أحسن تلخيص ؛ فقال (١) : أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور ، ومأدخله بعض المحدثين في العصر الحاضر ، أو يرى إدخاله في اللغة العربية ، من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات ، أو بالمصطلحات العلمية والفنية ، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله ؛ لأن في العربية غنية عنه ، ولأن في بطون معجماتها مئات الألف من الكلمات المهجورة ، الحسنة النغم والجرس ، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة ، بدون حدوث اشتراك ؛ لأن بعثها من مراقد الإهمال والنسيان ، يصيرها كأنها موضوعة وضعا جديدا .

وقد عنى المجمع بتطبيق قراره هذا ، فوضع عددا كبيرا من الأسماء العربية لمسميات حديثة ، جرت العادة باستخدام كلمات أجنبية في التعبير عنها . غير أنه قد احتاط للحالة التي قد تدعو فيها ضرورة قاهرة ، إلى استخدام لفظ أعجمي في الشؤون العلمية والفنية ، ويتعذر إيجاد لفظ عربي يحل محله ، فأجاز في هذه الحالة فقط ، استخدام اللفظ الأعجمي ، بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية . وإليك نص قراره في هذا الموضوع : « يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة ، على طريقة : العزب في تعريبهم » .

وفي رأبي أن اللغة لا تفسد بالدخيل بل حياتها في هضم هذا الدخيل لأن

مقدرة لغة ما ، على تمثل الكلام الأجنبي ، تعدّ مزيةً وخصيصة لها ، إن هي صاغته على أوزانها ، وصبته في قوالها ، ونفخت فيه من روحها .

والحق أن مشكلة تعريب ألفاظ العلم ومستحدثات الحضارة ، هي مشكلتنا الحقيقية في العصر الحديث . ومجامعنا العلمية لم تستطع حتى الآن ، معالجة هذه المشكلة معالجة حاسمة ، فإنها تنتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي على كل لسان ، وتستخدمه العامة والخاصة ، وتشره وسائل الإعلام المختلفة ، ثم تسعى بعد فوات الأوان إلى محاربهه ، والبحث عن بديل له عند العرب القدماء ؛ وبذلك يولد هذا اللفظ ميتا ، لاشتهار اللفظ الأعجمي ، وشيوعه على الألسنة . وكَم من ألفاظ وضعتها المجامع اللغوية لمستحدثات الحضارة ، غير أنها لم تتجاوز أبواب هذه المجامع ؛ فمثلا : « المذياع » للراديو ، و « المأوى » للوكاندة ، و « الخيالة » للسينما ، و « الطارمة » للكشك ، و « الملوحة » للسيمافور ، و « المرناة » للتليفزيون ، وغير ذلك من الألفاظ — ولدت ميتة لهذا السبب الذي ذكرته .

ولو أننا سمينا مستحدثات الحضارة بأسماء عربية ، واصطلحنا على هذه التسمية أو تلك ، عند أول ظهور هذا المستحدث الحضارى أو ذاك ، وعملت وسائل الإعلام المختلفة عندنا ، على ذبوعه وانتشاره ، لارتبط في أذهان الناس بمسماه ، وقضينا على هذه المشكلة من أساسها . وإنك لتعجب حين ترى الألمان يقومون في لغتهم بمثل ما نادى به هنا ، فمعظم المخترعات الأجنبية ، لها عندهم أسماء ألمانية خالصة . وفي قدرتنا النسخ على هذا المنوال للحفاظ على عروبة لغتنا ، أمام هذا الغزو الهائل من الألفاظ الأجنبية ، وفي ذلك حياة للغة ، وتجديد لشبابها .

البابُ الخامس
في مناهج البحث اللغويّ

الفصل الأول في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص

يقوم البحث العلمي في الوقت الحاضر ، على أسس علمية متعارف عليها ، وسأقتصر هنا على جانب واحد منها ، وهو جانب مصادر البحث ، لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى في النتائج التي يصل إليها الباحث في بحثه ، ولارتباطه من جانب آخر بموضوع الخط العربي ، الذي أصيب بداء التصحيف والتحريف ، منذ أول نشأته ، بسبب تشابه أكثر حروف الهجاء العربية ، واختلاف أماكن النقط وعددها .

لذلك ، فإن أي باحث في العلوم الإنسانية ، يجب — في رأبي — أن يكون على قدر من الخبرة بتحقيق النصوص ، حتى لا يثق في المصدر الذي يعتمد عليه وثوقا مطلقا .

وقد ارتبطت في الأذهان ، فكرة تحقيق النص بإعداده للنشر ، وليس الأمر كذلك تماما ، بل إن أي باحث في الدراسات الإنسانية مطالب بتحقيق النص الذي يستنبط منه نتائج معينة ، قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج ، وليس من اللازم أن يكون ذلك النص مخطوطا ، فكثير من الكتب المطبوعة التي بين أيدينا ، لا تفرق كثيرا عن المخطوطات ، إذا إن الذين تولوا طبعها ونشرها ، طائفة من الوراقين وبعض الأعداء ، الذين لا يدرون عن فن تحقيق النصوص شيئا ؛ ولذلك جاءت هذه المطبوعات في كثير من الأحيان مليئة بالتصحيف والتحريف ، نصوصها مضطربة مشوشة ، تبعد كثيرا عن الأصل الذي كتبه مؤلفوها .

ويعين على عملية تحقيق النص ، أن يتعقبه الباحث في مصادره الأولى ، ولا يقتنع به في أول مصدر تقع عليه عينه ، وبمعنى آخر لا يصح

للباحث أن يكتفى بالمصادر الثانوية في الموضوع ، وهي التي تستقى معلوماتها من مصادر أقدم منها ؛ فإذا ذكر أحد اللغويين المحدثين قولاً نقله عن « المزهري » للسيوطي مثلاً ، فإن على الباحث أن يرجع إلى كتاب « المزهري » نفسه ، فإذا رأى السيوطي ينقل هذا القول عن ابن جنبي مثلاً ، فإن عليه أن يبحث عن هذا النص في كتب ابن جنبي ، التي حفظتها لنا الأيام . ويعدّ ذلك في كثير من الأحيان مهمة صعبة ، إلا إذا نص السيوطي مثلاً على اسم كتاب ابن جنبي ، كالخصائص ، أو سر صناعة الإعراب ، أو غير ذلك .

وكلما عثر الباحث على النص الواحد في كتب متعددة ، كان أوثق لهذا النص ؛ لأن العبارة قد تصاب بتحريف في أحد المصادر ، فيقومها المصدر الثاني . ويكفي للتدليل على هذا مراجعة النص الذي اقتبسه السيوطي في القبائل التي تؤخذ عنها اللغة ، من كتاب الألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي^(١) في كتابيه : « المزهري » و « الاقتراح » ومقارنة كل واحد منهما بالآخر ، حتى يتبين لنا صدق هذا القول :

ففي المزهري : « ... فإنه لم يؤخذ لامن لحم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولامن تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان ؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبيشة^(٢) » .

(١) النص مختصر جدا في كتاب « الحروف » لأبي نصر الفارابي ، الذي نشره محسن

مهدي في بيروت ١٩٦٩ م .

(٢) المزهري للسيوطي ١ / ٢١٢

وفي الاقتراح : « ... فإنه لم يؤخذ لامن لحم ولا من جذام ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ، ولا من قضاة ، ولا من غسان ، ولا من إياد ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر ؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس ؛ لأنهم كانوا سكان البحرين ، مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبيشة (١) » .

وهكذا نرى من مقارنة النصين في كل من « المزهري » و « الاقتراح » أن كلمة : « اليمن » وكلمة : « للقبط » في المزهري ، تحريف لكلمتي : « النمر » و « للنبط » وهما في كتاب « الاقتراح » . وصحتهما أوضح من أن يساق عليها الدليل .

وقد يكون النص موجودا في كتب متعددة ، غير أنه منقول فيها كلها عن كتاب واحد محرف ، وحيث لا يغنى التعدد هنا شيئا . ومن أمثلة ذلك نص المزهري المحرف في الموضع السابق ، الذي أخذه بتحريفه دون فطنة إلى ذلك ، كل من الشيخ محمد علي الدسوقي في كتابه : تهذيب الألفاظ العامية (ص ٤٢) ، والمستشرق أوجست فيشر في كتابه : المعجم اللغوي التاريخي (ص ١٢ - ١٣) ، والأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه : القراءات واللهجات (ص ٢٩) ، والدكتور مهدي الخزومي في كتابه : مدرسة الكوفة (ص ٥٤) ، والدكتور صبحي الصالح في كتابه : دراسات في فقه اللغة (ص ١١٤) ، والدكتورة بنت الشاطيء في كتابها : لغتنا والحياة (ص ٣٢) والأستاذ

(١) الاقتراح للسيوطي ١٩

أحمد عبد الغفور عطار في كتابه : الفصحى والعامية (ص ٢٨) والدكتور إبراهيم السامرائى في كتاب : العربية بين أمسها وحاضرها (ص ٢٢) .
 وخلاصة القول أن الباحث إذا وجد في المصادر الثانوية ما يحتاجه ، فعليه أن يرجع به إلى المصادر الأصلية ، ليتحقق من صحته . وقد عودتني التجارب الكثيرة أن العودة إلى المصادر الأصلية ضرورية جدا ؛ لأن كثيرا من هذه المصادر الثانوية ، قد تسمى فهم المصدر الأصلي أحيانا ، أو يصيبها التصحيف والتحريف أحيانا أخرى .

وسأضرب هنا بعض الأمثلة من تجاربي في بحوثي المختلفة :

فقد رأيت في كتاب : « رابين » عن اللهجات القديمة في غربي الجزيرة العربية النص التالي (١) : «The dialect of Kab'az (sic) is reported to have pronounced saq instead of sāq (leg) Mukhaššaš 52»

وترجمته : « يروى عن قبيلة كَبَعَز أنها كانت تنطق : سَأَق بدلا من ساق (المخصص ٢ / ٥٢) .

وكان من الممكن أن اقتبس هذا النص ، للاستشهاد به على أنه إلى جانب قبيلة طيىء ، توجد قبيلة أخرى تسمى قبيلة « كبعز » تهمز الكلمات التي لا تستحق الهمز أصلا ، وهو ما يسمى لدى علماء الغرب : Overcorrectness أو Hyperurbanism وأسميه أنا بالحدلقة أو المبالغة في التفصح (٢) ، فإن الإحساس بأن نطق كلمة : « رأس » أو « ياكل » أو غيرهما ، نطق عامي يقابل النطق الفصيح : « رأس » و « يأكل » - هذا

(١) Rabin, Ancient West Arabian, p. 202

(٢) انظر : التطور اللغوى مظاهره وعقله وقوانينه ٧٩ — ٨٤ ولحن العامة والتطور اللغوى

الإحساس كان يقود أحيانا إلى الاعتقاد بأن حروف المدّ الأصلية ؛ مثل : « ساق » و « باز » و « موقد » (من أوقد) نطق عامى ، وأن الفصح فيه : « ساق » و « باز » و « موقد » عن طريق المبالغة فى التفصح .

أقول : كان من الممكن أن أقتبس نص Rabin السابق ، دليلا على أن قبيلة « كبعز » تبالغ فى التفصح فى ناحية الهمز ، تماما مثل قبيلة طيىء ، التى اشتهر عنها أنها تقول : « السؤدد » بدلا من : « السودد » (وهو من السيادة ، وفعله : ساد يسود ، فأصله الواو لا الهمز) ، غير أن المنهج العلمى يحتم على المرء هنا أن يرجع إلى المصدر الرئيسى ، الذى أخذ عنه Rabin هذه النقطة ، وهو كتاب « المخصص » لابن سيدة (٢ / ٥٢ : ٧) ، وبالرجوع إليه وجدت النص فيه كما يلى : « أما قراءة من قرأ : وكشفت عن ساقها ، فإنه همز ، لمشابهة الألف الهمزة ، وقيل : هى لغة كَبَّازٍ » ، أى أن همز كلمة : « ساق » لغة من اللغات العربية ، تماما مثل همز كلمة : « باز » عند من يهمزها بدلا من : « باز » بمعنى : صقر .

والذى أوقع Rabin فى هذا الخطأ ، أنه قرأ العبارة فيما يبدو : « وقيل هى لغة كَبَّازٍ » ، وعندما نقلها بحروفه اللاتينية ، استبدل بالرمز المصطلح عليه بين المستشرقين لكتابة الهمزة ، وهو : (د) رمز العين المصطلح عليه عندهم ، وهو رأس عين صغيرة (ء) سهوا منه ؛ وبذلك صارت الكلمة بالحروف اللاتينية : Kab'az ، غير أن Rabin قد شك فى وجود قبيلة عربية بهذا الاسم ، وهو مادعاه إلى أن يضع بعدها بين قوسين كلمة : (sic) ومعناها باللاتينية : « كذا وردت الكلمة ، ولم أتبين وجهها » .

وهكذا يتبين لنا بالطريق العملى ، كيف أن الرجوع إلى المصادر الأساسية ، ضرورى لتصحيح الخطأ ، الذى تقع فيه المصادر الثانوية أحيانا .

وهذا مثال آخر يبين ضرورة الرجوع إلى المصادر الأساسية ، فقد ذكر «فلوجل» Flügel في كتابه : « مدارس العرب النحوية » في ترجمة الكسائي (عن الفهرست لابن النديم) مايلي (١):

«Der Fihrist wiederum erzählt, dass er den Hörsaal des Mu ad al- Harra besucht, und während die übrigen Anwesenden einfache Überwürfe (حلل) über den blossen Körper trugen , (allein) mit einem röthlichen Mantel (كساء وردا) bekleidet war » .

وترجمة العبارة : « ويحكى الفهرست أيضا أنه (أى الكسائي) كان يحضر مجلس معاذ الهراء ، وكان سائر الحاضرين يرتدون الحلل على العرى ، أما هو فكان يرتدى وحده كساء أحمر » .

وإذا راجعنا نص الفهرست ، وجدنا فيه مايلي : « وإنما سمي الكسائي ؛ لأنه كان يحضر مجلس معاذ الهراء ، والناس عليهم الحلل ، وعليه كِساءٌ ورداءٌ (٢) » . وبمنا هنا العبارة الأخيرة ، وهى التى فهمها Flügel خطأ ، والظاهر أنه قرأ كلمة : « ورداء » (التى كتبت فى مخطوطة الفهرست ، التى كان يستخدمها ، بلا همزة) : « وِرْدًا » ، وفهمها على أنها صفة للكساء ، أى أنه كساء فى لون الورد ، فيكون أحمر اللون ، وفاته أنه لو كان الأمر كذلك ، لوجب أن تكون العبارة : « وعليه كساء وردى » !

ومن أمثلة المصادر الثانوية المضرة ، ما يوجد فى كتاب : « إعراب ثلاثين سورة » لابن خالويه ، من قوله : « قال عمرو بن بحر الجاحظ فى

(١) Flügel, Die grammatischen Schulen der Araber, S. 121

(٢) الفهرست لابن النديم ١٠٤

كتاب الحيوان : والتين والزيتون : دمشق وفلسطين (١) « ؛ فقد يظن من يكتفى بهذا النص ، أن الجاحظ يفسر التين والزيتون بهذا التفسير ، غير أن من يبحث عن هذا في كتاب الحيوان ، يجد الجاحظ يحكى هذا الرأى عن غيره ، ويرفضه ويهزأ به بشدة ؛ فيقول : « وقد قال الله عز وجل : والتين والزيتون ، فزعم زيد بن أسلم أن التين دمشق ، والزيتون فلسطين ، وللغالية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه ، وعن ذكره ، وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم ، وماتعرف دمشق إلا بدمشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين (٢) » ، ثم مضى الجاحظ بعد ذلك يعدد فوائد التين والزيتون ، وقال بعد ذلك : « وليس لهذا المقدار عظيمهما الله عز وجل ، وأقسم بهما ، ونوه بذكرهما » .

فأين من يعتمد على هذا النص في مصدره الأصيل ، ممن يعتمد على نص مبتور ، في مصدر ثانوى ، ينسب إلى الجاحظ رأياً لم يقل به ؟

ومثل ذلك ما فى الفهرست لابن النديم ، عند قوله فى ترجمة المبرد مانصه : « قال أبو سعيد رحمه الله : وقد نظر فى كتاب سيبويه فى عصره جماعة لم يكن لهم كتب عنه ، يعنى المبرد ، مثل أبى ذكوان القاسم بن إسماعيل ... (٣) » ، وذكر شخصين آخرين هما عسل بن ذكوان وأبو يعلى ابن زرعة .

وإذا كان الباحث العجلان يكتفى أحياناً بمثل هذا النص ، لينبئ عليه أحكاماً ، فيدعى أن أباً ذكوان وزميليه كانوا من تلامذة المبرد ، غير أنهم

(١) إعراب ثلاثين سورة ١٢٨

(٢) الحيوان للجاحظ ١ / ٢٠٨

(٣) الفهرست لابن النديم ٩٥٠

لم يؤلفوا كتباً أخذوا مادتها عن المبرد ، فإن ذلك كله خطأ ؛ إذ إنه ما قال أحد إن هؤلاء الثلاثة كانوا من تلامذة المبرد .

ويقضى المنهج العلمى فى هذه الحالة ، أن تبحث المصادر التى اعتمد عليها الفهرست فى هذه النقطة ، وقد رأينا النص يبدأ بعبارة : « قال أبو سعيد رحمه الله » ، فإذا عرفنا أن ابن النديم كان تلميذا لأبى سعيد السيرافى ، وأن هذا الأخير قد ألف كتابا سماه : « أخبار النحويين البصريين » ، كان علينا أن نبحث فيه عن النص الذى ذكره ابن النديم فى كتابه « الفهرست » ، وبالفعل نجد النص فى أخبار النحويين البصريين للسيرافى ، وفيه : « وقد كان من نظرائه (أى المبرد) فى عصره ، ممن قرأ كتاب سيويوه على المازنى : جماعة لم يكن لهم كنباهته ، مثل أبى ذكوان ... وعسل بن ذكوان ... وأبى يعلى بن أبى زرعة (١) » .

ومن هذه المراجعة للمصدر الأصيل للنص ، نعرف أن عبارة : « لم يكن لهم كتب عنه » المذكورة فى الفهرست ، ليست إلا تحريفا للعبارة الأصلية : « لم يكن لهم كنباهته » ، ويظهر أن السرّ فى هذا التحريف أن الألف فى : « نباهته » قصرت بعض الشئ ، وكذلك الهاء لم تكن واضحة تماما؛ فقرئت الكلمة لهذا السبب : « كتب عنه » .

ويطول بنا الحديث ، إذا ذهبنا نعرض الأمثلة الكثيرة ، التى تؤكد ضرورة تحقيق النص قبل استخدامه ، على أى نحو ، فى البحوث العلمية . هذا ، وترتبط فكرة الإلحاح على رؤية النص الواحد فى أكثر من مصدر ، للتحقق من صحته والاطمئنان إلى خلوه من التصحيف

(١) أخبار النحويين البصريين ٨٠

والتحريف ، بفكرة تخريج النصوص الشعرية ، فى النص الذى يراد نشره ؛ فقد سار جلة المحققين من المستشرقين والعرب ، على الاستقصاء فى هذه المسألة ، والتنبية على جمهرة المواضع التى ورد فيها هذا البيت أو ذاك فى المصادر التى بين أيديهم .

وقد يعيب بعض الناس هذا المنهج ؛ إذ يرون فيه مبالغة وإسرافا فى التخريج ، كما ينادى بعضهم بالاكْتفاء بمصدر أو بمصدرين ، ولاسيما فى الشعر المشهور المتداول .

ومادرى هؤلاء وأولئك أن هذا التخريج المستقصى ، قد يفيد باحثا أو محققا ، يجد أمامه هذا البيت أو ذاك فى سياق نثرى غير مفهوم ، إما لاختصار مغلّ فى العبارة ، وإما لتصحيف أو تحريف ، أصابا هذا النص فى كتاب مطبوع أو مخطوط ، والوسيلة المأمونة العاقبة فى مثل هذه الحالة ، هى البحث عن مثل هذا البيت فى مصادره المختلفة ، لعله يعثر فى بعضها على سياقه الخالى من الاضطراب والتشويش .

مثل هذا الباحث أو المحقق ، يحمّد لهذه الطريقة المستقصية فى تخريج الأشعار ، أن وضعت أمامه جمهرة مصادر البيت الذى يهّمه ، ووفرت له كثيرا من الجهد والمشقة .

وهذا مثال واحد يبين مدى صدق هذا القول ؛ ففى شرح قصيدة عدى بن الرقاع ، التى نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمنى ^(١) شرح البيت التالى :

وهي مناخٌ قَلَمًا نزلت به ومُصَمَّعاتٌ من بناتِ مِعَاهَا

(١) الطرائف الأدبية ص ٩٢ — ٩٧

بما يأتي : « ... مصمعات يعنى بعذاب ملرفات محدرات سعرات لعله (كذا) أكلها وشرها » .

كذا ساق الميمنى نص المخطوطة ، كما هو بتحريفه ، ولم يتبين وجه الصواب فيه ، فكتب بعده كلمة : (كذا) . ولو أتيح للأستاذ الميمنى أن يعرف مصادر هذا البيت ، لرأى فى سياق بعضها ، ما يعينه على إصلاح هذا التحريف ، الذى شوه وجه النص ؛ ففى لحن العوام للزبيدى : « وقال أبو نصر : أتانا بثريدة مصمعة ، إذا رفعها كالصومعة ، وحدد رأسها ، ويقال : بعرات مصمعات إذا كانت ملتزقات عطاشاً فيهن ضمور . وأنشد يعقوب لعدى بن الرقاع : ولها مناخ ... (١) » البيت .

وعلى ضوء نص « لحن العوام » يمكن إصلاح الخلل الواقع فى نص « الطرائف الأدبية » على النحو التالى : « مصمعات يعنى بعرات ملتزقات محددات يبعرات لقله أكلها وشرها » .

على أن الاكتفاء بمصدر أو بمصدرين ، قد يجر إلى ادعاء خطأ نسبة بيت ، وردت فى مصادر لم يرها المحقق ، أو القول بتحريف أو تصحيف فى رواية ، لم يجهد المحقق نفسه فى البحث عنها ، أو ترك التصحيف والتحريف كما هو ، لعثور عليه مرة أخرى فى مصدره الذى اكتفى به .

وقد وقعت أنا فى بعض ذلك ، عند تحقيقى كتاب : « لحن العوام » للزبيدى ؛ إذ ادعيت أن رواية بيت الفرزدق :

وعض زمانٍ يابن مروانٍ لم يدعُ من المال إلا مُسَحَّتاً أو مُجَرَّفُ
محرفة فى ديوانه ، وأن الصواب : « مجلَّف (٢) » .

(١) لحن العوام للزبيدى ١٧٢

(٢) لحن العوام للزبيدى ١٣٩

غير أن من يطلع على كتاب « الإبدال » لأبي الطيب اللغوى ، يعرف أن البيت يقال بالروايتين : « مجلّف » ، أو « مجرّف (١) » !
هذه هى بعض علامات على الطريق ، تسندها خبرة متواضعة فى معالجة النصوص ، وتجارب شاقة فى ميدان البحث العلمى .

★ ★ ★

الفصل الثاني مصادر كتاب "المزهر" للسيوطي

كتاب « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » أشهر كتب جلال الدين السيوطي اللغوية ، بل إنه أشهر كتب فقه اللغة في العربية ، جمع فيه مؤلفه حصاد القرون الطويلة ، التي سبقته في الدراسات اللغوية عند العرب ، واستوعب فيه كل ماوصلت إليه يده من مؤلفات السابقين ، في القضايا التي أثارها في كتابه ، بدءاً من حديثه عن أصل اللغة ونشأتها ، ومروراً بطرق تحمل العلم باللغة ، ومعرفة الفصيح والمطرّد والشاذ والنادر ، والمعرّب والمولّد ، وخصائص العربية في ظواهر الاشتقاق والحقيقة والمجاز ، والمشترك والتضاد والترادف ، والإتباع والإبدال ، والقلب والنحت ، والمثنى والمكنى والمبنى ، والملاحن والألغاز ، والأشباه والنظائر ... وانتهاء بالحديث عن آداب اللغوى ، ومعرفة ماينتاب كتابة اللغة من التصحيف والتحريف ، وطبقات اللغويين وأسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، وأغلاط الشعراء والرواة وأكاذيب الأعراب ، وما إلى ذلك .

ولقد بلغت مصادر السيوطي في هذا الكتاب مائتي مصدر ، يعود أقدمها إلى القرن الثاني الهجري ، كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأحدثها إلى الفيروزابادي المتوفى (سنة ٨١٧ هـ) قبل السيوطي بحوالى قرن من الزمان .

وقد أتى السيوطي على الكثير من محتويات بعض هذه الكتب ، فنقلها إلى مزهره ؛ فقد نقل أكثر ما في كتاب « الإبدال » لابن السكيت ، ثم قال : « هذا غالب ماأورده ابن السكيت ، وبقيت منه أحرف أخرى ، أخرتها

إلى النوع السابع والثلاثين والذي يليه، وفاتّ ابن السكيت ألفاظ جمّة مفرقة في كتب اللغة . ومن أهم مافاتّه الإبدال بين السين والصاد ؛ نحو : السراط والصرط (١) .

ومعنى هذا النص أن السيوطي ، لم يكن ينقل ما في مصادره ، نقلا عشوائيا ، وإنما هو نقل واع يتبع منهجا وتخطيطا بالغ الدقة .

ومثل ذلك أيضا نقله ما ذكره الفيروزآبادي من أسماء العسل في كتابه : « تزيين الأسئل لتصفيق العسل » ، وقوله بعد أن انتهى منه : « قلت : ما استوفى أحد مثل هذا الاستيفاء ، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ (٢) » ، ثم استكمل هذه الألفاظ من أمالي القالي ، وأمالي الزجاجي (٣) .

ويشبه هذا أيضا صنيعه مع كتاب « المثني والمبني » لابن السكيت ؛ فقد نقل منه عشر صفحات كاملة ، ثم قال : « هذا ما أورده ابن السكيت في هذا الباب ، وقد جمع فأوعى ، ومع ذلك فقد فاتته ألفاظ (٤) » . وقد استدرك السيوطي هذا الفئات من ديوان الأدب ، والغريب المصنف ، والجمهرة ، وغيرها .

وأحيانا ينقل السيوطي فصولا كاملة من مصادره ، كما فعل ذلك حين نقل الفصلين الرابع والخامس من كتاب : « لمع الأدلة » لأبي البركات بن

(١) الزهر ١/٤٦٩

(٢) في الأصل : « الزجاج » وهو تحريف

(٣) الزهر ١/٤٠٩

(٤) الزهر ٢/١٨٢

الأنبارى (٨٣ — ٨٤) بالحرف الواحد^(١). وكما فعل في باب: « ذكر ماجاء على فُعالة » ؛ إذ نقله كله من « الغريب المصنف » لأبى عبيد ، وقال في آخره : « هذا جميع ما فى الغريب المصنف^(٢) » .

وفى بعض الأحيان يلخص السيوطى ما فى مصادره تلخيصا شديدا ، كما فعل حين لخص كتاب « مراتب النحويين » لأبى الطيب اللغوى ، فى عشرين صفحة ، وقال فى آخرها : « انتهى كلام أبى الطيب فى كتاب مراتب النحويين ملخصا^(٣) » . وهو لا يغفل الإشارة إلى ما لخصه من نصوص مصادره ، كما رأينا فى العبارة السابقة ، وكقوله فى موضع آخر مثلا : « انتهى كلام ابن جنى ملخصا^(٤) » .

وقد نثر السيوطى كثيرا من مسائل « الصحابى » لابن فارس ، و « الخصائص » لابن جنى فى مزهره ؛ فقد نقل عن الأول ست صفحات كاملة فى أحد المواضع ، ثم قال : « هذا كله كلام ابن فارس^(٥) » . كما أكثر من النقل عنه فى افتتاحيات كثير من أبوابه^(٦). وقد نص السيوطى على استفادته الكاملة من هذا الكتاب ، فقال مرة : « قلت : قد رأيت نسخة من هذا الكتاب مقروءة على المصنف ، وعليها خطه ، وقد نقلت غالب ما فيه فى هذا الكتاب^(٧) » . كما نقل عن « الخصائص » كثيرا كذلك ؛ إذ نقل منه ست صفحات فى أصل اللغة ، وقال فى آخرها : « هذا كله كلام ابن

(١) المزهر ١/١١٣/١١٤

(٢) المزهر ٢/١١٩ - ١٢٠

(٣) المزهر ٢/٣٩٥ - ٤١٤

(٤) المزهر ١/٣٥٩

(٥) المزهر ١/٦٦ - ٧١

(٦) المزهر ١/٣٢١ - ٣٤٥

(٧) المزهر ١/٤٠٣

جنى (١) . وهناك نقل آخر في سبع صفحات في موضوع : المهمل والمستعمل ، قال بعده : « انتهى كلام ابن جنى (٢) » وفي باب : سقطات العلماء ، نقل عنه اثنتي عشرة صفحة ، وقال : « انتهى ما أورده ابن جنى (٣) » .

ومن أمثلة النقل المطول عن المصادر ، نقله رسالة في حوالى ثلاثين صفحة (٤) ، من ديوان رسائل الشريف أبي القاسم على بن الحسين المصرى ، فى الألغاز اللغوية ، ثم نقله المقامة الثانية والثلاثين فى الألغاز من مقامات الحريرى كاملة (٥) .

ومع تطويله النقل عن بعض المصادر على هذا النحو ، نراه لا يستخدم فى بعض الأحيان كل الكتب المتخصصة فى الموضوع الذى يكتب فيه ؛ ففى موضوع : « المشجر » مثلا ، لم يستخدم السيوطى كتاب : « المداخل » لأبى عمر الزاهد (٣٤٥ هـ) ، ولا كتاب : « المسلسل » لأبى الطاهر التميمى (٥٣٨ هـ) . وفى موضوع : « الإتياع » لم يستخدم كتاب : « الإتياع » لأبى الطيب اللغوى (٣٥١ هـ) . وكذلك فى موضوع : « الإبدال » لم يفد من كتاب : « الإبدال » لأبى الطيب اللغوى شيئا . ونراه كذلك فى موضوع : « الأمثال » لا يستخدم بعض الكتب المهمة ؛ مثل : « جمهرة الأمثال » لأبى هلال العسكري (٣٩٥ هـ) و « مجمع الأمثال » للميدانى (٥١٨ هـ) و « المستقصى » للزمخشري (٥٣٨ هـ) وغير ذلك .

★ ★ ★

(١) الزهر ١٠/١ - ١٦

(٢) الزهر ٢٤٠/١ - ٢٤٧

(٣) الزهر ٣٦٩/٢ - ٣٨١

(٤) الزهر ٥٩١/١ - ٦٢١

(٥) الزهر ٦٢٢/١ - ٦٣٥

وتنقسم مصادر السيوطى فى مزهره ، إلى أنواع شتى من حيث التخصص ، على النحو التالى :

١ — كتب فى فقه اللغة ، كالصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ، والخصائص لابن جنى .

٢ — معاجم عربية مرتبة على الموضوعات ؛ مثل : الغرب المصنف لأبى عبید القاسم بن سلام ، وفقه اللغة للثعالبى (١) . أو مرتبة على الخارج ؛ مثل : العين للخليل بن أحمد ، ومختصره لأبى بكر الرئيدى ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، واستدراك الغلط الواقع فى كتاب العين للرئيدى . أو مرتبة ترتيباً هجائياً أو على المباني ؛ مثل : الصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، والعباب للصاغاني ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وديوان الأدب للفارابى ، والمجمل لابن فارس .

٣ — كتب لغوية متخصصة فى موضوع واحد ؛ مثل : الإبدال لابن السكيت ، والأيام والليالى للفراء ، ومااتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ، والمقصور والممدود لابن ولاد ، والأضداد لأبى بكر بن الأنبارى ، والإتباع لابن فارس ، وشجر الدر لأبى الطيب اللغوى ، والمقصور والممدود لأبى على القالى ، وما جاء على فعّال للصاغاني ، والمثنى لأبى الطيب اللغوى ، والموازنة لحمزة بن الحسن الإصفهاني ، وخلق الإنسان للصاغاني ، والأجناس للأصمعي ، والمقصور والممدود لابن السكيت ، والفروق لأبى الطيب اللغوى ، والأصوات لابن السكيت ، والليل والنهار لأبى حاتم السجستاني .

٤ — كتب فى النحو والصرف ؛ مثل : الكتاب لسيبويه ، وأصول

(١) يلاحظ أن السيوطى لم يستخدم معجماهما من معاجم الموضوعات ، وهو «الخصص» لابن سيده .

النحو لابن السراج ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ، والتسهيل لابن مالك ،
ولمع الأدلة لأبي البركات بن الأنباري ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، وسفر
السعادة للسخاوي ، والإنصاف لأبي البركات بن الأنباري ، وشرح فصول
ابن معط لابن إياز ، والغرة في شرح اللمع لابن الدهان ، وشرح المفصل
للسخاوي ، وشرح الشافية للجاربردى .

٥ — كتب في لحن العامة ؛ مثل : إصلاح المنطق لابن السكيت ،
وتهذيبه للخطيب التبريزي ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي
والزجاجي ، والفصيح لثعلب ، وشرحه لابن درستويه والمرزوق وابن خالويه
والبطليوسي ، وذيله للموفق البغدادي .

٦ — كتب الأمالي ؛ مثل : أمالي ثعلب المعروفة بمجالس ثعلب ،
والأمالي لأبي علي القالي ، وأمالي الزجاجي ، وأمالي ابن دريد ، وأمالي أبي
عبيد .

٧ — كتب النوادر ؛ كالكتب التي ألفها كل من أبي زيد
الأنصاري ، وأبي محمد اليزيدي ، وابن الأعرابي ، ويونس بن حبيب ، وأبي
عمرو الشيباني ، والنجيمي .

٨ — دواوين الأدب والمجاميع الشعرية ؛ مثل : يتيمة الدهر للثعالبي ،
والأغانى لأبي الفرج الإصفهاني ، والكامل للمبرد ، وشرح المعلقات لأبي
جعفر النحاس ، وربيع الأبرار للزحشرى ، ومقامات الحريري ، ونشوار المحاضرة
للتنوخى ، وشرح شعر هذيل للسكري ، والحمقى والمغفلين لابن الجوزي ،
وجمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب ، وأيام العرب لأبي عبيدة ،
وشرح المقامات للمطرزي والنحاس وسلامة الأنباري ، وشرح كامل المبرد
لأبي إسحاق البطليوسي .

٩ — مجاميع أمثال العرب ؛ مثل : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري ، وجامع الأمثال لأبي علي أحمد بن إسماعيل القمي .

١٠ — كتب في البلاغة والنقد القديم ؛ مثل : الإيضاح للقزويني ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني ، وسر الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشيقي ، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ، والطريق إلى الفصاحة لابن النفيس .

١١ — كتب في الأصول والفقہ ؛ مثل : شرح منهاج الأصول للإسنوي ، والمحصول لفخر الدين الرازي ، والوصول إلى الأصول لأبي الفتح ابن برهان ، وشرح منهاج البيضاوي لتاج الدين السبكي ، وشرح المحصول للقرافي ، والمخلص في أصول الفقہ للقاضي عبد الوهاب السبكي ، والروضة للإمام النووي .

١٢ — كتب في التفسير ؛ مثل : تفسير الطبري ، والبحر المحيط للزرکشي ، والتفسير لوکیع ، والتفسير لابن جزّي .

١٣ — كتب في الحديث ؛ مثل : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والمستدرک للحاکم ، وشعب الإيمان للبيهقي ، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والأدب المفرد للبخاري ، ومسند أحمد بن حنبل .

١٤ — كتب في التراجم والطبقات ؛ مثل : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، ومن سمي عمرا من الشعراء لابن الجراح ، والمؤتلف والمختلف للآمدي .

١٥ - كتب تاريخية؛ مثل : تاريخ دمشق لابن عساكر ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ حلب للكمال بن العديم ، وتاريخ المسعودي (مروج الذهب) ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار .

هذه هي جمهرة المصادر التي رجع إليها جلال الدين السيوطي ، في تأليف موسوعته اللغوية : « المزهرة في علوم اللغة وأنواعها » . وبعض هذه المصادر مفقود لوجوده له الآن ؛ مثل : الأجناس للأصمعي ، والأصوات لابن السكيت ، والليل والنهار لأبي حاتم السجستاني ، والفروق لأبي الطيب اللغوي ، وشرح الفصيح لابن خالويه ، وأيام العرب لأبي عبيدة ، والنوادر لأبي عمرو الشيباني ، والنوادر ليونس بن حبيب .

وهذا الكتاب الأخير كان قليل الوجود في عصر ابن مكتوم (٧٤٩هـ) ؛ إذ قال عنه السيوطي في المزهرة : « وفي النوادر ليونس ، رواية محمد بن سلام الجمحي عنه - وهذا الكتاب لم أقف عليه ، إلا أني وقفت على منتقى منه ، بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوي ، وقال عنه : إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود (١) » .

وبعض مصادر السيوطي في مزهره ، لا يزال مخطوطا ينتظر من يحققه وينشره ، وينفض غبار الزمن عنه ، مستعينا على تحقيقه بالنصوص التي اقتبسها السيوطي منه ؛ مثل : الموازنة لحمزة بن الحسن الإصبهاني ، وشرح المفصل للسخاوي ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار . ومن المصادر المخطوطة

ماهو تحت الطبع ، بعد أن اشتغل بتحقيقها بعض المعاصرين ؛ مثل : العين للخليل بن أحمد ، والمقصور والمدود للقالى ، والغريب المصنف لأبى عبيد ، وارتشاف الضرب لأبى حيان ، وسفر السعادة للسخاوى ، والأمالى لابن دريد ، والنوادر لابن الأعرابى .

ومن المصادر مارآه السيوطى ، ثم افتقده فى أثناء تأليفه للمزهر ، كهذا الكتاب الذى ذكره فى النوع السابع والثلاثين ، فى معرفة ماورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف ؛ فقال : « وقد رأيت من عدة سنين فى هذا النوع مؤلفا فى مجلد ، لم يكتب عليه اسم مؤلفه ، ولا هو عندى الآن حال تأليف هذا الكتاب . ورأيت لصاحب القاموس تأليفا سماه : تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين ، ولم يحضر عندى الآن ... فأعملت فكرى فى استخراج أمثله ذلك من كتب اللغة (١) » .

وكتاب : « فتيا فقيه العرب » لابن فارس ، الذى نشره حسين على محفوظ ، بدمشق سنة ١٩٥٨ م ، كان عند السيوطى كذلك ، ثم افتقده عند تأليف المزهر ؛ فقال : « وقد ألف ابن فارس تأليفا لطيفا فى كراسة ، سماه بهذا الاسم (فتيا فقيه العرب) رأيتة قديما ، وليس هو الآن عندى ... فنذكر ماوقع من ذلك فى مقامات الحريرى ، ثم إن ظفرت بكتاب ابن فارس ، ألحقت مافيه (٢) » . ويبدو أن السيوطى لم يظفر بهذا الكتاب مرة أخرى ، حتى مات رحمه الله .

ومثل ذلك يتحدث السيوطى عن كتاب : « ليس فى كلام العرب »

(١) المزهر ١/٥٣٧

(٢) المزهر ١/٦٢٢

لابن خالويه ؛ فيقول في باب : معرفة الأشباه والنظائر ^(١) : « هذا نوع مهم ينبغي الاعتناء به ، فبه تعرف نوادر اللغة وشواردها ، ولايقوم به إلا مضطلع بالفن واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة . وقد ألف ابن خالويه كتابا حافلا ، في ثلاثة مجلدات ضخومات ، سماه : كتاب ليس ، موضوعه : ليس في اللغة كذا إلا كذا . وقد طالعه قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الآن . وأنا أذكر إن شاء الله في هذا النوع ، مايقضى فيه الناظر العجب ، وآت فيه ببدائع وغرائب ، إذا وقع عليها الحافظ المطلع ، يقول : هذا منتهى الأرب »

وهذا أحد المواضيع التي يظهر فيها أسلوب السيوطي ، في التقديم لأبواب المزهرة المختلفة . أما الفوائد التي انتقاها من كتاب : « ليس » لابن خالويه قديما ، فتظهر منثورة هنا وهناك في المزهرة ، ومنها في أحد المواضيع اثنتا عشرة صفحة ، قال في آخرها : « هذا آخر المنتقى من كتاب ليس لابن خالويه ^(٢) » .

وبعض مصادر « المزهرة » كانت عند السيوطي بخطوط مؤلفيها ؛ فقد ذكر أنه رأى تاريخ حلب للكمال بن العديم بخطه ^(٣) ، كما كانت عنده تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم القيسي بخطه ^(٤) ، وكانت عنده ثلاثة كتب للنجمي كلها بخطه ، وهي : التعليق ^(٥) ، والفوائد ^(٦) ،

(١) المزهرة ٣/٢

(٢) المزهرة ٧٨/٢ - ٩٠

(٣) المزهرة ٢٢٥/٢

(٤) انظر : المزهرة ٢٧٥/١ ؛ ٤٢١/١

(٥) المزهرة ٣٨٢/١

(٦) المزهرة ٣٠٤/٢

والنوادير^(١) ، كما نقل « من خط الشيخ بدر الدين الزركشي في كراسة له سماها : عمل من طَبَّ لمن حَبَّ »^(٢) .

وتبلغ نسبة النصوص المنقولة عن كتب مفقودة ، في « المزهر » حوالي ٤٠ ٪ من حجم الكتاب . ومن هنا تبدو قيمة كتاب « المزهر » للسيوطي ، الذي حفظ لنا نصوصا كثيرة ، ضاعت أصولها ولم تصل إلينا . وهو في مثل هذه النصوص ، يعدّ مصدرا أصيلا في البحث العلمي .

وتختلف معاملة للسيوطي لمصادره من مؤلف إلى مؤلف ، فهو أحيانا ينقل نقلا حرفيا مأماما من نصوص في مصادره ، مثلما ذكرناه من قبل ، من نقله الفصلين الرابع والخامس من كتاب : « لمع الأدلة » لابن الأنباري ، بالحرف الواحد .

وأحيانا يتصرف ، ويقدم ويؤخر ، ويحذف ويختصر ، كما فعل في باب : « الأضداد »^(٣) الذي نقله من كتاب : « الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام ؛ فإننا إذا طالعنا هذا الكتاب الأخير ، رأينا أبا عبيد يروي في باب الأضداد منه عن أبي زيد ، ثم عن اليزيدي ، ثم عن أبي زيد مرة ثانية ، ثم عن الأصمعي ، ثم عن أبي عبيدة ، ثم عن الكسائي ، ثم عن أبي زيد مرة ثالثة ، ثم عن الكسائي مرة ثانية ، ثم عن الأموي ، ثم عن الأصمعي مرة ثانية ، ثم عن أبي عبيدة مرة ثانية ، ثم عن أبي عمرو ، ثم عن أبي عبيدة مرة ثالثة ، ثم عن الأحمر ، ثم عن الأصمعي مرة ثالثة ، ثم عن أبي عبيدة مرة رابعة ، ثم عن

(١) المزهر ٢/٢٩١

(٢) المزهر ٢/٣٦٦

(٣) المزهر ١/٣٨٩ - ٣٩١

الأصمعي مرة رابعة ، ثم عن أبي عبيدة مرة خامسة ، ثم عن الكسائي مرة
ثالثة . وهكذا ينتهى الباب .

أما السيوطى ، فإنه جمع آراء كل عالم بعضها إلى بعض ، فبدأ بأبى
زيد ، فالأصمعي ، فأبى عبيدة ، فالكسائي ، فالأموى ، فأبى عمرو ،
فالأحمر . أما أبو عبيد فإنه كان — فيما يبدو — يدون في غريبه المصنف ،
مأسمعه من شيوخه ، حسبما كان يقع إليه هذا المسموع يوماً بعد يوم . هذا
إلى أن السيوطى ، حذف كلام اليزيدى ، والشواهد الشعرية المختلفة ، التى
يتملىء بها الغريب المصنف ، فى هذا الباب .

★ ★ ★

وبعد ... فماذا للسيوطى فى كتابه : « الزهر » ؟ إن له أولاً فضل
جمع الجزئيات الصغيرة من هنا وهناك ، فى الموضوع الذى يكتبه . وهو يعزو
كل قول إلى صاحبه فى أمانة علمية فائقة . وإذا كانت تلك عاداته فى كل
نقوله هنا وهناك ، فإننا لاندرى السرّ الذى جعله يجهل مصدره فى تلك
المواضع القليلة جدا فى كتابه ؛ كقوله مثلاً : « وقال بعضهم ^(١) » ، أو :
« وفى بعض المجاميع ^(٢) أو : « قال أهل الأصول ^(٣) » ، أو : « قال المعرى فى
بعض كتبه ^(٤) » ، أو : « قال صاحب زاد المسافر ^(٥) » أو : « رأيت لهذه
الآيات شرحاً فى كراسة ^(٦) » .

(١) الزهر ٩٤/١ ؛ ٢٧٤/١ ؛ ٢٨٦/٢ وفى الموضوع الأخير ذكر السيوطى قصيدة توجد
فى المقامة السادسة والأربعين من مقامات الحريرى ، وهى المقامة الحلبية . ولا ندرى السرّ فى إغفاله
مصدره هنا !؟

(٢) الزهر ٣٦٨/٢

(٣) الزهر ٣٦٨/١ ؛ ٣٨٧/١ ؛ ٤٠٥/١

(٤) الزهر ١٠٥/٢

(٥) الزهر ٣٥١/١

(٦) الزهر ٣٨٠/١

ولم يخل كتاب : « المزهَر » بإضافة إلى هذا الجمع الدعوب ، والترتيب المعجب الرائق ، من خطرات هنا وهناك للمؤلف تعزى إليه وحده ، وهى فى بعض الأحيان رأى له ، واجتهاد وصل إليه بثاقب فكره ، وطول خبرته باللغة .

فهو يدخل أحيانا بجمل اعتراضية ، تفسر مبهما ، أو تشرح غامضا ، أو تضيف جديدا ؛ كقوله مثلا : « وقال ابن جنى فى الخصائص — وكان هو وشيخه أبو على الفارسى معتزليين (١) » ، وتوضيحه اسم إساعيل بن القاسم البغدادى ، بأنه « هو أبو على القالى (٢) » ، وتعليقه على تعليم آدم للملائكة أسماء الأشياء ، بأن « فى هذا فضيلة عظيمة ، ومنقبة شريفة لعلم اللغة (٣) » ، ووصفه الراغب الإصفهانى بأنه « من أئمة السنة والبلاغة (٤) » ، وتعليقه على قول السيرافى إن الخليل بن أحمد عمل أول كتاب العين ، بأن « هذه العبارة من السيرافى صريحة فى أن الخليل لم يكمل كتاب العين ، وهو الظاهر لما سياتى من نقل كلام الناس فى الطعن فيه ، بل أكثر الناس أنكروا كونه من تصنيف الخليل (٥) » .

وليست كل تعليقات السيوطى على هذا النحو من الاختصار . وهذه تعليقه طويلة ، يعرفنا فيها بقراءته لكتاب : « استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين للزبيدى » ، ويذكر لنا محتواه ؛ فيقول : « قلت : وقد طالعتة إلى

(١) المزهَر ١/١٠

(٢) المزهَر ١/٨٣

(٣) المزهَر ١/٣٠

(٤) المزهَر ١/٢٠١

(٥) المزهَر ١/٧٦

آخره ، فرأيت وجه التخطئة فيما حُطّيء فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك . وبعضه ادّعى فيه التصحيف . وأما أنه يخطأ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال : هذه اللفظة كذب ، أو لاتعرف ، فمعاذ الله . وحينئذ لاقدح في كتاب العين ؛ لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف ، وهذا أمر هين ؛ لأن حاصله أن يقال : الأوّلَى نقل هذه اللفظة من هذا الباب ، وإيرادها في هذا الباب ، وهذا الأمر سهل ، وإن كان مقام الخليل يُنزه عن ارتكاب مثل ذلك ، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب والاعتماد عليه في نقل اللغة . والثاني : إن سلّم ما ادّعى من التصحيف ، يقال فيه ماقالته الأئمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيف ؟ مع أنه قليل جدا (١) .

ولا تخلو تعليقات السيوطي من الردّ على ما لم يعجبه من آراء العلماء ، وتفنيدها بالحجج والبراهين ، مثلما ردّ على ابن جنى قدحه في جمهرة اللغة لابن دريد ؛ فقال : « قلت : مقصوده الفساد من حيث أبنية الصرف ، وذكر المواد في غير محالها ... ولهذا قال : أعذِرُ واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ، يعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف ، وإن كان طويل الباع في اللغة . وكان ابن جنى في التصريف إماما لايشق غباره ؛ فلذا قال ذلك (٢) . »

وكارد على الأزهرى قدحه في ابن دريد ، ورميه بافتعال العربية وتوليد الألفاظ ، وأنه سأل عنه نبطويه ، فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، فقال :

(١) المزهر ١/٨٦

(٢) المزهر ١/٩٣

« قلت : معاذ الله ! هو برىء مما رمى به . ومن طالع الجمهرة رأى تَحْرِيبُهُ في روايته ، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يعرف منه ذلك . ولا يُقبل فيه طعن نفطويه ؛ لأنه كانت بينهما منافرة عظيمة ... وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح ^(١) . »

وكذلك رد على الفخر الرازي ، حين ذكر أن أهل اللغة أهملوا البحث عن أحوال اللغات ورواتها جرحاً وتعديلاً ؛ فقال : « وأقول : بل الجواب الحق عن هذا ، أن أهل اللغة والأخبار ، لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات ، ورواتها جَرَحاً وتعديلاً ، بل فحصوا ذلك وبينوه ، كما بينوا ذلك في رواية الأخبار . ومن طالع الكتب المؤلفة في طبقات اللغويين والنحاة وأخبارهم وجد ذلك . وقد ألف أبو الطيب اللغوي كتاب : مراتب النحويين ، بين فيه ذلك ، وميَّز أهل الصدق من أهل الكذب والوضع ^(٢) . »

وحين قال أبو الطيب في هذا الكتاب ، عن أبي عبيد القاسم بن سلام : « ولا نعلمه سمع من أبي زيد شيئاً » ، ردّ عليه السيوطي فقال : « قلت : قد صرح في عدّة مواطن من الغريب المصنف بسماعه منه ^(٣) . »

وتبدو سعة علم السيوطي ، حين يهمل مصدره تفسير شيء ما ، فيعثر عليه السيوطي مفسّراً في كتاب آخر فيذكره ، كقوله مثلاً : « وقال ابن ولاد في المقصور والمدود : عُشُورًا ، بضم العين والشين . زعم سيبويه أنه لم يُعلم في الكلام شيء على وزنه ، ولم يذكر تفسيره ... قلت : ذكر القالي في

(١) المزهري ٩٣/١ - ٩٤

(٢) المزهري ١٢٠/١

(٣) المزهري ٤١٢/٢

كتاب : المقصور والممدود أن العشورا : العاشوراء . قال : وهى
معروفة^(١) .

وهو كثير التخريج لنصوص مصادره ، من أجل توثيقها ؛ فقد خرج
في أحد المواضع مجموعة من الأخبار التى نقلها من كتاب : « الصحاحى »
لابن فارس ، فى المصاحف لابن أشته ، والمستدرک للحاکم ، والأوائل لأبى
هلال العسکرى ، والطیوريات لأبى طاهر السلفى ، والمصاحف لأبى بکر
ابن أبى داود ، ومسند أحمد بن حنبل^(٢) . وفى موضع آخر خرج حکایة
رواها عن تصحيف العسکرى ، فى معجم الأدباء لياقوت ، والحمقى
والمغفلين لابن الجوزى^(٣) .

وهو فى تعليقاته حریص کل الحرص على توثيق نقوله ، بذکر خطوط
العلماء الذین نقل عنهم ؛ کقوله مثلا : « وجدت هذه الحکایة ، مکتوبة
بخط القاضى مجد الدین الفیروزابادى صاحب القاموس ، على ظهر نسخة
من العباب للصاغانى ، ونقلها من خطه تلميذه أبو حامد محمد بن الضیاء
الحنفى ، ونقلتها من خطه^(٤) » . بل إنه ليعلمنا فى بعض هذه التعليقات ،
بملکيته لنسخة ثمينة من جمهرة اللغة مقروءة على العلماء ؛ فيقول : « قلت :
ظفرت بنسخة من الجمهرة بخط أبى التمر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس
الطرابلسى اللغوى ، وقد قرأها على ابن خالويه ، بروايته لها عن ابن دريد ،
وکتب عليها حواشى من استدراك ابن خالويه على مواضع منها ، ونبه على

(١) المزهري ١/١٦٩

(٢) المزهري ٢/٣٤١ - ٣٤٣

(٣) المزهري ٢/٣٥٤

(٤) المزهري ١/٩٥

بعض أوهام وتصحيفات ^(١) . وهو في أحد الموضوع يقابل نسختين من كتاب الجمهرة ؛ فيقول : « وقال ابن دريد في الجمهرة : باب ماتكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغز . وفي نسخة : حتى صار كاللغة ^(٢) . »

ويبدو في بعض تعليقات السيوطي ، استدراكه المكمل لبعض المؤلفات السابقة فقد استدرك على القاموس المحيط أشياء ، وقال : « قلت : ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للنوادر والشوارد ، فقد فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة ، حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلا عليه ^(٣) . » كما استدرك على كتاب : « الإتياع » لابن فارس ، وقال : « وقد ألف ابن فارس تأليفا مستقلا في الإتياع ، وقد رأيت مرتبا على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره . وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه مافاته ، في تأليف لطيف سميته : الإلماع في الإتياع ^(٤) . »

وهو أحيانا يذكر الأقوال المناظرة لما هو فيه ، فبعد أن ذكر عن « الصاحبى » لابن فارس ، أن ابن خالويه قال : جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين ، قال : قلت : ونظير ذلك في فقه اللغة للثعالبي : قد جمع حمزة بن الحسن الإصبهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي . قال : ومن العجائب أن أمة وسمت معنى واحدا بمعين من الألفاظ ^(٥) . »

(١) الزهر ٩٥/١

(٢) الزهر ٢٧٩/١ وفي الجمهرة ٤٩٩/٣ : « كاللغة » !

(٣) الزهر ١٠٣/١

(٤) الزهر ٤١٤/١ ويحمل قوله (٤٢٠/١) : « وفي كتاب إلماع الإتياع لابن فارس » على

السهو !

(٥) الزهر : ٣٢٥/١

ونرى من بعض تعليقات السيوطي ، كيف أن علمه — رحمه الله — كان ينمو بكثرة الاطلاع على المصادر المختلفة بمرور الأيام ؛ فهذه فائدة استفادها من جمهرة اللغة ، كان قد سئل عنها فلم يعرفها ، يقول : « وهذه فائدة لطيفة ، لم أرها إلا في الجمهرة ، فكانت العرب تسمى : صفر الأول وصفر الثاني ، وربيع الأول ، وربيع الثاني ، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، فلما جاء الإسلام وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسب ، سماه النبي ﷺ شهر الله المحرم ... وبذلك عرفت النكتة في قوله : شهر الله . ولم يرد مثل ذلك في بقية الأشهر ولا رمضان . وقد كنت سئلت من مدة عن النكتة في ذلك ، ولم يحضرنى فيها شيء ، حتى وقفت على كلام ابن دريد هذا (١) . »

وهذه فائدة أخرى وجدها السيوطي عند ثعلب ، بعد أن طال سؤاله عنها ؛ فقد قال بعد أن روى عن ثعلب في أماليه شرحاً للمثل : « لا يدري الحَيِّ من اللَيِّ » أي لا يعرف الكلام البين من الكلام غير البين : « قلت : رضى الله عن سيدي عمر بن الفارض ، ما كان أوسع علمه باللغة ! قال في قصيدته الياثية :

صار وصفُ الضُرِّ ذاتياً له عن عناءِ والكلامُ الحَيُّ لَيِّ

ولما شرحت قصيدته هذه ما وجدت من يعرف منها إلا القليل . ولقد سألت خلقاً من الصوفية عن معنى قوله : « والكلام الحَيُّ لَيِّ » ، فلم أجد من يعرف معناه ، حتى رأيت هذا الكلام في أمالي ثعلب (٢) .

ولم تخل بعض تعليقات السيوطي من الوهم . ومن ذلك اعتقاده أن

(١) الزهر ١/٣٠٠ - ٣٠١

(٢) الزهر ١/٥٠١

كلمة : « السبت » تعنى فى أصل اللغة : « الدهر » ؛ فقال فى موضوع العام الذى خصص : « ثم رأيت له مثالا فى غاية الحسن ، وهو لفظ : (السبت) ، فإنه فى اللغة : الدهر ، ثم خصص فى الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع ، وهو فرد من أفراد الدهر (١) » .

والحقيقة أن « السبت » كلمة معربة عن العبرية :

שַׁבָּת *šabbāt* ومعناها : الراحة !

ولكن تلك الأوهام لاتقلل من قيمة الفوائد الجليلة ، التى نثرها فى صفحات كتابه الضخم ؛ كقوله مثلا : « فائدة : حيث أطلق أبو عبيد فى الغريب المصنف أبو عمرو فهو الشيباني ، فإن أراد أبو عمرو بن العلاء قيده . وحيث أطلق النحاة أبو عمرو فمرادهم ابنُ العلاء . وحيث أطلق البصريون أبا العباس فالمراد به المبرد ، وحيث أطلقه الكوفيون فالمراد به ثعلب (٢) » .
ومن تعليقات السيوطى النادرة ، ما ذكره عن طريقة الأملى اللغوية ، عند قدامى اللغويين ؛ فقال : « يكتب المستملى أول القائمة : مجلس أملاه شيخنا فلان بجماع كذا فى يوم كذا ، ويذكر التاريخ ، ثم يورد المملى بإسناده كلاما عن العرب الفصحاء ، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ، ثم يفسره ، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ، ومن الفوائد اللغوية ، بإسناد وغير إسناد ما يختاره (٣) » .

وقد ذكر السيوطى بعد ذلك محاولته التى لم يقدر لها النجاح ، فى إحياء هذه الأملى ؛ فقال : « وقد كان هذا فى الصدر الأول فاشيا ، ثم مات

(١) المزهر ١/٤٢٧

(٢) المزهر ٢/٤٥٥ - ٤٥٦

(٣) المزهر ٢/٣١٤

الحفاظ ، وانقطع إملاء اللغة من دهر مديد ، واستمر إملاء الحديث .. وقد أردت أن أجدد إملاء اللغة وأُحييه بعد دثوره ، فأملت مجلسا واحدا ، فلم أجد له حَمَلَةً ، ولا من يرغب فيه ، فتركته (١) .

★ ★ ★

هذا ، ونحب أن نشير في خاتمة هذا البحث إلى شيء مهم جدا ، وهو ضرورة مراجعة الزهر على مصادره ، لسد ما أصاب نصه من خلل من كثير من المواضع . وهذه بعضها :

(أ) روى السيوطي النص التالي عن « ثعلب في أماليه : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم ، وتلتله بهراء ، وكسكسة ربيعة ، وكشكشة هوازن ، وتضعج قريش (٢) » . وصوابه ، كما في مجالس ثعلب ومصادر أخرى كثيرة : « وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضعج قيس (٣) » .

(ب) روى السيوطي النص التالي عن كتاب : « الألفاظ والحروف » للفارابي ، في القبائل التي تؤخذ عنها اللغة : « وبالجملة فإنه لم يؤخذ لامن لحم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس (٤) » .

(١) الزهر ٣١٤/٢

(٢) الزهر ٢١١/١

(٣) مجالس ثعلب ٨٠/١ وانظر : الخصائص ١١/٢ وسر صناعة الإعراب ٢٣٤/١ -

٢٣٥ وخزانة الأدب ٤٩٥/٤

(٤) الزهر ٢١٢/١

ويقف المرء حائراً أمام هذا النص ؛ إذ كيف يمكن لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة لليونان ؟ ثم كيف لبكر أن تمتد بجناحها في شمالي الجزيرة العربية ، فتجاور في الشرق الفرس في إيران ، كما تجاور في الغرب القبط في مصر ؟

وصواب العبارة كما في المصادر : « ولا من تغلب والتمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس^(١) . فانظر كيف حُرِّفَت كلمة : « التمر » فصارت في نشرة المزهري : « اليمن » ، كما حرفت أختها : « النبط » ، فصارت في هذه النشرة كذلك : « القبط » !

(ج) روى السيوطي النص التالي عن ابن درستويه ؛ فقال : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : قول العامة : نحوى لغوى ، على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة^(٢) » . وفي هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى لغوى » قال محققو المزهري : « لم نقف على ضبط هذه العبارة » !

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب في مصدره : تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : « فتقول : غَوَى يَغْوَى ، على نحو : جَهَلٌ يَجْهَلُ^(٣) » .

★ ★ ★

(١) الاقتراح ١٩ وانظر الحروف للفارابي ١٤٧

(٢) المزهري ١/٢٢٥

(٣) تصحيح الفصيح ١/١١٩

وبعد ... فقد بلغ السيوطى فى تأليفه شأواً لا يدرك ، وجهداً تقصر
دونه الخطى ... وكتابه : « المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها » تاج على رؤوس هذه
المؤلفات ، وغرة فى وجه هذه التصانيف ، يشهد له بطول الباع فى
الدراسات اللغوية العربية . والصبر والجلد فى القراءة والجمع . رحم الله
السيوطى رحمة واسعة.

★ ★ ★

البابُ السادس
في اللّهُجاتِ العَرَبِيَّةِ

الفصل الأول اخصائص اللغوية لقبيلة طيئ الفديمة

نسب طيء :

تنسب قبيلة طيء إلى جدها الأكبر : طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ^(١) . و « طيء » لقب له ، واسمه : « جُلُهْمَة » ؛ قال ابن حزم : « وَلَدُ أَدَدُ بن زيد : مُرَّةُ بن أَدَد ، وَنَبْتُ بن أَدَد وهو الأشعر ، وَجُلُهْمَة بن أَدَد ، وهو طَيْء ، ومالك بن أَدَد ، وهو مَدْحَج (٢) » .

وقبيلة طيء هي في الأصل إحدى القبائل القحطانية اليمنية ؛ فإن « سبأ » هو : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٣) .

ويبدو أن هذه القبيلة ، قد انتقلت مع غيرها من القبائل اليمنية ، إلى شمالي الجزيرة العربية ، بعد خراب سد مأرب ، في عهد عمران بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة (البهلول) بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ^(٤) .

(١) العقد الفريد ٣ / ٣٩٩

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٩٧

(٣) الاشتقاق لابن دريد ٣٦١

(٤) انظر : معجم البلدان (مأرب) ٤ / ٣٨٥ وجمهرة أنساب العرب ٣٣٠ وصفة جزيرة

العرب ٣٧٠ — ٣٧٤ وسيرة ابن هشام ١ / ١٣

ويرى الشيخ « حمد الجاسر » أن تحديد انتقال القبائل اليمنية ، بخراب سد مأرب « أمر مشكوك فيه ؛ وذلك أن المتقدمين يؤرخون حادثة الخراب ، بأنها في عصر الملك الفارسي : دارا بن بهمن . ودارا هذا هو الذى غزاه الإسكندر الأكبر ، فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد . والأدلة التاريخية والنقوش التى عثر عليها فى أمكنة كثيرة فى جنوبى الجزيرة وشمالها ، وفى أمكنة أخرى خارجها ، تدل على انتشار كثير من تلك القبائل ، التى ورد ذكرها خارج اليمن ، قبل سيل العرم » . كما يقول : « وليس من المعقول أن تلك الرقعة الصغيرة من الأرض ، وهى مأرب ، تتسع لعدد كبير من السكان يتكون من قبائل . والأمر الذى لا ريب فيه أن انتقال تلك القبائل ، كان فى فترات متفرقة ، وفى أزمان متباعدة ، فعندما تضيق البلاد بسكانها ، ينتقل قسم منها بحثا عن بلاد تلائم حياتهم (١) » .

★ ★ ★

مكان إقامة طيء :

أقامت قبيلة طيء فى شمالى الحجاز . قال ابن خلدون : « كانت منازلهم باليمن ، فخرجوا منه على إثر خروج الأزد منه ، ونزلوا سُميراء وفيداً فى جوار بنى أسد ، ثم غلبوا بنى أسد على أجأ وسلمى ، وهما جبلان فى بلادهم ، يعرفان بجبلى طيء ، فاستمروا فيها ، ثم افترقوا فى أول الإسلام فى الفتوحات (٢) » .

(١) فى سرة غامد وزهران ، لحمد الجاسر ٢٢٤

(٢) العبر لابن خلدون ٢ / ٢٥٤ وانظر : قلائد الجمان للقلقشندى ٧٢ ونهاية الأرب فى

معرفة أنساب العرب للقلقشندى ٣٢٦

وقد ذكر اليعقوبى بعض الأماكن التى كانت تقيم فيها على طريق الحاج من الكوفة إلى المدينة ومكة ؛ فقال : « والأجفر منازل طيىء ، ثم فَيَد ، وهى المدينة التى ينزلها عمال طريق مكة ، وأهلها طيىء ، وهى فى سفح جبلهم المعروف بسلمى ، وتُوز وهى منازل طيىء (١) » .

كما يقول الإصطخرى : « وليس بين المدينة والعراق ، مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة ؛ مثل : فَيَد ، وفيد فى ديار طيىء . وجبلا طيىء منها على مسيرة يومين ، وفيها نخيل وزرع قليل لطيىء ، وبها ماء قليل ، يسكنها بادية من طيىء ، ينتقلون عنها فى بعض السنة للمراعى (٢) » .

ويذكر الزمخشري بعض مياههم وأمكنتهم ؛ مثل : أْبُضَّة ، وجِساء ، رَيْث ، والحوراء ، وعَظْضور ، والسَّبْعان ، وبُلْطَة ، ومناع ، وغير ذلك كثير (٣) .



فصاحة طيىء :

تعد طيىء عند اللغويين والنحاة العرب ، من القبائل الفصيحة ، التى تؤخذ عنها اللغة ؛ فقد قال أبو نصر الفارابى ، وهو يتحدث عن العرب : « فإن فيهم سكان البرارى ، وفيهم سكان الأمصار ، وأكثر ماتشاغلوا بذلك

(١) البلدان لليعقوبى ٧١ — ٧٢ وانظر كذلك : صفة جزيرة العرب ٣٣٧

(٢) المسالك والممالك ٥٤

(٣) انظر : الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري (فهرس أعلام الأشخاص والجماعات

من سنة تسعين إلى سنة مائتين . وكان الذى تولى ذلك من بين أمصارهم ، أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق ، فتعلموا لغتهم والفصح منها ، من سكان البرارى منهم ، دون أهل الحضرة ، ثم سكان البرارى من كان فى أوسط بلادهم ومن أشدهم توحُّشا وجفاء ، وأبعدهم إذعانا وانقيادا ، وهم قيس وتميم وأسد وطىء ثم هذيل ؛ فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب . والباقيون فلم يؤخذ عنهم شيء ؛ لأنهم كانوا فى أطراف بلادهم ، مخالطين لغيرهم من الأمم ، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم ، من الحبشة والهند و الفرس والسريانيين وأهل الشام ومصر (١) .

وما يدل على مكانة اللغة الطائية فى نفوس القوم ، مارواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، من حديث طلحة بن عبيد الله أنه قال : « فوضعوا اللجج على قفَى » ، ثم فسره فقال : « وقوله : قَفَى ، هى لغة طائية . وكانت عند طلحة امرأة طائية . ويقال إن طيئا لاتأخذ من لغة أحد ، ويؤخذ من لغاتها (٢) » . وما يؤخذ من لغات طىء إلا لفصاحتها ومكانتها بين القبائل الأخرى . كما أن اعتزاز طىء بلغاتها ، كان هو السبب — فيما يبدو — فى عدم أخذها عما عداها من لغات العرب ، فيما رواه لنا أبو عبيد .

(١) الحروف للفارابى ١٤٧ وقد نقل السيوطى هذا النص فى كتابيه الزهر ١ / ٢١١ والافتراح ١٩ بصيغة مختلفة ، فقال : « وقال أبو نصر الفارابى فى أول كتابه المسمى : الألفاظ والحروف : والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى ، من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغرب وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » .

(٢) غريب الحديث ٤ / ١١ وانظر كذلك : الفائق للزمخشري ٣ / ٩١

اشتقاق طيء :

« قال ابن خالويه : سئل ثعلب عن طيء مِمَّ أُخِذَ ؟ فقال : من طاعة الفرس ، وهو أعلاه ^(١) . فكأن ثعلبا يرى في طيء علواً في النسب ؛ وإن كان ابن الكلبي يرى أنه « سمي طيئاً ؛ لأنه أول من طوى المناهل ^(٢) » . وطى المناهل عبارة عن بناء الآبار بالحجارة .

★ ★ ★

طيء واللغة السريانية :

عرفت اللغة السريانية الاسم : **ܟܝܢܐ** tayyāyā (طَيَّايَا)
 بمعنى : « الرجل الطائي » ثم بمعنى : « العربي » مطلقاً . كما تسمى العربية عند
 السريان : **ܟܝܢܐ ܟܝܢܐ** leššānā tayyāyā
 (لَشَّانَا طَيَّايَا) بمعنى : « اللسان العربي » .

وقد عرف العرب هذه التسمية السريانية ، لقبيلة طيء ؛ فقد روى
 أن المفضل الضبي ، الراوية الكوفي المشهور ، التقى في الكوفة بأعرابي ، فقال
 له المفضل : ممن الرجل ؟ قال : من طيء ، فقال له المفضل — وكان قليل
 المزح :

وما طيء إلا نبيط تَجَمَّعَتْ فقالوا: طَيَّايَا ، كلمة فاستمرت ^(٣)

(١) نوادر أبي مسحل ١ / ٣٢٦

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠ وجمهرة اللغة ١ / ١٠٩

(٣) انظر : إنباه الرواة ٣ / ٣٠٠

(١) موقف طيء من الهمزة :

يبدو أن قبيلة طيء ، كانت تميل إلى التخلص من صوت الهمزة ، في مثل : يواخي ، ويواكل ، ويواسى ، فتبدلها حرفا من جنس حركة ما قبلها ، فتصير الأمثلة السابقة : يواخي ، ويواكل ، ويواسى^(١) ، وتشتق الماضي من هذه الصيغ الجديدة ؛ فتقول : واخيت ، وواكلت ، وواسيت .

ويؤيد كراهية طيء لنطق الهمزة ، ماروى لنا عنهم من أنهم كانوا يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاء ؛ فقد « حكى ابن جنى عن قطرب أن طيما تقول : هِنُ فعلتُ فعلتُ ، يريدون : إن ، فيبدلون^(٢) ». وهذا يذكرنا بما حدث في اللغة العبرية ؛ إذ قلبت فيها همزة (إن) الشرطية ، هاء كذلك ؛ فيقال فيها : הַיְיָ הַיְיָ (هِنِّي) = إن .

ولم يقتصر الأمر في قلب الطائيين الهمزة هاء على (إن) الشرطية وحدها ، بل حكى ذلك عنهم في همزة الاستفهام كذلك ؛ يقولون : « هَزَيْدٌ فَعَلْ ذلك ؟ يريدون : أزيد فعل ذلك ؟^(٣) ». ومثل هذا حادث في اللغة العبرية كذلك .

أما مارواه لنا الفراء عن طيء ، من أنهم كانوا يهمزون مالا يستحق الهمز ، في قوله : « وربما غلظت العرب في الحرف ، إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز ، سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجي

(١) تهذيب اللغة ٧ / ٦٢٣ واللسان (أخا) ١٨ / ٢٣

(٢) اللسان (أئن) ١٦ / ١٧٨ والممتع لابن عصفور ١ / ٣٩٧

(٣) اللسان (ها) ٢٠ / ٣٧٣

بأبيات . ويقولون : لبّأت بالحج ، وحلّأت السويق ، فيغلطون ^(١) » —
فليس هذا الهمز منهم إلا حذقة ، أو مبالغة في التفصح وتقعرا في الكلام ،
وكلها اصطلاحات من عندنا لما يقابل في اللاتينية : Hyperurbanismus وفي
الإنجليزية : Overcorrectness ^(٢) ، وهو اصطلاح اتخذ لدى علماء اللغة ،
للصنيع التي تنتج بسبب الحرص الشديد ، على محاكاة اللغة الأدبية ، ممن
لا يملك زمامها من عامة الشعب ؛ فهو يحاول أن يرد العامية التي يتحدث بها
إلى نمط اللغة الأدبية ، وهو في محاولته هذه لا يفرق بين الظواهر الجديدة
والقديمة ، في لغة الخطاب ، فإذا ردّ كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصاب ،
أما إذا فعل مثل ذلك مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم ،
وشابهت مع ذلك الجديد ، فإنه حينئذ يكون متقعرا ومتحذلقا ؛ وذلك
كمن يعرف أن الصوت المركب : (aw) مثلا في العربية الفصحى ، يقابل
حركة الضم الممالاة : (ō) في العامية ؛ وذلك مثل : صُوم في صَوْم ، وعُوم في
عَوْم ، وتُوم في تَوْم ، ويُوم في يَوْم ، فهو إذا ردّ هذه الكلمات إلى أصلها كان
مصيبا في كلامه ، غير أن هناك كلمات لها مثل هذه الصورة في الأصل ، في
اللغة الفصحى نفسها ؛ مثل : « ثُوم » و « حُوت » و « رُوح » وغير ذلك .
وهنا يحاول ذلك المتفصح أن يقلب هذه الضمّات الأصيلة إلى الصوت

(١) معاني القرآن للفراء ١ / ٤٥٩ وقد حرف الأزهرى طيبا ، فجعلها : « غنى » في هذا
الخبر ، ونقل عنه صاحب اللسان الكلمة محرفة ؛ يقول الأزهرى (تمهيد اللغة ١٥ / ٦٨٣ =
لسان العرب ١ / ١٠) : « ومنها همزة التوهم ، كما روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهزون مالا همز
فيه إذا ضارح المهموز . قال : وسمعت امرأة من غنى ، تقول : رثأت زوجي بأبيات . قال :
ويقولون : لبّأت بالحج ، وحلّأت السويق ، فيغلطون » .

(٢) يسمى فندريس (اللغة ٨٠) هذه الظاهرة : الإسراف في المدينة ، والغلو في مراعاة
الصحة . وانظر كذلك كتابنا : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٩ — ٨٤

المركب ، الذى تتميز به اللغة الفصحى ؛ فيقول : ثوم وحوث وروح ، قياسا على مافعله فى تلك الكلمات السابقة ، وعندئذ يأتى بشيء لاهو فى لهجات الخطاب ، ولا هو فى اللغة الفصحى . وليس مافعله إلا نوعاً من أنواع القياس الخاطيء .

وعلى هذا النحو يمكن تفسير همز ماليس أصله الهمز ، فى خبر الفراء السابق ؛ لأن أولئك الطائيين يتركون الهمز فى كلامهم — كما سبق أن عرفنا — فيقولون مثلاً : فقيت عينه ، ووجيت بطنه ، بلا همز ، ولكنهم يسمعون اللغة الأدبية فى شعر الشعراء ، ومواقف الجد من القول ، وفيها : فقأت عينه ، ووجأت بطنه ، بالهمز ؛ فيقولون بناء على هذا : حَلَّات السويق ، ولَبَّأت بالحج ، ورتَّأت الميت ، عن طريق القياس الخاطيء ، مبالغة فى التفصيح ، بدلا من : حلَّيت ولَّيت ورتَّيت . كما يمكن فهم ما روى عنهم من أنهم كانوا يهمزون : « السُّوَدَد (١) » ، وهو من سوَدته ، أى جعلته سيِّداً ، فلا أثر للهمز فى أصله . ويمثل هذا أيضا يمكن أن يفسر الهمز عند طيء للألف المقصورة ؛ فى مثل : « حُبْلًا » بدلا من : « حُبَلَى (٢) » .

★ ★ ★

(٢) جهر السين والصاد :

السين والصاد من الأصوات الأسنانية اللثوية ، المهموسة أى التى

(١) انظر: الاشتقاق لابن دريد ٢١١

(٢) انظر : أصول النحو لابن السراج ٢ / ٣٢٠

لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية . والسين هي مرقق الصاد ، والصاد هي مفخم السين .

وقد روى عن قبيلة طيء أنها كانت تجهر الصوتين ، أى تجعل الأوتار الصوتية تتذبذب معهما . وقد دلّ اللغويون على هذا الجهر فيهما بقلبيهما زايا ؛ فقالوا : إن طيئنا تقول فى : سَقَر : زَقَر ، وفى الصَّقَر : زَقَر ، وفى الصَّرَاط : زِرَاط . والزاي هي المقابل المجهور للسين . أما المقابل المجهور للصاد ، فهو الزاي المفخمة التى تشبه نطق العوام للطاء ، فى مثل كلمة : ظُلم .

وأغلب الظن أن الطائيين كانوا ينطقون الصاد نطقاً مماثلاً لهذا النطق ، غير أن اللغويين دلّوا عليه بالزاي المرققة ، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة فى الكتابة العربية ، وإن كان هؤلاء اللغويون يتحدثون عما يسمونه بإشمام الصاد صوت الزاي ؛ فقد قرأ كل من حمزة والكسائى وخلف ورويس قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ﴾ ^(١) ، وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ ^(٢) بإشمام الصاد زايا . وقد سمى ابن سينا هذا النطق : « الزاي الظائية » وقال عن نطقها : « يكون وسط اللسان فيها أرفع ، والاهتزاز فى طرف اللسان خفيّ جدا ^(٣) ».

ويزعم ابن الكلبي أن هذه الظاهرة تسمى : « الرُسُو » و « التعداد » ، وهو يفسر قول حاتم طيء :

إلهمُ رِيّى ورِيّى إلهمُ فأقسمتُ لأرُسُو ولا أتمعددُ

(١) سورة القصص ٢٨ / ٢٣ وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٢١٠

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ / ٦ وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٧٣

(٣) أسباب حدوث الحروف ١٩

قال : الرَّسُو أن يقال للَصَّقَر : زَقَر ، ولسَقَر : زَقَر ، وللصَّرَاط : زِرَاط ، وللصَّقْعَب : زَقْعَب ... قال : وسمعت أبا أسماء وغير واحد من طييء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من شر زَقَر . وهذا كلام مَعَدَّ ؛ فلذلك قال : لأتمعدد (١) .

ومع أن حاتما الطائي ينفي هذه الظاهرة عن نفسه — إن صح تفسير ابن الكلبي للبيت — فقد روى أنه هو نفسه قد قلب الصادزايا ، في حكاية رواها لنا مؤرج السدوسي ، فقال : « وكانت عَنَزَة أسروا حاتم طييء ، فغزت رجالهم ، وتُرك مع النساء والضَّعْفَة من الرجال ، فقالوا له : افضِدْ لنا ، فقام إلى ناقة فعقرها ، فقالوا له : أهكذا الفصد ؟ وأوجعوه ضربا . قال : هكذا فَزِدِي أَنَّهُ ، يريد : فَصِدِي أَنَا (٢) » .

ويقيد أبو الطيب اللغوي ، انقلاب الصاد زايا في لغة طييء ، بسكونها ؛ إذ يقول : « ويقال : هي المِزْدَغَة والمِصْدَغَة ، للمِخْدَة . وطييء تقلب كل صاد ساكنة زايا . قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيرا في عَنَزَة ، فجاءته النساء بناقة ومِفْصَد ، وقلن له : افصد هذه الناقة ، فأخذ المِفْصَدَ فَالْتَمَ في سَبَلْتها ، أي نَحْرِها ، وقال : هكذا فَزِدِي أَنَّهُ ، أي : فَصِدِي أَنَا (٣) » .

(١) ديوان حاتم ق ٣ / ١ ص ٥ ولا وجود للرسو والتعدد بهذا المعنى في المعاجم

العربية!

(٢) كتاب الأمثال لمؤرج ٥١ وفي المثل : لم يُحْرَم من فُزْدله ، يعنون : مَنْ فُصِد له ذراع البعير ، وكانوا يفعلون ذلك عند المجاعات ، ويطبخون الدم ويأكلونه . انظر : لحن العوام للزبيدي

١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ٢ / ١٢٦

(٣) قلب الياء والواو في مثل : (بَقِيَ) و (سَرُو) ألفا :

من المعروف في اللغة العربية الفصحى ، أن الياء والواو إذا تحركتا وفتح ما قبلهما ، قلبتا ألفين ؛ مثل : سَعَى ، وأصلها : سَعَى ، دَعَا ، وأصلها : دَعَوَ . فإن كان ما قبلهما مكسورا أو مضموما ، لم تقلب واحدة منهما ألفا ، ولذلك بقيت الياء في مثل : « رَضِيَ » والواو في مثل : « سَرُو » لاختلال شرط الفتح قبلهما .

أما قبيلة طيء ، فإنها تطرد الباب على وتيرة واحدة ، « ولطبيء توسع في اللغات (١) » كما روى عنها ، فهي هنا تطرد الباب على وتيرة واحدة ، فتقلب كل ياء أو واو متحركة ألفا ، بشرط تحرك ما قبلها على الإطلاق ، دون تخصيص هذه الحركة بالفتح . قال الجوهري : « وطبيء تقول : بَقَا وَبَقَّتْ ، مكان : بَقِيَ وَبَقِيَتْ . وكذلك أخواتها من المعتل (٢) » .

كما يقول القزاز القيرواني : « ومما يجوز للشاعر أن يقول في دُهي : دُهَا ، وهي لغة لطيء . وكذلك يجوز له أيضا أن يفعل في الواو . وحكى أن ذلك في طيء أيضا ، وأنهم يقولون في قَرْوَة وعَرْوَة : قرناة وعرقاة ، فيصنعون في الواو ما صنعوا في الياء من البدل (٣) » .

ويمتليء شعر الطائيين بهذه الظاهرة . ويتضح ذلك بصورة خاصة في شعر زيد الخيل الطائي ؛ فمن ذلك قوله :

(١) انظر في هذا القول : الأفعال لابن القوطية ٥ والأفعال لابن القطاع ١ / ١٥ والمزهر

للسيوطي ٢ / ٩٨

(٢) الصحاح (بقي) ٦ / ٢٢٨٤ وانظر كذلك : تسهيل الفوائد لابن مالك ٣١١ وشرح

المفضليات لابن الأنباري ٧٦٧ والمصباح المنير (بقي) ١ / ٣٢ وشمس العلوم ١ / ٣١ والممتع لابن

عصفور ١ / ١٥٣ والجنى الداني للمرادى ٣٩٠ والبارع للقالى ٥١٢ واللسان (فتى) ٢٠ / ٢٣

(٣) ماجوز للشاعر في الضرورة ٢٦٢ — ٢٦٤

- أَفِي كُلِّ عَامٍ مَأْتُمْ تَبْعُونَهُ عَلَى مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوهُ وَمَارُضًا (١)
وكذلك قوله :
- تَجِدُونَ خَمْشًا بَعْدَ خَمْشٍ كَأَنَّهُ عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ نَعَا (٢)
وقوله كذلك :
- لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْعَلِكُ مَا بَقَا عَلَى الْأَرْضِ فَيْسَى يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا (٣)
وقوله أيضا :
- فَرَدُّوا عَلَيْنَا مَا بَقَا مِنْ نَسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا وَاسْتَمْتَعُوا بِالْأَبَاعِرِ (٤)
وقوله :
- فَلَوْلَا زَهْرٍ أَنْ أَكْدَّرَ نَعْمَةً لِقَادَعَتْ كَعْبًا مَا بَقَيْتُ وَمَا بَقَا (٥)
وقوله :
- فَلَيْتَ أَبَا شَرِيحٍ جَارَ عَمْرُو حَيَا عَوْفٌ وَغَيْبَهُ الْقَبُورُ (٦)

(١) ديوانه ق ١ / ١ ص ٢٥ وسيبويه ١ / ٦٥ ؛ ٢ / ٢٩٠ ونوادر أبي زيد ٨٠ والخزانة ٤ / ١٤٩ وجمهرة اللغة ٢ / ١٤٣ والجمانة ١١ والبارع ٥١١ وشرح شواهد سيبويه ١ / ١٢١ وشرح ديوان كعب ١٣١ ونوادر القالي ٢٥

(٢) ديوانه ق ١ / ٢ ص ٢٦ والبارع للقالي ٥١١ نوادر أبي زيد ٨٠ وشرح أبيات الكتاب ١ / ١٢١ وشرح ديوان كعب ١٣٢ ونوادر القالي ٢٥

(٣) ديوانه ق ٢٥ / ٨ ص ٦٢ ونوادر أبي زيد ٦٨ وتفسير القرطبي ٣ / ٣٧٠

(٤) شرح أبيات الكتاب ٢ / ٢٧٨ وروايته في الديوان ق ٢٧ / ٢ ص ٦٤ : « بنى أسد ردوا علينا نساءنا » ولاشاهد فيه .

(٥) ديوانه ق ١ / ٦ ص ٢٧ والبارع للقالي ٥١١ ونوادر أبي زيد ٨٠ وشرح ديوان كعب ١٣٤ ونوادر القالي ٢٦

(٦) ديوانه ق ٢٤ / ١ ص ٦٠ والبارع للقالي ٥١١ ونوادر أبي زيد ٨٠

وقوله :

نَصُولٌ بِكُلِّ أبيضَ مَشْرِفِيٌّ عَلَى اللاتِي بَقَا فِيهِنَّ ماء (١)

كما يقول جوين بن عامر الطائي :

وَأَسْمَرٌ مَرْبُوعٌ رَضَاهُ ابْنُ عازِبٍ فَأَعْطَى وَلَمْ يُنْظَرْ بِبَيْعِ جِلالِ (٢)

وكذلك يقول البولاني (٣):

نَسْتَقْدُ النَّبْلَ بِالْحَضِيضِ وَنَصِدُ طادَ نَفوسا بُنْتُ عَلَى الكَرْمِ (٤)

كما قال رجل من طيء :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالٌ يُرَى شَفِيفٌ لَهُ صَدُورُ رِجالٍ قَدْ بَقَا لَهُمْ وَفُرٌّ (٥)

وهذه الظاهرة ، وإن عزيت في المصادر العربية إلى طيء وحدها ، فإننا نجد لها أمثلة لدى شعراء من قبائل أخرى غير قبيلة طيء ؛ فمثلا يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

بِدْعَلْبَةِ بَرَّاهَا النَّصُّ حَتَّى بَلَغْتُ نَضارِها وَفَنَّا السَّنَامُ (٦)

ومثله قول طفيل الغنوي :

لَزَجَرْتُ قَلْبًا لَا يَرِيحُ إِلَى الصَّبَا إِنْ الْغَوِيُّ إِذَا لُها لَمْ يُعْتَبِ (٧)

(١) ديوانه ق ٢ / ١ ص ٣٠ والاقضاب ٤٢٧

(٢) نوادر أبي زيد ٧٨

(٣) بولان بطن من طيء . انظر : شرح المرزوق للحماسة ق ٣١

(٤) الصحاح (بقى) ٦ / ٢٢٨٤ واللسان (بقى) ١٨ / ٨٦

(٥) نوادر أبي زيد ١٧٩

(٦) ديوانه ق ٤١ / ١١ ص ٢٠٤ وشرح اختيارات المفضل الضبي للتبريزي ٣ / ١٣٩٩

(٧) عجزه منسوب لطفيل الغنوي في سيبويه والشتنمري ٢ / ٢٩١ والبيت بتمامه بلا

نسبة في ماجوز للشاعر في الضرورة للقرزاز ٢٦٣ وتفسير الطبري ١١ / ٦١ وليس في ديوانه .

وكذلك قال طفيل الغنوي :

فلما فَنَّا مافي الكنائن ضاربوا إلى القُرْع من جِلد الهجان المُجَوَّب (١)

كما يقول المستوغر بن ربيعة التميمي :

هل ما بَقَا إلا كما قد فاتنا يومُ يَكُورٌ وليلَةٌ تَحْدُونَا (٢)

ويقول زهير بن أبي سلمى المزني :

تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا فَنَّا الدُّحْلَانِ عَنْهُ وَالْإِضَاءُ (٣)

ويقول معن بن أوس المزني :

أَعَاذَلْ هَلْ يَأْتِي الْقِبَائِلَ حَظُّهَا مِنْ الْمَوْتِ أَمْ أُخْلَا لَنَا الْمَوْتُ وَحَدْنَا (٤)

كما يقول كلثوم بن صعب (٥) :

فليت غدا يومٌ سواه وما بَقَا مِنْ الدَّهْرِ لَيْلٌ يَجْبِسُ النَّاسَ سَرْمَدًا (٥)

وقد فطن إلى ذلك بعض علماء العربية ، كابن سلام الذي يقول :

« بَقَا وَفَنَّا لغتان لطبيء ، وقد تكلمت بهما العرب ، وهما في لغة طبيء

أكثر (٦) ، » كما يقول ابن دريد : « وما رُضَا في معنى : مارَضَى ، وهي لغة

لطبيء ، وقد تكلم بها بعض العرب (٧) ، » غير أنها « لغة فاشية في

طبيء (٨) . وبعض هؤلاء الشعراء من قبائل تجاور طيئا ، كبشر بن أبي

خازم الأسدي ، كما أن زهير بن أبي سلمى كان متزوجا من طائية (٩) .

(١) ديوانه ق ١ / ٦٠ ص ١٣ والجيم لأبي عمرو ٣ / ١٢١ واللسان (قرع) ١٠ / ١٣٧

(٢) طبقات ابن سلام ١ / ٣٣

(٣) ديوانه ص ٦٥ وطبقات ابن سلام ١ / ٣٣

(٤) ديوانه ق ٧ / ١ ص ٢٣

(٥) الحماسة بشرح المرزوق ق ٥٧٦ / ٢ ص ١٣٨٨

(٦) طبقات ابن سلام ١ / ٣٣

(٧) جمهرة اللغة ٢ / ١٤٣

(٨) المتع لابن عصفور ١ / ١٥٣ وديوان امرئ القيس ص ٢٣

(٩) ديوانه بشرح ثعلب ٢٨٣

وقد رويت لنا بعض أبيات الشعر ، وفيها هذه الظاهرة ، بلا نسبة لشاعر معين ؛ فيمكن لذلك أن تكون لبعض الطائيين أو لغيرهم ، فمن ذلك قول الشاعر :

ألا ليت عمي يوم فرّق بيننا سقّا السمّ ممزوجاً بشبّ يمانى (١)
وقول الآخر :

لم تلتق خيلٌ قبلها ماقد لقت من غبّ هاجرة وسيّرٍ مُسأدٍ (٢)
وقول امرأة :

يامن بمقتله زها الدهر قد كان فيك تضاءل الأمر (٣)
وبعض شعراء طيء كانوا يحرصون على طريقة العربية الفصحى في هذه الظاهرة ، فلا يقبلون الياء ألفا ، إلا إذا فتح ما قبلها ، كحاتم الطائي الذي يقول :

كريم لأبيت الليل جاذٍ أعدد بالأنامل مارزيت
إذا مابتُ أشرب فوق ربيّ لسكر في الشراب فلا رويت
إذا مابتُ أختل عرس جارى ليخفيني الظلام فلا خفيت
أفضح جارقى وأخون جارى معاذ الله أفعل ماحييت (٤)
كما يقول كذلك :

تبّع ابن عمّ الصدق حيث لقيته فإن ابن عمّ السوء إن سرّ يُخلف (٥)

(١) جمهرة اللغة ١ / ٣٢ وتنقيف اللسان ٢٧١

(٢) أحكم لابن سيدة ٦ / ٣١٢ واللسان (لقا) ٢٠ / ١٢٠ وانظر اللسان (سأد)

١٨٤ / ٤

(٣) سمط اللآلى ١ / ١٦٢

(٤) ديوانه ق ٣٦ ص ٢١

(٥) ديوانه ق ٣٧ / ٢ ص ٢٢

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الأفعال المعتلة عند طييء ، فإنهم يقبلون كل ياء ألفا ، إذا تحركت وتحرك ما قبلها في الأسماء كذلك ؛ فيقولون : ناصاة (١) ، وبأداة (٢) ، وتوصاة (٣) ، ونخظة بظاة (٤) ، وفالاة (٥) ، وباناة (٦) ، وباقاة (٧) ، وأوداة (٨) ؛ في : ناصية ، وبادية ، وتوصية ، ونخضية ، وبضية ، وفالية ، وبانية ، وباقية ، وأودية .

وقد ورد بعض ذلك في شعر طييء ، كقول حريث بن عتاب

الطائي :

لقد آذنت أهل اليمامة طييءُ بحرب كناصاة الحصان المشهَّر (٩)

ومثل ذلك قول حاتم الطائي :

فقلت لأصباة صغار ونسوة بشهباء من ليل الثمانين قرَّت (١٠)

يريد : أصبية ، جمع : « صبي » .

(١) اللسان (نصا) ٢٠ / ١٩٩ (ورى) ٢٠ / ٢٦٨ والمتع ٢ / ٥٥٧ والمخصص ٦ / ٤٠

وتفسير القرطبي ٣ / ٣٧٠

(٢) اللسان (نصا) ٢٠ / ١٩٩ وديوان امرئ القيس ١٢٣ والمخصص ٦ / ٤٠

(٣) اللسان (ورى) ٢٠ / ٢٦٨

(٤) اللسان (خطا) ١٨ / ٢٥٤

(٥) مجالس ثعلب ٢ / ٤٩٦

(٦) مقاييس اللغة ١ / ٣٢٢ واللسان (بنى) ١٨ / ١٠٤ والمخصص ٦ / ٤٠

(٧) المتع ٢ / ٥٥٧

(٨) اللسان (ودى) ٢٠ / ٢٦٣

(٩) نواذر أوى زيد ١٢٤ وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ٢٦٢ واللسان (نصا)

١٩٩ / ٢٠

(١٠) ديوانه ص ١٠

وقد وردت هذ الظاهرة فى شعر امرىء القيس كذلك فى قوله :
 رَبُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مَخْرَجٌ كَفَيْهِ مِنْ سْتَرِهِ
 عَارِضٌ زُرَّاءٌ عَنْ نَشْمٍ غَيْرِ بَانَاةٍ عَلَى وَتَرِهِ (١)
 يريد : غير بانية . والبانية من القسي ، التى لصق وترها بكبدها حتى
 كاد ينقطع وترها فى بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب فيها .
 ويبدو حرص حاتم الطائى على استخدام العربية الفصحى مرة أخرى ،
 فى قوله :

يَا كَعْبُ إِنَّا قَدِيمَا أَهْلُ رَابِيَةِ فِينَا الْفَعَالُ وَفِينَا الْمَجْدُ وَالْخَيْرُ (٢)

★ ★ ★

(٤) ألف المقصور ياء :

روى لنا عن قبيلة طيء أنهم كانوا يقولون فى مثل : أَفْعَى وَحُبْلَى ،
 وغيرهما مما ينتهى فى العربية الفصحى بالألف المقصورة : أَفْعَى وَحُبْلَى ،
 بالياء فى الوقف والوصل . ويشارك طيئا فزارة وناس من قيس ، فى هذه
 الظاهرة فى الوقف فقط ؛ قال سيبويه : « قول بعض العرب فى أَفْعَى : هذه
 أَفْعَى ، وفى حُبْلَى : هذه حُبْلَى ، وفى مُثْنَى : هذا مُثْنَى ، فإذا وصلت
 صيرتها ألفا ، وكذلك كل ألف فى آخر الاسم . حدثنا الخليل وأبو الخطاب
 أنها لغة لفزارة وناس من قيس ، وهى قليلة . فأما الأكثر والأعرف فأن تدع
 الألف فى الوقف على حالها ، ولا تبدلها ياء ، فإذا وصلت استوت اللغتان ...
 وأما طيء فزعموا أنهم يدعونها فى الوصل على حالها فى الوقف (٣) » .

(١) ديوانه ق ١٧ / ٢ ص ١٢٣ ومقاييس اللغة ١ / ٣٠٢ والخصص ٦ / ٣٩

(٢) ديوانه ص ٦

(٣) كتاب سيبويه ٢٨٧/٢

كما يقول أبو علي الفارسي : « الياء في الأواخر وقعت موقع الألف في الوصل والوقف ، وذلك لغة طيء فيما حكاها (سيبويه) عن أبي الخطاب وغيره من العرب ، وذلك قولهم في أفعى : أفعى ... كما أن ناسا يقولون : أفعى في الوقف ، فإذا وصلوا قالوا : رأيت الأفعى فاعلم . وجعلت طيء الحرف في الوصل والوقف ياء (١) » .

ويرى علماء العربية أن الألف المقصورة هي الأصل ، وأن الياء في مثل : حُبَلَى وَأَفْعَى ، في لهجة طيء وغيرها ، ليست إلا انقلاباً لتلك الألف ؛ انظر مثلاً إلى قول ابن جنى : « ومنهم من يبدل هذه الألفات في الوقف ياء (٢) »

غير أن الاطلاع على اللغات السامية من جانب ، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر يدلان على أن مثل : حُبَلَى وَأَفْعَى بالياء ، أسبق في سلسلة التطور اللغوي من : أفعى وحُبَلَى بالألف .

فإن النظر إلى الأفعال الناقصة ، مثل : رمى ودعا ، وهي تماثل في صورتها هذه ، صورة الأسماء المقصورة في الفصحى ، يرينا أنها في أصلها الأول في اللغات السامية ، كانت تتصرف تصرف الصحيح تماما . والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم في اللغة الحبشية الجعزية ، وهي إحدى اللغات السامية ؛ ففيها مثلاً يقال : « صَحَوَ » في : صحا ، و « تَلَوَ » في : تلا ، و « رَمَى » في : رمى . وليس الأمر مقصوراً في الحبشية على الأفعال

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ٦٣/١ - ٦٤

(٢) المحاسب ٧٧/١

الناقصة ، بل إن الأفعال الجوفاء ، يعامل شيء منها معاملة الصحيح كذلك ؛ فيقال فيها مثلا: « دَيِّنَ » في : دان ، و « بَيِّنَ » في : بان ، وغير ذلك (١) .

ولم تبق من هذه المرحلة في اللغات السامية الأخرى إلا بقايا قليلة في العربية ، من الأفعال الجوفاء ؛ مثل : حَوْرَ ، وَعَوْرَ ، وَهَيْفَ ، واستحوذ ، واستنوق ، وغيرها . وإذا رجعنا بالاسم المقصور إلى هذه المرحلة القديمة فإنه يكون مثل : هُدَى ، وَفَتَى ، وَعَصَوُ ، وَقَفَوُ ، وما إلى ذلك .

أما المرحلة الثانية في تطور الأفعال المعتلة والأسماء المقصورة ، فهي مرحلة التسكين ، أو سقوط الحركة بعد الواو والياء للتخفيف ، فيصبح الفعل على نحو : قَضَى وَدَعَوُ ، كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو : أْفَعَى وَعَصَوُ .

وقد فطن العلامة « ابن جنى » بحسّه اللغوى ، إلى ضرورة وجود هذه المرحلة في طريق تطور الأفعال المعتلة ، فقال : « ومن ذلك قولهم : إن أصل قام : قَوْمَ ، فأبدلت الواو ألفا ، وكذلك باع ، أصله : بَيْعَ ، ثم أبدلت الياء ألفا ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وهو لعمري كذلك ، إلا أنك لم تقلب واحدا من الحرفين ، إلا بعد أن أسكنته ؛ استثقالا لحركته ، فصار إلى : قَوْمَ وَبَيْعَ (٢) » .

وقد بقيت هذه المرحلة عند قبيلة طيء ، فيما روى لنا من الأمثلة السابقة : أْفَعَى وَحُبْلَى وَمُثْنَى وغيرها . وقد كنا في انتظار أن يظهر الفرق

(١) انظر : Dillmann, Grammatik der äthiopischen Sprache, 163 - 165 .

(٢) الخصائص ٢ / ٤٧١ - ٤٧٢ وانظر كذلك : شرح مراح الأرواح ١٢٢

بين الأصل الواوى ، والأصل اليأى فى المقصور فى هذه الحالة ، ويبدو أن تلك كانت الحال فى بداية الأمر ، فكان يقال : هذه حُبْلَى وهذه عَصَوٌ . ولكن يبدو أن بعض طيىء قد قاست الواوى على اليأى ، فقالت فى الجميع : حُبْلَى وَعَصَى ، على حين قاس ناس منهم اليأى على الواوى ، فقالوا : حُبْلَوٌ وَعَصَوٌ ؛ يقول أبو على الفارسى : « الياء يبدلها من الألف فى الوقف والوصل طيىء ، والواو يبدلها منها بعض طيىء (١) » . كما يقول ابن جنى : « ومنهم من يبدل هذه الألفات فى الوقف ياء ، فيقول : هذه عَصَى ، ورأيت حُبْلَى ، وهذه رَجَى ، أى الناحية ، يريد : رَجَأٌ . ومنهم من يبدلها فى الوقف أيضا واوا ، فيقول : هذه عَصَوٌ وَأَفْعَوٌ وَحُبْلَوٌ (٢) » .

ويبدو أن بعض الأفعال المعتلة ، قد وصلت إلى هذه المرحلة عند طيىء كذلك يدلنا على هذا ، ذلك الرجز الذى يساق فى المصادر العربية ، للاستشهاد على قلب ألف المقصور ياء عند طيىء . وأغلب الظن أنه لواحد من رَجَازهم ؛ يقول :

إِنَّ لِي طَىَّ نِسْوَةً تَحْتَ الْعَضَى
يَمْنَعُهُنَّ اللَّهُ مِمَّنْ قَدْ طَغَى
بِالْمَشْرِقِيَّاتِ وَطَعْنٍ بِالْقَنَى (٣)

يريد : الغضا ، وطغى ، والقنا .

ووصول المقصور إلى هذه المرحلة عند طيىء وغيرها ، هو الذى

(١) الحجة ١ / ٦٤

(٢) المحتسب ١ / ٧٧

(٣) المنصف ١ / ١٦٠ والمحتسب ١ / ٧٧

يفسر لنا صورة هذا المقصور عندهم ، عندما يضاف إلى ياء المتكلم ؛ إذ كانوا يقولون في مثل : هَوَايَ وَهَدَايَ : هَوَايَ (هَوَايَ + يَ) وَهَدَايَ (هُدَايَ + يَ) وغير ذلك .

ففي حديث طلحة بن عبيد الله : « فوضعوا اللُجَّ على قَفَايَ » يعني السيف على قَفَايَ (١) ؛ فقد نصت المصادر على أن : « قَفَايَ » هنا لغة طائية ، وقالوا : « وكانت عند طلحة امرأة طائية » .

وقد عرفت هذه الظاهرة عند غير طييء كذلك ؛ قال الفراء : « وهي لغة في بعض قيس وهذيل : يَأْبُشْرِيَّ ، كل ألف أضافها المتكلم إلى نفسه ، جعلها ياء مشددة ، أنشدني القاسم بن معن (لأبي ذؤيب الهذلي) :
تركوا هَوَايَ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهِمَ ففقدتهم ولكل جنب مَصْرَعُ
وقال لي : بعض بني سليم : آتِيكَ بِمَوْلَى فَإِنَّهُ أَرَوِي مَنِي . قال :
أنشدني المفضل (للمنخل اليشكري) :

يَطْوُفُ بِي عِكَبٌ فِي مَعَدٍّ وَيَطْعُنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفَايَا
فَإِنْ لَمْ تَشَارُوا لِي مِنْ عِكَبٍ فَلَا أُرَوِيْتِمَا أَبَدًا صَدِيًّا(٢) .

فهذا النص للفراء يعزو الظاهرة لبعض قيس وهذيل وبعض بني سليم ولليشكريين كذلك . وقد صدق ابن جني حين قال : « هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم (٣) »

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٤ / ١١ والفائق للزمخشري ٣ / ٩١ والنهاية لابن الأثير ٤ / ٩٤ واللسان (قفا) ٢٠ / ٥٥

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٩ وانظر : المحتسب ١ / ٧٦ والخصائص ١ / ١٧٧

(٣) المحتسب ١ / ٧٦

ومما يصدق هذا أيضا ، ورودها في بيت لأبي دواد الإيادي ، وهو :
 فأبلسوني بليتكم لعلّي أصالحكم وأستدرج نويّا (١)
 وبيت آخر لأبي الأسود الدؤلي (من بكر) وهو :
 أحبهممّ لحب الله حتى أجيء إذا بعثت على هويّا (٢)

كان هذا كله في المرحلة الثانية من مراحل : تطور المقصور والأفعال
 المعتلة في العربية واللغات السامية . أما المرحلة الثالثة ، فهي تلك المرحلة التي
 تسمى في عرف اللغويين المحدثين : « انكماش الأصوات المركبة (٣) » .
 والأصوات المركبة في العربية هي الواو والياء المسبوقتان بالفتحة ، في مثل :
 « قَوْل » و « بَيْت » ؛ فإن الملاحظ في تطور اللغات هو انكماش هذه
 الأصوات ، وتحولها إلى حركات مماله ، مثل قولنا في العامية ، يُوم ، وصُوم ،
 ونُوم ، بدلا من : يَوْم ، وصَوْم ، ونَوْم . ومثل قولنا كذلك ، بَيْت ، ولَيْل ،
 وعَيْن ، بدلا من : بَيْت ، ولَيْل ، وعَيْن .

وهذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية في الأفعال الجوفاء ، ففيها
 مثلا : « قَوْم » بمعنى : قام ، و « شَيْط » بمعنى : باع ، وغير ذلك . كما توجد
 هذه المرحلة أيضا ، في اللهجات العربية التي تميل ، في مثل قوله تعالى :

(١) النقااض ١ / ٤٠٨ والخصائص ٢ / ٣٤١

(٢) الكامل للمبرد ٣ / ٢٠٥

(٣) انظر : C. Brockelmann, Syrische Grammatik, S. 6

﴿ والضُّحَى ، والليل إذا سَجَى ، ماودَّعك رَبُّك وماقَلَى ﴾ في قراءة من أمال (١).

أما المرحلة الرابعة والأخيرة في تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء ، فتتمثل في التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص . ونحن نلاحظ ذلك في تطور عبارة : « السلام عليكم » إلى : « السلام علاكم » في بعض لهجات الخطاب القديمة والحديثة ؛ فقد مرت هذه اللهجات بالإمالة أولاً ، ثم الفتح الخالص .

ونحن نلاحظ مثل هذا التطور في العربية القديمة ، في قول بعض العرب : « إن الرَّجَزَ لَعَابٌ ، أَى لَعَيْبٌ . والرجز : ارتعاد مؤخر البعير (٢) » ، كما جاء في قولهم : « تبت إليك فتقبل تابتي ، وصمت إليك فتقبل صامتي ، أَى تَوَيْتِي وَصَوْمَتِي . ذكره الواحدى في تفسير قول تعالى : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى لغة بلحارث بن كعب ، وهى قبيلة من اليمن (٣) ، وهى تلك القبيلة التى روى لنا عنها أنها كانت تلزم المثنى الألف فى جميع أحواله (٤) ؛ فقد قال أبو زيد الأنصارى فى تفسير قول الراجز :

طارت علاهنَّ فَشَلُّ علاها

« وعلاها ، أراد : عليها . ولغة بلحارث بن كعب قلب الباء الساكنة ، إذا

(١) التيسير فى القراءات السبع للدانى ٢٢٣

(٢) النوادر لأبى زيد ٣

(٣) شرح مراح الأوراح ١٢٠

(٤) تسهيل الفوائد ١٢ وشرح التسهيل ١ / ٦٦

انفتح ماقبلها ألفا ؛ يقولون : أخذت الدرهمان ، واشترت ثوبان ، والسلام
علامك . وهذه الآيات على لغتهم (١) .

وهذا الطور الأخير ، هو الذى وصلت إليه العربية ، فى المقصور
والناقص والأجوف ، فى نحو : الفتى والهدى ، وَحُبْلَى وَأَفْعَى ، ودعا وَسَعَى ،
وقام وباع ، وغير ذلك .

★ ★ ★

(٥) لغة أكلونى البراغيث :

من المعروف فى العربية ، أن الفعل يجب إفراده دائما ، حتى وإن كان
فاعله مثنى أو جموعا ، أى أنه لا تنصل به علامة تثنية ولا علامة جمع ،
للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه ؛ فيقال مثلا : « قام الرجل » و « قام
الرجلان » و « قام الرجال » ، بإفراد الفعل : « قام » دائما ؛ إذ لا يقال فى
الفصحى مثلا : « قاما الرجلان » ولا « قاموا الرجال » .

تلك هى القاعدة المطردة فى العربية الفصحى ، شعرا ونثرا . أما قبيلة
طبيء ، فقد روى لنا عنها (٢) أنها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل
المثنى ، وعلامة جمع للفاعل المجموع . وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة
العرب ، بلغة « أكلونى البراغيث » .

(١) النوادر لأبى زيد ٥٨ وانظر : الصحابى لابن فارس ٤٩

(٢) انظر : الجنى الدانى للمرادى ١٧١ وشرح درة الغواص للخفاجى ١٥٢ وبصائر ذوى

التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٥ ؛ ٢ / ١١٠ وهمع الهوامع ١ / ١٦٠ والقاموس المحيط

(الواو) ٤ / ٤١٣ والنهاية لابن الأثير ٣ / ٢٩٧ والفاثق للزمخشري ٣ / ٧٤

وقد سبق أن عرفنا أن هذه اللغة هي الأصل في اللغات السامية (١) ، كما عرفنا أن هناك ركاما لغويا كثيرا من هذه الظاهرة ، في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي القديم .

وقد استمرت هذه الظاهرة في أشعار المولدين من الطائيين وغيرهم ؛ فها هو أبو تمام الطائي ، يمتلىء ديوان شعره بالأبيات التي جاءت على هذه اللغة ، مثل قوله :

شَجِيٌّ فِي الْحَشَى تَرْدَاذُهُ لَيْسَ يَفْتُرُّ بِهِ صُؤْمَنَ آمَالِي وَإِنِّي لِمَفِطْرُ
وقد قال عنه أبو العلاء المعري في هذا الموضع (٢) : « يبين في كلام الطائي أنه كان يختار إظهار علامة الجمع في الفعل ، مثل قوله : صمن آمالي . ولو قال : صام آمالي ، لاستقام الوزن . وقد جاء بمثل ذلك في غير هذا الموضع » .

ومن أمثلة ذلك في شعره أيضا :

وَعَدًّا تَبَيَّنُ كَيْفَ غَبَّ مَدَائِحِي إِنْ مِلَنْ بِي هَمَمِي إِلَى بَعْدَادِ (٣)
ومنها كذلك قوله :

وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَابِ هَلْ كُنَّ إِذَنْ مِنْ جَهْلَهِنَّ الْبِهَائِمُ (٤)

(١) انظر الفصل الذي عنوانه : « رأى في تفسير الشواذ في لغة العرب » من فصول الباب الثاني .

(٢) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٢ / ٢١٤

(٣) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٢ / ١٣١

(٤) شرح الديوان للخطيب التبريزي ٣ / ١٧٨ وانظر أمثلة أخرى في ١ / ٢٢٤ ؛

١٢٨ / ٢ ؛ ٢٨٨ / ٣ ؛ ١٠ / ٣ ؛ ٧٤ / ٣ وغيرها .

وقد جاءت بعض أمثلة هذه الظاهرة في شعر المتنبي ؛ فمن ذلك قوله :

ورمى وما رمته يدها فصابني سهم يعذب والسهام تريح^(١)
وقال كذلك :

نفديك من سَيْلٍ إذا سُرِلَ النَّدى هَوَلٌ إذا اِخْتَلَطَا دَمٌ ومسيح^(٢)
وإذا كانت العربية الفصحى ، قد تخلّصت رويداً رويداً من هذه الظاهرة فإن بقاياها ظلت حيّة ، عند بعض القبائل العربية القديمة ، كقبيلة طيء . وقد حكيت لنا هذه اللغة كذلك عن قبيلة : « بلحارث بن كعب^(٣) » ، وقبيلة : « أزد شؤوءة^(٤) » ، وهما من القبائل اليمنية ، التي تمت لأصل قبيلة طيء بصلة^(٥) .

★ ★ ★

(٦) ذو الموصولة :

تستخدم قبيلة طيء (ذو) اسما موصولا . وهو اسم موصول قديم في اللغات السامية ، منه بقايا في لغة الشعر العبرية^(٦) . ومن أمثله فيها :
hālō'ādōnay zū ḥā'ānū lō « أليس الرب الذي أخطأنا إليه^(٧) » .

(١) ديوانه ص ١٦٥ وانظر كذلك أمالي ابن الشجري ١ / ١٣٣

(٢) ديوانه ص ١٦٩ وانظر كذلك أمالي ابن الشجري ١ / ١٣٣

(٣) انظر : بصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ والقاموس المحيط (الواو) ٤ / ٤١٣ ومغنى

الليبي ٢ / ٣٦٥

(٤) انظر : بصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦ والقاموس المحيط

(الواو) ٤ / ٤١٣ ومغنى الليبي ٢ / ٣٦٥

(٥) انظر : الاشتقاق لابن دريد ٣٦١

(٦) انظر : Gesenius, Hebräische Grammatik 115 ; 467 .

(٧) سفر إشعيا ٤٢ / ٢٤ وانظر أمثلة أخرى في المزامير ١٣٢ / ١٢ ؛ ١٤٢ / ٤ ؛

١٤٣ / ٨ وغير ذلك .

وقد ورد كذلك في نقش عربى قديم ، هو « نقش النمارة » ، الذى اكتشفه المستشرق « رينيه ديسو » ، في مدفن امرىء القيس بن عمرو بن عدى . ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ بعد الميلاد ؛ ففي السطر الأول من هذا النقش ، نقرأ الجملة التالية : « تى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج » ، وهى تعنى : « هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذى حاز التاج (١) » .

وقد شاع استخدام (ذو) هذه في كلام أهل طيء ، اسما موصولا عاما للمفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، بصورة واحدة لالتغير في كل ذلك (٢) .

وهى كثيرة الورد بهذه الصورة في أشعار طيء ؛ فمن أمثلة ذلك قول سنان الفحل الطائى :

فإن الماء ماءً أبى وجدى وبئرى ذو حفرت وذو طويت (٣)
وقول قيس بن جروة الطائى الملقب بعارق :

لئن لم تغير بعض ماقد صنعتم لأنتحين للعظيم ذو أنا عارقه (٤)

(١) انظر كتابنا : فصول في فقه العربية ٥٥ — ٥٦

(٢) انظر في ذلك : لسان العرب (الألف اللينة) ٢٠ / ٣٤٨ وشرح الحماسة للمرزوق ٢ / ٥٩١ والأزهية للهروى ٣٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٠٥ وشرح الرضى على الكافية ٢ / ٤١ (٣) البيت له في شرح المرزوق للحماسة ٢ / ٥٩١ وشرح التصريح ١ / ١٣٧ واللسان (الألف اللينة) ٢٠ / ٣٤٨ والأزهية ٣٠٣ ومجمع الأمثال ١ / ٤٥ وتوضيح المقاصد للمرادى ١ / ٢٢٨ وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٠٥ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢٢٢ وشرح ابن يعيش للمفصل ٣ / ١٤٧ وتهذيب اللغة ١٥ / ٤٤ والدرر اللوامع ١ / ٥٩ وعجزه في شرح الرضى للكافية ٢ / ٤١ وبصائر ذوى التمييز ٣ / ٢٥

(٤) البيت له في ديوان حاتم الطائى ١٧٠ والنقائض ٢ / ١٠٨٢ وشرح المرزوق للحماسة ٣ / ١٧٤٦ وخزانة الأدب ٣ / ٣٣٠ والمزهر ٢ / ٤٣٨ وألقاب الشعراء ٢ / ٣٢٧ وشرح ابن يعيش للمفصل ٣ / ١٤٨ وينسب له أو لعمر بن ملقط الطائى في نوادر أبى زيد ٦١

وقول قوّال الطائي :

قولا لهذا المرء ذوجاء ساعيا هلمّ فإن المشرفى الفرائض^(١)

وقوله كذلك :

أظنك دون المال ذوجئت تبتغي ستلقاك بيضاً للنفوس قوابض^(٢)

وقول مُلحة الجرمي الطائي :

يغادر محض الماء ذو هو مَحْضُهُ على إثره إن كان للماء من مَحْضٍ
يُرَوِّى العروق الهامدات من البلى من العرفج النجدى ذو بادَ والحمض^(٣)

وقول حاتم الطائي :

إذا مأتى يومٌ يفرقُ بيننا بموت فكن ياوهمُ ذو يتأخر^(٤)

وقوله كذلك :

ومن حسدٍ يجور على قومي وأى الدهر ذو لم يحسدوني^(٥)

وقوله أيضا :

كلوا مابه حُضراً وصُفراً ويانعا هنياً وخيرُ النفع ذو لا يكدر^(٦)

(١) البيت له في شرح المرزوق للحماسة ٢ / ٦٤٠ وخزانة الأدب ٢ / ٢٩٥ وهو بلا نسبة في شرح الرضى على الكافية ٢ / ٤١

(٢) البيت في شرح المرزوق للحماسة ٢ / ٦٤٢ وخزانة الأدب ٢ / ٢٩٦

(٣) البيتان له في شرح الحماسة للمرزوق ٤ / ١٨٠٩ ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٤٤

(٤) ديوانه ص ٢٧٢ وشعراء النصرانية قبل الإسلام ١٠٣ ورواه ابن قتيبة في : الشعر والشعراء ١ / ٢٤٩ : « بموت فكن أنت الذى يتأخر » ولا شاهد فيه !

(٥) ديوانه ص ٢٩٠ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢٢٢ والعينى على هامش الخزانة

٤٥١ / ١

(٦) ديوانه ص ٣٧٣

كما قال رجل من طيء أدرك الإسلام :
 فَإِنَّ بَيْتَ تَمِيمٍ ذُو سَمْعَةٍ بِهِ فِيهِ تَنَمَّتْ وَأَرْسَتْ عِزَّهَا مُضْرُ (١)
 وقد وردت هذه الظاهرة كذلك في شعر رجل من بني أسد (وقبيلة
 أسد تجاور طيئا) ، وهو منظور بن سحيم الفقعسي الأسدی ، في قوله :
 فإِذَا كَرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتَهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا (٢)
 كما وردت هذه الظاهرة أيضا في أمثال قبيلة طيء ؛ نحو قولهم : « أتى
 عليهم ذو أتى (٣) » ، أي : أتى عليهم الذي أتى على الناس ، وهو الموت .
 وجاءت كذلك في قول زيد الخيل الطائي لبني فزارة ، وذكر عامر بن
 الطفيل : « إني أرى في عامر ذو ترون (٤) » . ويروى الجاحظ عن الأصمعي
 أنه قال : « قال أبو سليمان الفقعسي لأعرابي من طيء : أبا مَرَأَتِكَ حَمَلٌ ؟
 قال : لا وذو بيته في السماء ، مأدري ! والله ما لها ذئب تشتال به ، وما آتيا
 إلا وهي ضبِعة (٥) » .

كما وردت (ذو) الموصولة أيضا ، على لسان « حذيفة بن سور
 العجلاني » حين قابل الأصمعي ، فسأله من هو؟ قال الأصمعي : أنا عبد
 الملك بن قريب الأصمعي . فقال حذيفة : ذو يتتبع الأعراب ، فيكتب
 ألفاظهم ؟ (٦) » .

-
- (١) نوادر أبي زيد ٦١ والكامل للمبرد ٣ / ٢١٧ والأهوية للهروي ٣٠٣ وأمالي ابن
 الشجري ٢ / ٣٥٥ وصدرة في لسان العرب (الألف اللينة) ٢٠ / ٣٤٨ وتهذيب اللغة ١٥ / ٤٥
 (٢) شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ١٤٨ ومعجم الشعراء ٢٨٢ والدرر اللوامع ١ / ٥٩
 وشرح التصريح ١ / ١٣٧
 (٣) انظر : مجمع الأمثال للميداني ١ / ٤٥ ونوادر أبي مسحل ٢ / ٤٦٢ ولسان العرب
 (الألف اللينة) ٢٠ / ٣٤٨ وتهذيب اللغة ١٥ / ٤٥
 (٤) انظر : الكامل للمبرد ٣ / ٢١٩ وعنه في ديوان زيد الخيل الطائي ١٠٧
 (٥) البيان والتبيين ٢ / ٨١ وانظر كذلك : لسان العرب (ضبيع) ١٠ / ٨٥
 (٦) المزهر للسيوطي ٢ / ٣٠٨

ويبدو أن قبيلة طيء ، لم تكن كلها تجعل (ذو) الموصولة ، ملازمة لحالة واحدة دائما ؛ فقد كان بعض الطائيين يجربها مجرى (ذى) بمعنى صاحب ، فيقيسها عليها ، ويعربها بالحروف . قال المرادى : « وبعض طيء يعرب (ذو) الطائية ، إعراب التى بمعنى : صاحب ، فيقول : جاء ذو قام ، ورأيت ذا قام ، ومررت بذى قام (١) » . وقد حكى ذلك ابن الدهان أيضا (٢) . وعلى لغة هؤلاء روى قول منظور بن سحيم السابق :

فإما كرام موسرون أتيتهم فحسبى من ذى عندهم ما كافانيا (٣)
 كما أن بعض الطائيين ، يفرق بين المذكر والمؤنث فى الموصول ؛ فيجعل (ذو) للمذكر مطلقا ، مفردا ومثنى ومجموعا ، و(ذاتُ) للمؤنث مطلقا ، مفردا ومثنى ومجموعا كذلك (٤) ؛ قال ابن الشجرى : « وذو موحدة على كل حال فى التشية والجمع ، وكذلك ذاتُ موحدة مضمومة فى كل حال (٥) » . وحكى هذه اللغة الجزولى (٦) .

وقد جاء عليها مارواه الفراء فى كتابه : « لغات القرآن » من أنه سمع

(١) الجنى الدانى ٢٤٢ وانظر : شرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢٢٢ وشرح التصريح

١ / ١٣٧

(٢) انظر : شرح الرضى على الكافية ٢ / ٤١

(٣) روى البيت على هذه اللغة فى شرح الحماسة للمرزوق ٣ / ١١٥٨ وشرح التسهيل

لابن مالك ١ / ٢٢٢ والمقرب ١ / ٥٩ وتوضيح المقاصد للمرادى ١ / ٢٢٩

(٤) انظر : الأزهية ٣٠٣ وشرح الرضى على الكافية ٢ / ٤١ ولسان العرب (الألف

اللينه) ٢٠ / ٣٤٨

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٥

(٦) انظر : شرح الرضى على الكافية ٢ / ٤١

أعرابيا من طييء يسأل ويقول : « بالفضل ذو فضلکم الله به ، وبالكرامة ذات أكرمکم الله به ^(١) » أى بها .

وبعض هؤلاء الطائيين ، يصرف هذا الاسم تصريفا كاملا ، يختلف في المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ^(٢) ؛ فيقول : هذا ذو نعرف ، وهذان ذوا نعرف ، وهؤلاء ذوو نعرف ، وهذه ذات نعرف ، وهاتان ذواتا نعرف ، وهؤلاء ذوات نعرف . ويضمون التاء من : (ذات) و (ذوات) على كل حال .

وأنشد الفراء على هذه اللغة ، قول رؤية بن العجاج :

جمعتها من أينسق موارق

ذوات ينهضن بغير سائق ^(٣)

وخلاصة القول في هذه المسألة ، أن طيئا تنقسم في (ذو) الموصولة ،

على أربع فرق :

الأولى : توحد (ذو) دائما ، وتبنيها على الضم .

الثانية : توحد (ذو) دائما ، وتعربها لإعراب (ذى) بمعنى : صاحب .

الثالثة : تجعل (ذو) لمفرد المذكر ومثناه وجمعه ، و (ذات) لمفرد المؤنث

ومثناه وجمعه .

(١) انظر : شرح التصريح ١ / ١٣٨ والأزهية ٣٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٥٥ واللسان (الألف اللينة) ٢٠ / ٣٤٨ وتهذيب اللغة ١٥ / ٤٤ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢١٨ والمقرب ٥٩ / ١

(٢) روى ذلك الفراء في كتاب : لغات القرآن . انظر : شرح التصريح ١ / ١٣٨ والمقرب ١ / ٥٩

(٣) انظر : الأزهية ٣٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٥٥ والمقرب ١ / ٥٨ وشرح التصريح ١ / ١٣٨ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ٢١٨ وانظر كذلك ملحق ديوان رؤية ق ٧٠ / ١

الرابعة : تصرّف (ذو) على حسب الأفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث .

والفرقة الأولى ، تمثل الظاهرة في صورتها القديمة ، بدليل ما في العبرية ، والنقوش العربية القديمة . وما عند غير هذه الفرقة ، تطور لعب فيه القياس اللغوى دورا كبيرا .

★ ★ ★

(٧) الوقف على تاء التأنيث :

من المعروف أن العربية الفصحى ، تقف على تاء التأنيث في الاسم بالهاء (١) ، ولكن قبيلة طيء وحدها ، من بين القبائل العربية القديمة ، كانت تقف على هذه التاء بغير إبدال ، فتبقيها تاء كحالتها في الوصل سواء بسواء ؛ « قال الفراء : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئا ، فإنهم يقفون عليها بالتاء ؛ فيقولون : هذه أُمَّتٌ ، وَجَارِيَتٌ ، وَطَلْحَتٌ (٢) » .

وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة ، وإن لم يسمّ القبيلة التي تخصّها ، وروى ذلك عن أبى الخطاب الأنخفش ، فقال : « وزعم أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون في الوقف : طلحت ، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحداً في الوقف والوصل (٣) » .

(١) انظر في تفسير هذه الظاهرة : مقدمة تحقيقنا لكتاب البلغة لابن الأنباري .

(٢) اللسان (ها) ٣٧٠/٢٠ وانظر كذلك : شرح شواهد الشافية ١٩٩/٤

(٣) كتاب سيبويه ٢٨١/٢ وانظر : شرح شواهد الشافية ٢١٨/٤

وعلى هذه اللغة ، جاء قول بعضهم : « وعليه السلام والرحمت (١) » ،
وقول أبي النجم العجلي :

اللَّهُ نَجَاكَ بِكَفِّي مَسَلَمَتْ
من بعدما وبعدهما وبعدهمَتْ
صارت نفوس القوم عند العُلُصَمَتْ
وكادت الحرة أن تُدْعَى أُمَّتْ (٢)

وقول سؤر الذئب :

بل جَوَزَ تِهَاءَ كظَهَرَ الحَجَفَتْ (٣)

وهذا الذي تصنعه قبيلة طيء ، هو ما يوجد في اللغتين : الأكادية
والحبشية (٤) من اللغات السامية ، أخوات اللغة العربية . وهو يروى كذلك
عن اللغة الحميرية ؛ قال ابن منظور : « والوثب : القعود ، بلغة حمير ، يقال :
ثَبُّ ، أى : اقعده . ودخل رجل على ملك من ملوك حمير ، فقال له الملك :
ثب ، أى اقعده ، فوثب فتكسر ، فقال الملك : ليست عندنا عَرَبِيَّتٌ ، من

(١) شرح ابن يعيش للمفصل ٩ / ٨١ والخصائص ١ / ٣٠٤ والمختص ٢ / ٩٢ وشرح
شواهد الشافية ٤ / ١٩٩ ؛ ٤ / ٢٢٠

(٢) الأبيات لأبي النجم في اللسان (ما) ٢٠ / ٣٦١ وشرح التصريح ٢ / ٣٤٤ والدرر
اللوامع ٢ / ٢١٤ وهى بلا نسبة في شرح المفصل ٥ / ٨٩ ؛ ٩ / ٨١ والخصائص والعينى على
هامش الخزانة ٤ / ٥٥٩ والدرر اللوامع ٢ / ٢٣٥ والخزانة ٢ / ١٤٨ والخصائص ١ / ٣٠٤

(٣) هو لسؤر الذئب في ١٤ بيتا في اللسان (حجف) ١٠ / ٣٨٣ و ١٣ بيتا في شرح
شواهد الشافية ٤ / ٢٠٠ وبلا نسبة في اللسان (بلل) ١٣ / ٧٤ والإنصاف ٢٣٢ والمختص
٢ / ٩٢ والمختص ٩ / ٧ ؛ ١٦ / ٨٤ ؛ ١٦ / ٩٦ ؛ ١٦ / ١٢٠ وشرح المفصل ٢ / ١١٨ ؛ ٤ / ٦٧
٥ / ٨٩ ؛ ٩ / ٨١ ؛ ١٠ / ٤٥ والخصائص ١ / ٣٠٤ ؛ ٢ / ٩٨

(٤) انظر : فقه اللغات السامية لبروكلمان ٩٦

دخل ظفارِ حَمْرٍ ، أى تكلم بالحميرية . وقوله : عربيت ، يريد : العربية ، فوقف على الهاء بالتاء ، وكذلك لغتهم (١) .

وقد حدث ذلك أيضا في كثير من المؤنثات العربية ، التي دخلت اللغة التركية ، ولذلك كتبها الأتراك بالتاء المفتوحة ، ومنها كثير من الأعلام العربية ، التي جاءتنا من تركيا بصورتها الجديدة ؛ مثل : طلعت ، وعزّت ، وألفت ، وقسمت ، ونعمت ، وحشمت ، ومدحت ، وعفّت ، وبهجت ، وعصمت ، وشوكت ، ومرفت ، وثروت ، وغيرها .

فهذه الأعلام ليست في الحقيقة ، إلا الصورة التركية ، للمصادر والأسماء العربية التالية : طلعة ، وعزّة ، وألفة ، وقسمة ، ونعمة ، وحشمة ، ومدحة ، وعفة ، وبهجة ، وعصمة ، وشوكة ، ومرورة ، وثروة ، ونحوها .

غير أن المصادر العربية ، تروى لنا كذلك أن قبيلة طيء ، كانت تقف على تاء جمع المؤنث السالم ومايمثلها بالهاء ؛ وهذا ما يحكيه قطرب عنهم (٢) ؛ فقد سُمع بعضهم يقول : « دَفَنُ البَنَاهِ من المكرماه » يريد : دفن البنات من المكرمات ، ويقول : « كيف الإخوة والأخواه » يريد : كيف الإخوة والأخوات . ومثل ذلك أيضا قولهم : « هيباه » و « أولاه » في : هيبات وأولات (٣) .

(١) لسان العرب (وثب) والخصائص ٢ / ٢٨ وإصلاح المنطق ١٦٢ والمخصص

٨٤ / ١٦

(٢) انظر : المتع ١ / ٤٠٢ وشرح التصريح ٢ / ٣٤٣ وشرح ابن يعيش للمفصل

٤٥ / ١٠

(٣) انظر : شرح الأشموني ٤ / ٢١٤ ومع الهوامع ٢ / ٢٠٩ والمتع ١ / ٤٠٢ وشرح

التصريح ٢ / ٣٤٣

ويبدو أن ذلك لم يكن لغة لهم جميعا ، بدليل قول بعض المصادر العربية في عرض هذه الظاهرة : « وسمع إبدالها هاء في قول بعضهم (١) » . ونحن نفترض في بعض هؤلاء الطائعين ، أنهم كانوا يقفون على تاء التأنيث في المفرد بالهاء (٢) ، كما في العربية الفصحى تماما ، غير أن هؤلاء القوم قاسوا تاء جمع المؤنث السالم ، على تاء تأنيث المفرد ، ولاسيما تلك التاء التي تقع في المفرد بعد ألف ؛ مثل تاء : صلاة ، وزكاة ، وحياة ، وقناة ، وأداة ، وأناة ، ونجاة ، وحماة ، وفلاة ، ووفاة ، وحصاة ، ونواة ، وفتاة ، ودواة ، ومهاة ، وغيرها .

وقد فطن إلى هذا ، الشيخ خالد الأزهرى ، فقال وهو يتحدث عن المثال : دَفَنَ البَنَاءَ من المكرماه : « بإبدال تاء الجمع هاء في الوقف ، تشبيها بتاء التأنيث الخالصة (٣) » .

وفي بعض اللهجات العربية المعاصرة ، كلهجة « القصيم » في الجزيرة العربية ، قياس عكسى في هذه الظاهرة ؛ إذ يقف الناس في لهجات الخطاب هناك على تاء التأنيث المسبوقة بالألف في المفرد ، بالتاء ؛ قياسا على الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بالتاء .

★ ★ ★

(١) انظر : شرح الأشموني ٤ / ٢١٤

(٢) وانظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ٤٥

(٣) شرح التصريح ٢ / ٣٤٣

الفصل الثاني من امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة

في ظن كثير من الناس أن اللهجات الحية المعاصرة ، في البلاد العربية المختلفة ، ليست إلا انحطاطا من العربية الفصحى . وليس هذا الظن إلا وليداً لاعتقادهم بأن العربية الفصحى ، كانت هي اللغة الوحيدة السائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وأنها فسدت باختلاطها باللغات المجاورة ، عقب الفتوحات الإسلامية .

غير أن ذلك الظن ، ليس إلا سرايا خدّاعا ؛ فقد روى لنا الكثير والكثير جدا ، عن تعدّد اللهجات العربية القديمة ، بتعدد القبائل المختلفة ، وهذا يتفق مع ماينادى به بعض المحدثين من علماء اللغة ، من أنه يستحيل على أية مجموعة بشرية تشغل مساحة شاسعة من الأرض ، أن تحتفظ في لهجات الخطاب بلغة موحّدة .

نعم .. فقد كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام ، تموج بثتى اللهجات المتباينة ، التى يخالف بعضها بعضا ، فى شىء من الصوت ، أو البنية ، أو الدلالة ، أو التركيب ... ولكن اللغويين العرب ، لم يصفوا لنا تلك اللهجات العربية القديمة وصفا دقيقا كاملا فى كثير من الأحيان ؛ وذلك لانشغالهم فى المقام الأول بالعربية الفصحى ، تلك اللغة الأديبة المشتركة ، بين مجموع القبائل العربية ، والتى كانوا يستخدمونها فى مواقف الجِدِّ من القول ، وينظمون بها أشعارهم ، ويصبّون فيها حكمهم وأمثالهم ، ثم شرفها الله تعالى ، فأنزل كتابه الكريم ، بأعلى ماتصبو إليه هذه اللغة من فصاحة وبلاغة .

ومنذ ذلك الحين ، ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد النحاة واللغويون في دراستها ، وتحديد معالمها ، من نواحي الأصوات ، والصيغ والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة في داخل هذا التركيب .

ومع أن الهدف الأساسي عند هؤلاء اللغويين ، كان هو محاولة رسم معالم اللغة الأدبية ، لغة القرآن الكريم والشعر والخطابة ، وغير ذلك من الفنون الأدبية ، وهي تلك اللغة التي اصطلاحنا على تسميتها بالفصحى ، فإننا نراهم يروون لنا في بعض الأحيان ، مقتطفات مبتورة ، عن تلك اللهجات العربية القديمة ، معزوة إلى أصحابها حيناً ، وغير معزوة حيناً آخر ، ومختلطة بالفصحى كذلك في بعض الأحيان .

وتمتلىء المصادر العربية القديمة ، بالحديث عن كثير من خصائص هذه اللهجات القديمة ، كصفحة هذيل ، وعننة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوزان ، وقطعة طيء ، وعجعة قضاة ، وغير ذلك من الظواهر اللهجية ، الملقبة بألقاب مختلفة عند اللغويين العرب ، كما حدثونا عن شيء كثير من الظواهر ، التي لم يلقبوا هذه القبيلة أو تلك .

وإن من يتأمل هذا الذي روى لنا عن اللهجات القديمة ، في بطون المصادر العربية ، يخرج بنتيجة صريحة واضحة ، وهي أن ما نراه الآن في بعض لهجاتنا الحية المعاصرة ، ليس في بعض ظواهره ، إلا امتداداً لهذا الذي روى لنا في القديم .

وفيما يلي نضرب بعض الأمثلة على ذلك :

نحن نعرف أن العربية الفصحى ، تفتح حرف المضارعة في الثلاثي ، في نحو : يكتب ، ويفتح ، ويضرب ، ويقول ، ويبيع ، ويرمى ، ويروى ، وغير ذلك ، على حين نرى كثيرا من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية المختلفة تكسر حرف المضارعة في هذه الأمثلة وأشباهاها . وهذا عينه هو ما رواه لنا أكثر القدماء ^(١) عن قبيلة « بهراء » ، وتعرف هذه الظاهرة عند هؤلاء القدماء باسم : « تلتلة بهراء » .

وعزاها صاحب لسان العرب إلى كثير من القبائل العربية ؛ فقال : « وتَعَلَّم ، بالكسر : لغة قيس ، وتميم ، وأسد ، وربيعة ، وعمامة العرب . وأما أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز هوزان ، وأزد السَّراة ، وبعض هذيل ، فيقولون : تَعَلَّم ، والقرآن عليها . وزعم الأحفش أن كل من ورد علينا من الأعراب ، لم يقل إلا تَعَلَّم بالكسر ^(٢) . » ويقول الفراء إن النون في نستعين « مفتوحة في لغة قريش . وأسدٌ وغيرُهُم يكسرها ^(٣) » .

وقد جاءت هذه الظاهرة ، في رجز لحكيم بن مُعَيَّة الرَّبِعي ، وهو :

لو قلت مافي قومها لم تَيْتَم
يفضُّلها في حَسَبٍ ومِيسَمٍ ^(٤)

(١) مجالس ثعلب ١ / ٨١ وعنه في الخصائص ٢ / ١١ وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٥
ودرة الغواص ١١٤ والخزانة ٤ / ٥٩٦

(٢) لسان العرب (وقى) ٢٠ / ٢٨٣

(٣) الصاحبى لابن فارس (نشرة الشومى) ٤٨ وفيه : « في لغة قيس » ، وهو تحريف ، والصواب مافي نشرة السيد صقر ٢٨ والمزهر ١ / ٢٥٥ عن ابن فارس . وقد وقع « راين » (Ancient, p.61) في وهم آخر ، حين عطف « أسدا » على « قريش » في هذا النص !

(٤) خزانة الأدب ٢ / ٣١١ وتهذيب الألفاظ ٢٠٧

أى : « لم تأثم » ، التي صارت بعد كسر حرف المضارعة : « تَتُّم » ،
 وخففت الهمزة فصارت : « تَيْتَم » كما في البيت .
 وقد روى ابن جنى بيتا عن أعرابي من بنى عُقَيْل ، كسرت فيه الهمزة
 في الفعل : (أخاف) ؛ فقال : وأنشدني عُقَيْلي فصيح لنفسه :
 فقومى هُم تميمٌ يأممَارِي وجوثة ما إخاف لهم كِثَارَا
 فكسر الهمزة من : « إخاف » (١)
 كما روى ابن الأنباري بيتا للمرار الفقعسي ، كَسَرَ فيه التاء
 من : « تَعْلَم » في قوله :

قد تَعْلَمُ الخيلُ أيا ما تطاعِنُها من أى شِنْشِيَّةٍ أنتَ ابنَ مَنْظُورِ
 وقال بعده : « قال أبو بكر : قال أبنى : أنشدني أبو جعفر : قد تَعْلَمُ ،
 بكسر التاء ، وقال : هي لغة بنى أسد ؛ يقولون : تَعْلَمُ ، وإِعْلَمُ ، ونِعْلَمُ ،
 ومثله كثير (٢) » .

وقد قرىء بهذه اللغة ، في بعض القراءات الشاذة ، فقد روى عن
 يحيى بن وثَّاب ، والأعمش ، وطلحة بن مصرف ، وحمزة بن حبيب الزيات ،
 أنهم قرءوا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ (هود)
 (١١ / ١١٣) بكسر التاء في الفعلين . وقال ابن جنى في التعليق على هذه
 القراءة : « هذه لغة تميم ، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور ؛
 نحو عَلِمْتَ تَعْلَمُ ، وأنا إِعْلَمُ ، وهي تَعْلَمُ ، ونحن نِرْكَبُ . وتقل في الياء ؛
 نحو : يِعْلَمُ ، ويرْكَبُ ، استثقالا للكسرة في الياء ، وكذلك ما في أول ماضيه
 همزة وصل مكسورة ؛ نحو : تَنْطَلِقُ ، ويوم تَسُودُّ وجوه وتَبْيَضُّ وجوه (٣) »

(١) المصنف ١ / ٣٢٢

(٢) الفضليات بشرح ابن الأنباري ٢٠

(٣) المحتسب لابن جنى ١٠ / ٣٣٣

وهذه الظاهرة — ظاهرة كسر حرف المضارعة — سامية قديمة ،
توجد في العبرية ^(١)، والسريانية ^(٢)، والحبشية ^(٣) . والفتح في أحرف
المضارعة ، حادث في رأى ، في العربية القديمة ؛ بدليل عدم وجوده في
اللغات السامية الأخرى ، وبدليل مابقى من الكسر في كثير من اللهجات
العربية القديمة .

وهناك دليل ثالث على أصالة الكسر في حروف المضارعة ، في
اللغات السامية ، وهو استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة
كلها ؛ إذ نقول مثلا : « مِين يِقْرَأُ وَمِين يَسْمَعُ ؟ » ، بكسر حرف
المضارعة ، في لغة التخاطب اليومية . ولم يبق فتح حرف المضارعة في
اللهجات الحديثة — فيما أعلم — إلا في لهجة نجد ، إذا كانت فاء المضارع
ساكنة ؛ مثل : يَرْمِي ، وَيَلْعَبُ ، وَيَرْكُضُ . ولايكسر حرف المضارعة في
هذه اللهجة ، إلا إذا كان مابعد متحركا ؛ مثل : يَسُوقُ ، وَيُنُومُ (مضارع :
نام) ، وَيَسَابِقُ ، وَيَلَامُ ، وَيَهَاوِشُ ، وغير ذلك .

وقد بقيت بعض آثار هذا القديم ، في العربية الفصحى نفسها ، في
بعض الأمثلة ؛ إذ يُكْسَرُ في الفصحى حرف المضارعة ، في : « إخال »
بمعنى : « أظن » في كثير من النصوص التي وصلت إلينا . ومن شواهد قول
أبي ذؤيب :

فغبرتُ بعدهمُ بعيشِ ناصبٍ وإخالُ أني لاجِقٌ مُستبَعُ (٤)

(١) انظر : Gesenius, Hebräische Grammatik, S.133 .

(٢) انظر : Brockelmann, Syrische Grammatik , S.85 .

(٣) انظر : Praetorius, Aethiopische Grammatik, S.48 .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٨ والمنصف لابن جني ١ / ٣٢٢

- وقول العباس بن مرداس :
 قد كان قومك يحسبونك سيِّداً وإخخال أنك سيِّدٌ معيُونُ (١)
- وقول زهير بن أبي سلمى :
 وما أدري وسوف إخال أدري أقومُ آل حِصْن أم نساء (٢)
- وقول كعب بن زهير :
 أرجو وآملُ أن تدنو مودَّتُها وما إخال لَدَيْنَا منك تنوِيلُ (٣)
- وهذا هو ماسميناه هنا من قبل : « الركام اللغوى للظواهر المندثرة في اللغة » ، ومعناه أن الظاهرة اللغوية ، قبل أن تموت ، قد تبقى منها أمثلة ، تعين على معرفة الأصل .



ومن الأمثلة التي تؤيد مانذهب إليه ، من أن اللهجات المعاصرة ليست إلا امتداداً لشيء من اللهجات العربية القديمة أيضا ، مايشيع في بعض اللهجات العربية الحديثة ، في مصر وغيرها ، من استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائى على التمام ، أى على وزن مفعول ، دون إعلال يطرأ عليه ، فيقول الناس في مصر مثلا : فلان مَدْيُون ، أى عليه دَيْن ، ومَرِيْوْح ، أى ضعيف لايقدر على حمل الأثقال ، ومَطْيُور ، أى متسرّع في عمله ، ومَحْيُول ، أى منشغل بما في خياله من أوهام . كما يقال في

(١) ديوانه ق ٣٨ / ٢ ص ١٠٨ ولسان العرب (عين) ١٧ / ١٨٦

(٢) ديوانه ص ٧٣ ولسان العرب (قوم) ١٥ / ٤٠٨

(٣) ديوانه ص ٩

بعض البلاد العربية عن الثوب إنه مَخِيُوط ، وعن فلان من الناس إنه مَهْيُوب ، وعن الشيء إنه مَعْيُوب ومَبْيُوع ، وعن الحَبِّ إنه مَكْيُول .. وغير ذلك .

والعربية الفصحى تُعَلُّ هذه الأسماء وما يشبهها بما يسمى الإعلال بالنقل ؛ فتقول مثلاً : مَدِين ، وَمَخِيْط ، وَمَعْيِب ، وَمَبْيِع ، وَمَكْيِل ، وغير ذلك .

غير أن هذا الذى قد شاع فى اللهجات العامية المعاصرة ، ليس إلا لهجة لقبيلة تميم (١) ، من القبائل العربية القديمة . قال البغدادي فى التعليق على قول العباس بن مرداس السلمى :

قد كان قومك يحسبونك سيدا وإخال أنك سيد مغيون
« قوله : مغيون ، جاء على لغة تميم . ولغة غيرهم : مَغِين ... ومغيون ، بالغين المعجمة — اسم مفعول من قولهم : غِين على قلبه ، أى : غُطِّي عليه . وفى الحديث : وإنه لِيُغَان على قلبى . ولكن الناس ينشدونه بالباء ، وهو تصحيف . وقد روى بالعين غير المعجمة ، أى مصاب بالعين . والأول هو الوجه ، وكلاهما مما جاء فيه التصحيح ، وإن كان الاعتلال فيه أكثر كقولهم : طعام مزبوت ، وِبُرٌّ مكبول ، وثوب مخيوط . والقياس : مَغِين ، ومَزَيْت ، ومَكْيِل ، ومَخِيْط (٢) . »

وقد أشار سيبويه إلى هذه اللغة ، وإن لم ينسبها إلى تميم ؛ فقال :
« وبعض العرب يُخْرِجه على الأصل ؛ فيقول : مخيوط ومبيوع (٣) . » . وكثير

(١) انظر : شرح الشافية ٣ / ١٤٩

(٢) شرح شواهد الشافية ٤ / ٣٨٨ — ٣٨٩

(٣) كتاب سيبويه ٢ / ٣٦٣

من هذه الكلمات السابقة ، تذكر في بعض المعاجم العربية ، بالتصحيح والإعلال ، جنبا إلى جنب ، دون نسبة إلى قبيلة معينة (١) .

★ ★ ★

ومن الأمثلة على موضوعنا كذلك : ماشاع على ألسنة الناس من قولهم في لهجات الخطاب : « ظلموني الناس » و « لاموني العواذل » و « زارونا الجيران » و « تَنُو صَاحِي لَحْدَ مَا رَجَعُوا الْعِيَالِ مِنْ بَرِّهٖ » ، أى بِالْحَاقِ الْفَعْلِ علامة جمع ، وهو متقدم على الفاعل المجموع .

ومن المعروف في العربية الفصحى ، أن الفاعل يجب إفراده دائما ، حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعا ، أى أنه لا تتصل به علامة تثنية ولا علامة جمع ، للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه ؛ فيقال مثلا : « قام الرجل » و « قام الرجلان » و « قام الرجال » بإفراد الفعل : « قام » دائما ؛ إذ لا يقال في الفصحى مثلا : « قاما الرجلان » ولا « قاموا الرجال » .

تلك هى القاعدة المطردة في العربية الفصحى ، شعرا ونثرا . أما قبيلة طيء القديمة ، فقد روى لنا عنها (٢) أنها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل المثنى ، وعلامة جمع للفاعل المجموع . وقد حُكيت لنا هذه اللغة

(١) انظر مثلا : الصحاح (عيب) ١ / ١٩٠ (خيط) ٣ / ١١٢٦ (بيع) ٣ / ١١٨٩
(خيل) ٤ / ١٦٩١ (كيل) ٥ / ١٨١٤ (دين) ٥ / ٢١١٧ (عين) ٦ / ٢١٧١

(٢) انظر : الجنى الدانى للمردى ١٧١ وشرح درة الغواص للخفاجى ١٥٢ وبصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٥ ؛ ٢ / ١١٠ وجمع الهوامع ١ / ١٦٠ والقاموس المحيظ (الواو) ٤ / ٤١٣ والنهاية لابن الأثير ٣ / ٢٩٧ والفائق للزمخشري ٣ / ٧٤

كذلك ، عن قبيلة « بلحارث بن كعب (١) » ، وقبيلة « أزد شنوءة (٢) » ، وهما من القبائل اليمنية ، التي تمت لأصل قبيلة طيء بصلة (٣) .

وقد عرفنا من قبل (٤) أن مقارنة اللغات السامية أخوات العربية ، وهي : العبرية والآرامية والحبشية والأكدية ، تدل على أن الأصل في تلك اللغات ، أن يلحق الفعل علامة التثنية والجمع ، للفاعل المثني والمجموع ، كما تلحقه علامة التانيث ، عندما يكون الفاعل مؤنثا ، سواء بسواء .

كما ذكرنا من قبل أيضا أن هذه اللغة هي التي تعرف عند علماء النحو باسم : « لغة أكلوني البراغيث » . ويبدو أنها كانت شائعة كذلك في عصر الحريري (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) الذي عدّها من اللحن (٥) ، وردّ عليه الشهاب الخفاجي ؛ فقال : « وليس الأمر كما ذكره ، فإن هذه لغة قوم من العرب ، يجعلون الألف والواو ، حرفي علامة للتثنية والجمع ، والاسم الظاهر فاعلا ، وتعرف بين النحاة بلغة : أكلوني البراغيث ؛ لأنه مثالها الذي اشتهرت به ، وهي لغة طيء ، كما قاله الزمخشري . وقد وقع منها في الآيات ، والأحاديث ، وكلام الفصحاء ما لا يُحصى (٦) » .

(١) انظر : بصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ والقاموس المحيط (الواو) ٤ / ٤١٣ ومغنى اللبيب ٣٦٥ / ٢

(٢) انظر : بصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦ والقاموس المحيط (الواو) ٤ / ٤١٣ ومغنى اللبيب ٢ / ٣٦٥

(٣) انظر : الاشتقاق لابن دريد ٣٦١

(٤) انظر هنا فصل : « رأى في تفسير الشواذ في لغة العرب » .

(٥) انظر : درة الغواص في أوهام الخواص ٦٥

(٦) انظر : شرح درة الغواص ، للشهاب الخفاجي ١٥٢

وقد بقيت هذه الظاهرة ، شائعة — كما قلنا — في كثير من اللهجات العربية الحديثة . وهي امتداد للأصل السامي واللهجات العربية القديمة ، بلا شك .

★ ★ ★

ومن الظواهر اللغوية الشائعة في اللهجات المعاصرة ، وهي امتداد للتقديم كذلك : ظاهرة سقوط الهمزة ، في غير أول الكلمة كثيرا ، مثل قولنا في لهجات الخطاب : بير ، وياكل ، ورأس ، ويملا ، ويقرا ، ورئيس ، وخطيئة ، ورؤوس ، وقوس ، وعباية ، وملاية ، ويؤدى ، وجينا ، ومروءة ، ونحو ذلك ؛ بدلا من بئر ، ويأكل ، ورأس ، ويملا ، ويقرأ ، ورئيس ، وخطيئة ، ورعوس ، وفئوس ، وعباة ، وملاءة ، ويؤدى ، وجئنا ، ومروءة ، وغير ذلك في العربية الفصحى .

كما يقع الهمز من أوائل بعض كلمات العامية ، في حالات قليلة ؛ مثل : سنان ، في : أسنان ، وسبوع ، في : أسبوع ، وإيه اللي صابك ؟ في : أصابك ، وبراهيم ، وسماعين ، في : إبراهيم وإسماعيل ، ويوم الحد ، في : يوم الأحد ، وغير ذلك .

وليست هذه الظاهرة في اللهجات المعاصرة ، إلا امتدادا لما كان عند الحجازيين القدماء ، في نطقهم لهذه الكلمات وأمثالها .

ومع أن هذا الصوت أصيل في اللغات السامية ، فإن الجهد العضلي الذى يتطلبه في نطقه ، أدى إلى ضياعه في كثير من اللغات السامية ، واللهجات الحجازية القديمة في العربية ؛ قال ابن يعيش : « اعلم أن الهمزة

حرف شديد مستثقل ، يخرج من أقصى الحلق ؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق ، فاستثقل النطق به ؛ إذ كان إخراجهم كالتهوع ؛ فلذلك الاستثقال ساغ فيه التخفيف ، وهو لغة قريش ، وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة . والتحقيق لغة تميم وقيس (١) .

ولهذا السبب لم يبق هذا الصوت على حاله ، في كثير من اللغات السامية ، منذ زمن قديم ، ولم يكن العرب على سواء في معاملة هذا الصوت ، في العصر الجاهلي ، فلم يكن يُنطَقُ به على صورته الأصلية إلا القبائل النجدية ، وبخاصة تميم وقيس . ويسمى اللغويون العرب نطقهم هذا : بتحقيق الهمز ، كما رأينا في نص ابن يعيش السابق .

وقد تبنت العربية الفصحى لغة القرآن الكريم ، هذا التحقيق للهمز ، وسارت فيه على الأصل إلا في كلمات قليلة اقتضتها من اللغة القرشية (٢) أما القبائل الحجازية (٣) ، وعلى رأسها قبيلة قريش ، فإنها كانت تسقط الهمزة من نطقها ، في غير أول الكلمة ، في غالب الأحيان (٤) ؛ قال

(١) شرح ابن يعيش للمفصل ٩ / ١٠٧ وانظر كذلك : شرح مراح الأرواح ٩٩

(٢) ذكرنا بعض هذه الأمثلة في فصل : « رأى في تفسير الشواذ في لغة العرب » .

(٣) يبدو أن بعض القبائل الحجازية كانت تحقق الهمز كذلك ، فقد قال سيبويه

(٢ / ٨٠) : « قد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريعة ، وذلك قليل ردىء » .

وقال (٢ / ١٦٩) : « واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من تميم وأهل

الحجاز » .

(٤) يقول « برجشتراسر » في التطور النحوي ٤٥ : « أكثر الهمزات كانت لاتنطق في

لهجة الحجاز ، إلا ما كان منها في أوائل الكلمات ، وبعض ما وقع منها بين حركتين » .

(بحوث ومقالات ١٨)

أبو زيد الأنصاري : « أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا . قال : وقال أبو عمر الهذلي : قد توضيت ، فلم يهمز وحوها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز (١) » .

وقال ابن منظور : « ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حج المهدي قَدَّم الكسائي يصلي بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل المدينة عليه ، وقالوا : تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن؟! (٢) » .

كما قال ابن عبد البر في التمهيد : « قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ؛ لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن ، من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لاتهمز (٣) » .

وهذا كله معناه أن لهجة الحجازيين الأصلية ، تسهيل الهمز . أما قول عيسى بن عمر الثقفي فيما تقدم : « فإذا اضطروا نبروا » ، فيمكن أن يكون معناه أن الحجازيين ، إذا اصطنعوا اللغة المشتركة ، أي اللغة العربية الفصحى ، حققوا الهمز ، كما يمكن أن يكون عيسى بن عمر قد قصد بذلك ، الهمزة التي توجد في أول كلمة .

ولذلك يعدّ الجواليقي (المتوفى سنة ٥٣٩ هـ) سقوط الهمز من أول الكلمة ، على ألسنة الناس في عصره ، من اللحن ؛ فقد روى لنا مثلاً أن

(١) انظر : مقدمة لسان العرب لابن منظور ١ / ١٤

(٢) لسان العرب (نبر) ٧ / ٤٠ وانظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٦٣٣

(٣) انظر : البرهان للزركشي ١ / ٢٨٤

الناس كانوا يسقطون همزة (أبو) في كلامهم ؛ فقال : « وهو أبو رياح ، لهذا الذى يلعب به الصبيان وتديره الريح ، ولا تقل : بُرياح . وكذلك يقولون للقرد : بُورنَّة ، وإنما هو : أبو زَنَّة ، وهى كنيته . »

ولاتزال هذه الظاهرة شائعة فى تونس والجزائر مثلا ، فى قولهم : « بومدين » و « بو تفليقة » ، و « جميلة بوحرید » . وكان لنا زميل تونسى بجامعة ميونخ اسمه : « عثمان بوغانمى » . كما تشيع هذه الظاهرة فى بعض الأسماء فى الجزيرة العربية ؛ مثل : « باحسين » و « باخشوين » و « باكلاً » و « بابطين » .



ولسنا نريد هنا الإكثار من الأمثلة ، التى تدل على مذهبنا ، فى أن كثيرا من الظواهر اللهجية المعاصرة فى العربية ، ليست إلا امتداداً لشيء من القديم . ويكفى أن نذكر هنا بكشكشة ربعة ، التى تشيع فى بلاد الخليج العربى ، وبعض قرى مصر ، وكسكسة هوزان ، التى تشيع فى كثير من بلاد نجد ، وإبدال بنى تميم الجيم ياء ، وامتداد ذلك فى جنوبى العراق وبلدان الخليج ، فى مثل : مَسِيد ، وذيَّاي ، وريَّال ، بدلا من : مسجد ، ودجاج ، ورجل ...

وغير ذلك كثير كثير ... يحتاج بحته واستقصاؤه إلى شيء من الصبر ، وكثير من الجهد ... الصبر على قراءة المطولات من أمهات كتب العربية ، والجهد فى التقصّى والتتبُّع والتفسير .. والله الموفق .



قائمة المصادر العربية

- ١- الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق الدكتور عز الدين التنوخي - دمشق ١٩٦٠ م .
- ٢- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للبنا - القاهرة ١٣١٧ هـ .
- ٣- أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم ، لأنيس فريجة - بيروت ١٩٦٢ م .
- ٤- أخبار النحويين البصريين للسيزافي - نشر محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٥- أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري - تحقيق جرّونرت - ليدن ١٩٠٠ م .
- ٦- أراجيز العرب ، للسيد توفيق البكري - القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- ٧- الأزهية في علم الحروف ، للهروي - تحقيق عبد المعين الملوحى - دمشق ١٩٧١ م .
- ٨- أساس البلاغة ، للزمخشري - القاهرة ١٩٢٢ م .
- ٩- أسباب حدوث الحروف ، للرئيس ابن سينا - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ١٠- الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ :
- ١١- الاشتقاق ، لابن دريد الأزدى - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١٢- إصلاح المنطق ، لابن السكيت - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٣- الأسمعيات ، للأصمعي - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٤- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٥- أصول النحو ، لابن السراج - تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - بغداد ١٩٧٣ م .
- ١٦- الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م .
- ١٧- الأضداد ، لقطرب - تحقيق هانز كوفلر - في مجلة إسلاميكا (١٩٣٢ م) ٥ / ٢٤١ - ٢٨٤
- ١٨- الاعتبار ، لأسامة بن منقذ - نشر فيليب حتى - برنستون ١٩٣٠ م .
- ١٩- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه - دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١ م .
- ٢٠- إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج - تحقيق إبراهيم الأبياري - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥ م .
- ٢١- الأغاني ، لأبي الفرج الإصفهاني - بولاق ١٢٨٥ هـ .
- ٢٢- الأغاني ، لأبي الفرج الإصفهاني - دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٧ - ١٩٦٢ م .
- ٢٣- الأفعال ، لابن القطاع - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦٠ - ١٣٦١ هـ .
- ٢٤- الأفعال ، لابن القوطية - تحقيق جويدى - ليدن ١٨٩٤ م .
- ٢٥- الاقتراح في علم أصول النحو ، للسيوطي - حيدر رآباد الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ .
- ٢٦- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، للبطلبيوسى - نشر عبد الله البستاني - بيروت ١٩٠١ م .
- ٢٧- ألف باء ، للبلوي - القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ٢٨- ألقاب الشعراء ، لمحمد بن حبيب - تحقيق عبد هارون ، في نوادر المخطوطات (المجموعة الثانية) القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٢٩- أمالي الشريف المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٣٠- الأمالي ، لابن الشجري - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩ هـ .

- ٣١- الأمالي ، لأبي علي القالي - بولاق ١٣٢٤ هـ .
- ٣٢- الأمثال ، لأبي عكرمة الضبي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - دمشق ١٩٧٤ م .
- ٣٣- الأمثال ، لأبي فيد مؤرج السدوسي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧١ م .
- ٣٤- الأمكنة والمياه والجبال ، للزخشرى - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى - بغداد ١٩٦٨ م .
- ٣٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣ م .
- ٣٦- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - لأبي البركات بن الأنبارى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٣٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - نشر محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٩ م .
- ٣٨- إيضاح الوقف والابتداء ، لأبي بكر بن الأنبارى - تحقيق محيى الدين رمضان - دمشق ١٩٧١ م .
- ٣٩- الإيضاح فى علل النحو ، للزجاجى - تحقيق مازن المبارك - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٤٠- البارع ، لأبي علي القالي - تحقيق هاشم الطعان - بيروت ١٩٧٥ م .
- ٤١- البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م .
- ٤٢- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزابادى - تحقيق الشيخ محمد على النجار - القاهرة ١٣٨٣ هـ وما بعدها .
- ٤٣- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- ٤٤- بلاغات النساء ، لابن طيفور - القاهرة ١٩٠٨ م .
- ٤٥- البلدان ، لليعقوبى - النجف الأشرف ١٩٥٧ م .
- ٤٦- البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لأبي البركات بن الأنبارى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - من مطبوعات مركز تحقيق التراث بالقاهرة ١٩٧٠ م .
- ٤٧- البيان والتبيين ، لأبي عمرو الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٠ م .
- ٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدى - القاهرة ١٣٠٦ هـ .
- ٤٩- تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ م .
- ٥٠- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكى الصقلى - تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر - القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٥١- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٥٢- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه - تحقيق عبد الله الجبورى - بغداد ١٩٧٥ م .
- ٥٣- التطور اللغوى ، مظاهره وعلله وقوانينه ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨١ م .
- ٥٤- التطور النحوى للغة العربية ، للمستشرق برجشتراسر - أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٥٥- تفسير الطبرى ، لمحمد بن جرير الطبرى - تحقيق محمود شاكر القاهرة ١٣٧٤ هـ وما بعدها .
- ٥٦- تفسير القرطبى = الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى - القاهرة ١٩٦٧ م .

- ٥٧ — التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، للصاغاني — تحقيق عبد العليم الطحاوى وآخرين — القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٩ م .
- ٥٨ — التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى ، لابن جنى — تحقيق أحمد ناجى القيسى وآخرين — بغداد ١٩٦٢ م .
- ٥٩ — التنبهات على أغاليط الرواة ، لعلى بن حمزة البصرى — تحقيق عبد العزيز الميمنى — القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٦٠ — تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت — نشر لويس شيخو — بيروت ١٨٩٥ م .
- ٦١ — تهذيب الألفاظ العامية ، للشيخ محمد على الدسوقى — القاهرة ١٩١٣ م .
- ٦٢ — تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى — تحقيق عبد السلام هارون وآخرين — القاهرة ١٩٦٤ — ١٩٦٧ م .
- ٦٣ — توضيح المقاصد والمسالك ، بشرح ألفية ابن مالك ، للمرادى — نشر عبد الرحمن على سليمان — القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٦٤ — التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو الدانى — استانبول ١٩٣٠ م .
- ٦٥ — الثلاثة ، لابن فارس — تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٦٦ — ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٦٧ — الجمانة فى إزالة الرطانة ، لابن الإمام — تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب — القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٦٨ — جمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى — تحقيق على محمد البجاوى — القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٦٩ — جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى — تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٧٠ — جمهرة اللغة ، لابن دريد الأزدى — تحقيق كرنكو — حيدر آباد بالهند ١٣٤٤ — ١٣٥١ هـ .
- ٧١ — الجمل ، للزجاجى — نشر العلامة ابن أبى شنب — باريس ١٩٥٧ م .
- ٧٢ — الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للمرادى — تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل — حلب ١٩٧٣ م .
- ٧٣ — الجيم ، لأبى عمرو الشيبانى — تحقيق إبراهيم الإيبارى وآخرين — القاهرة ١٩٧٤ — ١٩٧٥ م .
- ٧٤ — الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الفاريسى — تحقيق على النجدى ناصف وآخرين — القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٧٥ — الحروف ، لأبى نصر الفارابى — تحقيق محسن مهدى — بيروت ١٩٦٩ م .
- ٧٦ — الحماسة البصرية ، لابن أبى الفرج البصرى — تحقيق الدكتور مختار الدين أحمد — حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٤ م .
- ٧٧ — حماسة الخالدين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والخضرمين ، للخالدين — تحقيق السيد محمد يوسف — القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٧٨ — الحماسة ، للبحترى — نشر كمال مصطفى — القاهرة ١٩٢٩ م .
- ٧٩ — الحماسة ، لابن الشجرى — حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٥ هـ .
- ٨٠ — الحور العين ، لنشوان بن سعيد الحميرى — تحقيق كمال مصطفى — القاهرة ١٩٤٨ م .

- ٨١- الحيوان ، لأبى عمرو الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥ م .
- ٨٢- خزنة الأدب ، لعبد القادر البغدادى - بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ٨٣- الخصائص ، لابن جنى - تحقيق الشيخ محمد على النجار - القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
- ٨٤- دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية ، لجونستون - ترجمة الدكتور أحمد الضيبي - الرياض ١٩٧٥ م .
- ٨٥- الدرر اللوامع على همع الموامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطى - القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ٨٦- درة الفواص في أوهام الخواص ، للحريرى - مطبعة الجوائب باستانبول ١٢٩٩ هـ .
- ٨٧- ديوان الأصوص الأنصارى - تحقيق عادل سليمان - القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٨٨- ديوان الأخطل - نشر أنطون صالحانى - بيروت ١٨٩١ م .
- ٨٩- ديوان أبى الأسود الدؤلى - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٦٤ م .
- ٩٠- ديوان أعشى باهلة = الصبح المنير في شعر أبى بصير - تحقيق جاير - لندن ١٩٢٨ م .
- ٩١- ديوان الأعشى = الصبح المنير في شعر أبى بصير - تحقيق جاير - لندن ١٩٢٨ م .
- ٩٢- ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٩٣- ديوان أمية بن أبى الصلت - تحقيق شولتيس - ليزج ١٩١١ م .
- ٩٤- ديوان أوس بن حجر - تحقيق محمد يوسف نجم - بيروت ١٩٦٠ م .
- ٩٥- ديوان بشر بن أبى خازم - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ م .
- ٩٦- ديوان جران العود الحميرى - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ م .
- ٩٧- ديوان جرير بن عطية الخطمى - نشر محمد إسماعيل عبد الله الصاوى - القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ٩٨- ديوان جميل شعر الحب العذرى - تحقيق حسين نصار - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٩٩- ديوان حاتم الطائى - تحقيق شولتيس - ليزج ١٨٩٧ م .
- ١٠٠- ديوان حسان بن ثابت - نشر عبد الرحمن البرقوقى - القاهرة ١٩٢٩ م .
- ١٠١- ديوان الخطيئة - تحقيق نعمان أمين طه - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١٠٢- ديوان حميد بن ثور الهلالى - صنعة عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٥١ م .
- ١٠٣- ديوان خفاف بن ندبة السلمى - تحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى - بغداد ١٩٦٧ م .
- ١٠٤- ديوان ذى الرمة - تحقيق كارليل هنرى هيس - كمبردج ١٩١٩ م .
- ١٠٥- ديوان الراعى = شعر الراعى الحميرى وأخباره - جمع ناصر الحانى - دمشق ١٩٦٤ م .
- ١٠٦- ديوان رؤبة بن العجاج - تحقيق أهلورت - ليزج ١٩٠٣ م .
- ١٠٧- ديوان زهير بن أبى سلمى ، بشرح ثعلب - القاهرة ١٩٤٤ م .
- ١٠٨- ديوان زيد الخيل الطائى - تحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى - النجف الأشرف ١٩٦٨ م .
- ١٠٩- ديوان الشماخ بن ضرار الذيبانى - تحقيق صلاح الدين الهادى - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١١٠- ديوان طرفة بن العبد (ضمن كتاب العقد الثمين) - تحقيق أهلورت - لندن ١٨٧٠ م .
- ١١١- ديوان الطرماع - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٨ م .

- ١١٢ — ديوان طفيل الغنوي — تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد — بيروت ١٩٦٨ م .
- ١١٣ — ديوان العباس بن مرداس السلمى — تحقيق الدكتور يحيى الجبورى — بغداد ١٩٦٨ م .
- ١١٤ — ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات — تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم — بيروت ١٩٥٨ م .
- ١١٥ — ديوان العجاج والزيفان — نشر أهلوت — برلين ١٩٠٣ م .
- ١١٦ — ديوان عدى بن زيد العبادى — تحقيق محمد جبار المعيد — بغداد ١٩٦٥ م .
- ١١٧ — ديوان العرجى برواية ابن جنى — تحقيق خضر الطائى ورشيد العبيدى — بغداد ١٩٥٦ م .
- ١١٨ — ديوان عروة بن حزام — تحقيق إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب — بغداد ١٩٦١ م .
- ١١٩ — ديوان عروة بن الورد بشرح ابن السكيت — تحقيق عبد المعين الملوحي — دمشق ١٩٦٦ م .
- ١٢٠ — ديوان علقمة بن عبدة — تحقيق لطفى الصقال ودربة الخطيب — حلب ١٩٦٩ م .
- ١٢١ — ديوان عمر بن أبى ربيعة — نشر باول سفارتس — لبيزج ١٩٠١ — ١٩٠٩ م .
- ١٢٢ — ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدى — جمع هاشم الطعان — بغداد ١٩٧٠ م .
- ١٢٣ — ديوان الفرزدق — نشر عبد الله إسماعيل الصاوى — القاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٢٤ — ديوان القتال الكلايى — تحقيق إحسان عباس — بيروت ١٩٦١ م .
- ١٢٥ — ديوان القطامى — تحقيق بارت — ليدن ١٩٠٢ م .
- ١٢٦ — ديوان أبى قيس بن الأسلت — تحقيق الدكتور حسن محمد باجودة — القاهرة ١٩٧٣ م .
- ١٢٧ — ديوان كثير عزة — تحقيق الدكتور إحسان عباس — بيروت ١٩٧١ م .
- ١٢٨ — ديوان كعب بن زهير = شرح ديوان كعب للسكرى — دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٢٩ — ديوان لبيد بن ربيعة العامرى — تحقيق إحسان عباس — الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٣٠ — ديوان ليلى الأخيلية — جمع وتحقيق خليل وجليل إبراهيم العطية — بغداد ١٩٦٧ م .
- ١٣١ — ديوان مالك بن الربيع — تحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى — مجلة معهد المخطوطات (المجلد ١٥ / ١) ١٩٦٩ م .
- ١٣٢ — ديوان المثقب العبدى — تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين — بغداد ١٩٥٦ م .
- ١٣٣ — ديوان مجنون ليلى — تحقيق عبد الستار فراج — القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٣٤ — ديوان مزاحم بن الحارث العقيلي — نشر كرنكو — ليدن ١٩٢٠ م .
- ١٣٥ — ديوان مسكين الدارمى — تحقيق عبد الله الجبورى و خليل العطية — بغداد ١٩٧٠ م .
- ١٣٦ — ديوان معن بن أوس المزنى — تحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى وحاتم صالح الضامن — بغداد ١٩٧٧ م .
- ١٣٧ — ديوان ابن مقبل — تحقيق الدكتور عزة حسن — دمشق ١٩٦٢ م .
- ١٣٨ — ديوان ابن ميادة — تحقيق محمد نايف الدليمى — الموصل ١٩٦٨ م .
- ١٣٩ — ديوان النابغة الجعدى — تحقيق مارية نلليو — روما ١٩٥٣ م .
- ١٤٠ — ديوان النابغة الذبياني — صنعة ابن السكيت — تحقيق شكرى فيصل — بيروت ١٩٦٨ م .

- ١٤١— رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعرى — تحقيق الدكتور بنت الشاطيء — القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٤٢— الروض الأنف ، للسهيلى — القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- ١٤٣— زهر الآداب ، للحصرى — تحقيق على محمد البجاوى — القاهرة ١٩٥٣ م .
- ١٤٤— سر صناعة الإعراب ، لابن جنى — تحقيق مصطفى السقا وآخرين — القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٤٥— سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى — تحقيق عبد العزيز الميجنى — القاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٤٦— سيبويه إمام النحاة ، لعلى النجدى ناصف — القاهرة ١٩٥٣ م .
- ١٤٧— سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، لابن هشام — تحقيق فستفلد — جوتنجن ١٨٦٠ م .
- ١٤٨— سيرة ابن هشام = السيرة النبوية ، لابن هشام — تحقيق مصطفى السقا وآخرين — القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٤٩— شرح أبيات سيبويه ، لأبى جعفر النحاس — تحقيق زهير غازى زاهد — النجف الأشرف ١٩٧٤ م .
- ١٥٠— شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافى — تحقيق الدكتور محمد على سلطانى — دمشق ١٩٧٦ م .
- ١٥١— شرح اختيارات المفضل الضبى ، للتبزيى — تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة — دمشق ١٩٧١ — ١٩٧٢ م .
- ١٥٢— شرح أشعار الهذليين ، للسكرى — تحقيق عبد الستار فراج — القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٥٣— شرح الأشموقى على ألفية ابن مالك — مطبعة عيسى البابى الخلبى — القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٥٤— شرح التصريح ، للشيخ خالد الأزهرى على التوضيح لألفية ابن مالك فى النحو لابن هشام المصرى — القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ١٥٥— شرح حماسة أبى تمام ، للمرزوقى — تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون — القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٣ م .
- ١٥٦— شرح درة الغواص فى أوهام الخواص ، للخفاجى — استانبول ١٢٩٩ هـ .
- ١٥٧— شرح ديوان أبى تمام ، للخطيب التبزيى — تحقيق محمد عبده عزام — القاهرة ١٩٥١ م وما بعدها .
- ١٥٨— شرح الرضى على الكافية فى النحو ، لابن الحاجب — استانبول ١٣١٠ هـ .
- ١٥٩— شرح شافية ابن الحاجب ، للأسترابادى — تحقيق محمد الزفراف وآخرين — القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ١٦٠— شرح شذور الذهب ، لابن هشام — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٤٢ م .
- ١٦١— شرح الشريشى على مقامات الحريرى — بولاق ١٢٠٠ هـ .
- ١٦٢— شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر البغدادى — تحقيق محمد الزفراف وآخرين — القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ١٦٣— شرح الشواهد ، للشنتمرى — على هامش كتاب سيبويه — بولاق ١٣١٦ — ١٣١٧ هـ .
- ١٦٤— شرح شواهد الكشاف ، لمحّب الدين أفندى — بولاق ١٣١٩ هـ .
- ١٦٥— شرح شواهد المغنى ، للسيوطى — بتصحيح الشنقيطى — القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- ١٦٦— شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك — تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٤٥ م .
- ١٦٧— شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبى بكر بن الأنبارى — تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٦٨— شرح مايقع فيه التصحيح ، لأبى أحمد العسكري — تحقيق عبد العزيز أحمد — القاهرة ١٩٦٣ م .

- ١٦٩ — شرح مراح الأرواح ، لديكتقوز — القاهرة ١٩٣٧ م .
- ١٧٠ — شرح المضمون به على غير أهله ، لعبيد الله بن عبد الكافي — نشر إسحاق بنيامين — القاهرة ١٩١٣ م .
- ١٧١ — شروح سقط الزند — تحقيق مصطفى السقا وآخرين — القاهرة ١٩٤٥ م .
- ١٧٢ — شعراء النصرانية قبل الإسلام — جمع لويس شيخو — بيروت ١٨٩٠ م .
- ١٧٣ — الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري — تحقيق أحمد شاکر — القاهرة ١٩٦٦ م :
- ١٧٤ — شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان الحميري — نشر القاضي عبد الله الجرافي — مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٧٥ — شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — القاهرة ١٩٥٧ م .
- ١٧٦ — شرح ابن يعيش لمفصل الزمخشري — القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٧٧ — الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، لابن فارس — تحقيق مصطفى الشويبي — بيروت ١٩٦٣ م .
- ١٧٨ — الصحابي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، لابن فارس — تحقيق السيد أحمد صقر — القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٧٩ — الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري — تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء — القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٨٠ — صحاح الجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر الجوهري — تحقيق أحمد عبد الغفور عطار — القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٨١ — صفة جزيرة العرب ، للهمداني — تحقيق محمد بن علي الأكوح — الرياض ١٩٧٤ م .
- ١٨٢ — الصناعتين ، لأبي هلال العسكري — تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة ١٩٥٢ م .
- ١٨٣ — طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام — تحقيق محمود شاکر — القاهرة ١٩٧٤ م .
- ١٨٤ — الطبقات الكبرى ، لابن سعد — نشر سخاو — ليدن ١٩٠٩ م .
- ١٨٥ — طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٨٦ — الطرائف الأدبية — جمع وتحقيق عبد العزيز المينى — القاهرة ١٩٣٧ م .
- ١٨٧ — العقد الفريد ، لابن عبد ربه — تحقيق أحمد أمين وآخرين — القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٣ م .
- ١٨٨ — علم اللسان ، لأنطوان ميبه — مع كتاب النقد المنهجي عند العرب ، للدكتور محمد مندور — القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٨٩ — العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق القيرواني — القاهرة ١٩٠٧ م .
- ١٩٠ — العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي — تحقيق الدكتور عبد الله درويش — بغداد ١٩٦٧ م .
- ١٩١ — العينى = شرح شواهد الكبرى — على هامش خزانة الأدب للبيهدادى — بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٩٢ — العينى على هامش شرح الأشموني لألفية ابن مالك — القاهرة (بدون تاريخ) .

- ١٩٣ — عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري — القاهرة ١٩٢٨ — ١٩٣٠ م .
- ١٩٤ — غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام — حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٤ — ١٩٦٧ م .
- ١٩٥ — غريب الحديث ، لابن قتيبة الدينوري — تحقيق عبد الله الخيوري — بغداد ١٩٧٧ م .
- ١٩٦ — الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري — القاهرة ١٩٤٥ — ١٩٤٨ م .
- ١٩٧ — الفاخر ، للمفضل بن سلمة — تحقيق عبد العليم الطحاوي — القاهرة ١٩٦٠ م .
- ١٩٨ — فرحة الأديب ، للأسود الغندجاني — تحقيق الدكتور محمد علي سلطانى — دمشق ١٩٨٠ م .
- ١٩٩ — فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري — تحقيق عبد المجيد عابدين وإحسان عباس — الخرطوم ١٩٥٨ م .
- ٢٠٠ — فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٠١ — الفصول والغايات ، لأبي العلاء المعري — نشر محمود زناقى — القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢٠٢ — فصيح ثعلب والشروح التي عليه — نشر محمد عبد المنعم خفاجى — القاهرة ١٩٤٩ م .
- ٢٠٣ — فقه اللغات السامية ، لكارل بروكلمان — ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب — الرياض ١٩٧٧ م .
- ٢٠٤ — فهرس شواهد سيبويه ، لأحمد راتب النفاخ — بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٠٥ — الفهرست ، لابن النديم — القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- ٢٠٦ — في سرة غامد وزهران ، لحمد الجاسر — الرياض ١٩٧١ م .
- ٢٠٧ — القاموس المحيط ، للفيروزابادى — القاهرة ١٩١٣ م .
- ٢٠٨ — قصيدة البردة ، لكعب بن زهير ، بشرح أبي البركات بن الأنبارى — تحقيق الدكتور محمود حسن زينى — جدة ١٩٨٠ م .
- ٢٠٩ — قلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان ، للقلقشندي — تحقيق إبراهيم الإيبارى — القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢١٠ — القلب والإبدال ، لابن السكيت (ضمن كتاب الكنز اللغوى) — تحقيق هفنز — بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢١١ — الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة — القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢١٢ — الكتاب لسيبويه — تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة ١٩٦٦ — ١٩٧٧ م .
- ٢١٣ — الكتاب لسيبويه — بولاق ١٣١٦ — ١٣١٧ هـ .
- ٢١٤ — لحن العامة والتطور اللغوى ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢١٥ — لحن العوام ، لأبي بكر الزبيدى — تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٢١٦ — لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي — بولاق ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ .
- ٢١٧ — لغات البشر ، لماربوبايى — ترجمة الدكتور صلاح العرنى — القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٢١٨ — اللغة ، لفندريس — تعريف عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص — القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢١٩ — اللغة العربية — قواعد ونصوص ومقارنات ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة ١٩٧٧ م .

- ٢٢٠ — لامية منظور بن مرثد الأسدی — جمعها وحققها الدكتور رمضان عبد التواب — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المجلد ٢٩) ١٩٧٣ م .
- ٢٢١ — لهجة شمال المغرب ، تطوان وماحولها ، للدكتور عبد المنعم عبد العال — القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٢٢٢ — اللهجة العامية المصرية في القرن الحادى عشر من كتاب دفع الإصر عن كلام أهل مصر للشيخ يوسف المغربي — مقالة للدكتور رمضان عبد التواب — حوليات كلية دار العلوم (المجلد الثانى) ١٩٦٩ / ١٩٧٠ م .
- ٢٢٣ — المؤلف والمختلف ، للآمدى — تحقيق عبد الستار فراج — القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٢٤ — ماينته العرب على فعال ، للصاغانى — تحقيق الدكتور عزة حسن — دمشق ١٩٦٤ م .
- ٢٢٥ — مايجوز للشاعر فى الضرورة ، للقزاز القيروانى — تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادى — القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٢٢٦ — المثل السائر ، لضيء الدين بن الأثير — تحقيق الدكتور أحمد الحوفى والدكتور بدوى طبانة — القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٢٢٧ — مجالس ثعلب — تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٢٨ — مجمع الأمثال ، للميدانى — القاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٢٢٩ — محاضرات الأدباء ، للراغب الإصفهانى — القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ٢٣٠ — المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جنى — تحقيق على النجدى ناصف وآخريين — القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٣١ — المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيدة الأندلسى — تحقيق مصطفى السقا وآخريين — القاهرة ١٩٥٨ م وما بعدها .
- ٢٢٣ — المخصص فى اللغة ، لابن سيدة الأندلسى — بولاق ١٣١٦ — ١٣٢١ هـ .
- ٢٢٤ — المرتجل شرح الجمل ، لابن الحشاش — تحقيق على حيدر — دمشق ١٩٧٢ م .
- ٢٢٥ — المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخريين — القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٢٦ — المسالك والممالك ، للإصطخرى — تحقيق الدكتور محمد جابر الحينى — القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٢٧ — المستقصى فى أمثال العرب ، للزنجشى — حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٢ م .
- ٢٢٨ — المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، للفيومى — القاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٢٢٩ — معانى القرآن ، للفرأء — تحقيق الشيخ محمد على النجار — القاهرة ١٩٥٥ — ١٩٧٢ م .
- ٢٣٠ — معانى القرآن وإعرابه ، للزجاج — تحقيق عبد الجليل عبده شلبى — بيروت ١٩٧٢ م .
- ٢٣١ — المعانى الكبير ، لابن قتيبة الدينورى — حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٤٩ م .
- ٢٣٢ — معاهد التنصيص ، لعبد الرحيم العباسى — القاهرة ١٣١٦ هـ .
- ٢٣٣ — معجم الأدباء ، لياقوت الحموى — تحقيق أحمد فريد رفاعى — القاهرة ١٩٣٦ م .

- ٢٣٤ — معجم البلدان ، لياقوت الحموى — تحقيق فستفلد — ليزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ م .
- ٢٣٥ — معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ، لأحمد تيمور — تحقيق الدكتور حسين نصار — القاهرة ١٩٧١ م .
- ٢٣٦ — معجم الشعراء ، للمرزبانى — تحقيق عبد الستار فراج — القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٣٧ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبيد البكرى — تحقيق مصطفى السقا — القاهرة ١٩٤٥ — ١٩٥١ م .
- ٢٣٨ — المغرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، للجوالقى — تحقيق أحمد شاكِر — القاهرة ١٣٦١ هـ .
- ٢٣٩ — المعرون والوصايا ، لأبى حاتم السجستاني — تحقيق عبد المنعم عامر — القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٤٠ — مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام المصرى — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢٤١ — المفضليات بشرح أبى محمد القاسم بن بشار الأنبارى — تحقيق لايل — بيروت ١٩٢٠ م .
- ٢٤٢ — مقاييس اللغة ، لابن فارس — تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة ١٣٦٦ — ١٣٧١ هـ .
- ٢٤٣ — المنتقضب ، لأبى العباس المبرد — تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة — القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٨ م .
- ٢٤٤ — المقدمة ، لابن خلدون — القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٤٥ — المقرب ، لابن عصفور — تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى — بغداد ١٩٧١ — ١٩٧٢ م .
- ٢٤٦ — المتع في التصريف ، لابن عصفور الإشبلى — تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة — حلب ١٩٧٠ م .
- ٢٤٧ — المنصف ، لابن جنى ، شرح التصريف للمازنى — تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين — القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٢٤٨ — منهج السالك ، لابن حيان — تحقيق سيدنى جلازر — واشنطن ١٩٤٧ م .
- ٢٤٩ — الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ، للآمدى — تحقيق السيد أحمد صقر — القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٥٠ — الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، للمرزبانى — تحقيق على محمد الجوارى — القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٥١ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبى البركات بن الأنبارى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٥٢ — نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، للشيخ مخدم الطنطاوى ، بتعليق عبد العظيم الشناوى ومحمد عبد الرحمن الكردى — القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٢٥٣ — نظام الغريب ، للربعى — تحقيق بولس برونله — القاهرة مطبعة هندية (بدون تاريخ) .
- ٢٥٤ — النقائص = نقائص جرير والفرزدق — تحقيق بيفان — لندن ١٩٠٥ — ١٩٠٧ م .
- ٢٥٥ — نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندى — تحقيق إبراهيم الإيبارى — القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٢٥٦ — النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير — تحقيق محمود الطناحى — القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٥ م .

- ٢٥٧- النوادر - لأبي علي القالي (وهو ذيل الأمل له) - بولاق ١٣٢٤ هـ .
 ٢٥٨- النوادر ، لأبي مسحل الأعرابي - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦١ م .
 ٢٥٩ - النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري - نشر سعيد الشرتوني - بيروت ١٨٩٤ م .
 ٢٦٠- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي - القاهرة ١٣٢٧ هـ

قائمة المصادر الأفرنجية

- 1- G.Bergstässer, Sprachatlas von Syrien und Palästina, Leipzig 1915.
- 2- C.Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Bd.I II, Berlin 1908-1913.
- 3- C.Brockelmann, Syrische Grammatik, Leipzig 1955.
- 4- Der Sprach- Brockhaus, Wiesbaden 1956.
- 5- A.Dillmann, Grammatik der äthiopischen Sprache, Graz 1959.
- 6- G.Flügel, Die grammatischen Schulen der Araber, Leipzig 1862.
- 7- G.Flügel, Congordantiae Corani Arabicae, Leipzig 1898.
- 8- W.Gesenius, Hebräische Grammatik, völlig umgearbeitet von E. Kautzsch, 28 Auflage, Leipzig 1909.
- 9- O.Jespersen, Die Sprache, ihre Natur, Entwicklung und Entstehung, Heidelberg 1925.
- 10- F.Kluge, Etymologische Wörterbuch der deutschen Sprache, Berlin 1960.
- 11- S.Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the semitic languages --- by S.Moscati, A.Spitaler, E. Ullendorff and W.von Soden, Wiesbaden 1964.
- 12- Th. Nöldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904.
- 13- Th.Nöldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, bearbeitet und mit Zusätzen versehen von Anton Spitaler, Darmstadt 1963.
- 14- F.Praetorius, Aethiopische Grammatik, New York 1955.
- 15- Ch. Rabin, Ancient West- Arabian, London 1951.
- 16- Spitta-Bey, Grammatik des arabischen Vulgärdialektes von Aegypten, Leipzig 1880.
- 17- Spuler, Handbuch der Orientalistik, Leiden 1953-1954.
- 18- W.Wright, A Grammar of the Arabic language, Cambridge 1962.